[illegible]

نوح عليه السلام

عناصر الموضوع

التعريف بنوح عليه السلام ٥

ذكر نوح عليه السلام في القرآن الكريم ١١

نشأة نوح عليه السلام ١٣

صفاته و أخلاقه عليه السلام ١٩

دعوة نوح عليه السلام ٢٧

موقف قوم نوح عليه السلام من دعوته ٣٥

نوح عليه السلام و ابنه و زوجته ٤٥

نوح عليه السلام و السفينة ٤٧

نوح عليه السلام و القدوة في الدعوة ٥٥

الدروس المستفادة من قصة نوح ٥٧

[illegible]

تعريف بنوح عليه السلام

أولاً: اسمه ونسبه

ذكر الإمام ابن كثير في نسب نوح عليه السلام أنه: نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس عليه السلام بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام[1].

وقيل: إن اسم نوح من [illegible] الأعلام العربية، وقال الجواليقي: إنه اسم أعجمي معرب، وإنما صرفته لأنه على ثلاثة أحرف [illegible] من ناح ينوح [illegible] بالعربية (السالك)[2] وكان اسم نوح عليه السلام السكن، وسمي به لأن الناس بعده سكنوا إليه فهو أبو [illegible] آدم الثاني بعد حادثة الطوفان، وذلك لاستعمار الجنس الإنساني بعده في نسله، وقيل: اسمه عبد الغفار[3].

وفي سبب تسميته عليه السلام بهذا الاسم أورد العلماء خمسة أقوال:

الأول: أنه كان ينوح على نفسه.

الثاني: أنه كان ينوح لمعاصي أهله وقومه.

الثالث: أنه كان ينوح لمراجعته ربه عز وجل في ولده الذي غرق بالطوفان.

الرابع: أنه كان ينوح لدعائه على قومه بالهلاك.

الخامس: أنه مر بكلب مجذوم فقال له: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله تعالى إليه: أعبتني يا نوح أم عبت الكلب؟[4]

ويرى الباحث أن هذه الأقوال مختلف فيها؛ لأن الأعلام لا تلزمها علة في التسمية.

ثانياً: حكمة تسمية سورة باسمه

لقد ورد ذكر نوح عليه السلام في القرآن الكريم في (43) ثلاثة وأربعين موضعاً[5] في حين تفردت قصة نوح عليه السلام مفصلة في القرآن الكريم في سورة سميت باسمه، كما أن القصة أتت مختلفة الألفاظ في كل موضع حسبما يقتضيه السياق أو المعنى أو المحور الرئيسي للسورة.

---

[1] قصص الأنبياء، ابن كثير، ص[illegible].

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج[illegible]، المعرب، الجواليقي، [illegible]، ج١، ص٢٨٩.

[3] انظر: [illegible]، ج[illegible]، [illegible]، التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج٢٩، ص٢٢٣، مع البيان، [illegible].

[4] انظر: التفسير، ابن الجوزي، [illegible]، التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج٢٩، ص٢٢٣.

[5] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص[illegible] وما بعدها.

وتعد سورة نوح عليه السلام كغيرها من السور التي سميت بأسماء الأنبياء كسورة هود ويوسف وإبراهيم عليهم السلام على سبيل المثال، إلا أنه يختلف في السور التي سميت بأسماء الأنبياء التي لم تقتصر على ذكر النبي الذي سميت باسمه السورة، وإنما تذكر قصصاً أخرى غير أن التطرق إلى مواضيع أخرى، بخلاف سورة نوح عليه السلام فهي السورة الوحيدة التي لم يذكر الله عز وجل فيها سوى قصة نوح عليه السلام وحده، ويمكن جمع السبب في ذلك في ما يأتي:

١- أن نوح عليه السلام في مطلع السورة ومختتمها، فقد ورد في أول السورة قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [نوح: ١]،

وفي نهايتها قوله تعالى: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨].

٢- طول لبث نوح عليه السلام في قومه، وكثرة دعوته إلى الله سبحانه وتعالى من غيره[1]

٣- إنها السورة الوحيدة التي تذكر قصة نوح عليه السلام مع قومه من بداية دعوته إلى إهلاكهم بالطوفان، مع التركيز على موضوع التكذيب لرسله والعقوبة المترتبة عليه[2]

ثانياً: رسالته ومنهجه في الدعوة:

اختلف العلماء في رسالة نوح عليه السلام، ويعتقد بعضهم أن من الله بعد آدم عليه السلام، وبعضهم من قال إنه بعد إدريس عليه السلام، وأول من ذلك ذكر الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، ما رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين والمرسلين وأنزل كتابه فكانوا أمة واحدة)[4]

كما استدل بقراءة التي تفسير الآية السابقة وهي: (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا)، ويرى ابن كثير أن هذا القول هو الصحيح سنداً ومعنى، وذلك أن الناس كانوا في البداية على ملة آدم عليه السلام، حتى بعد أن طال العهد به عبدوا الأصنام فبعث الله تعالى إليهم نوحاً عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله تعالى إلى الأرض.

وأيضاً قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء:

---

[1] انظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، [illegible]

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٨٨٨

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، [illegible]

[4] أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، كتاب التفسير، وقال: صحيح على شرط البخاري، [illegible]

[البقرة: ٢٣٣] [illegible] ويؤيد هذا [illegible] ما ذكره الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: [illegible]] [illegible] اصطفى [illegible] والصفات والكمالات [illegible] الناس بعد آدم[1].

ونظراً لما [illegible] في القرآن الكريم [illegible] معالم الحق [illegible] الناس [illegible] عز وجل [illegible] الناس [illegible] الأنبياء والرسل، وينزل عليهم الكتب السماوية، وهكذا إلى أن ختمت الرسالات برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب المنزل عليه القرآن الكريم.

هذا من [illegible] نوح عليه السلام، أما من [illegible] في دعوة [illegible] التي صرح بها القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿[illegible] أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤].

ومع هذه المدة الطويلة في دعوته عليه السلام لقومه إلا أنه لم يستجب لدعوته إلا القليل كما أخبر الله تعالى بذلك في قوله: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

ولعل الحكمة من ذلك تظهر في أن قصص الأنبياء مع أقوامهم عموماً، وقصة نوح عليه السلام مع قومه خصوصاً فيها تسرية وتسلية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حين [illegible] في مكة ومن خلال [illegible] الذين استجابوا مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ثلاث عشرة سنة أكثر بكثير من الذين استجابوا لنوح عليه السلام في هذه الفترة الطويلة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا يعلمنا درساً مهماً ألا وهو أن الهداية بيد الله عز وجل [illegible] ومن علامات التوفيق [illegible] أن [illegible] في قلب كل مسلم [illegible] القريب الحبيب [illegible] من [illegible] كثيرة [illegible] على سبيل المثال قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

---

[1] انظر: جامع البيان، الطبري [illegible]، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

[2] روح المعاني، الألوسي [illegible].

[illegible] في القرآن الكريم

ورد ذكر قصة [illegible] في [illegible] القرآن الكريم [illegible] مرة في [illegible] سورة [illegible] [illegible] [illegible] في السور الآتية

[illegible]	[illegible]
الأعراف	[illegible]
يونس	٧٣-٧١
هود	٤٩-٢٥
الأنبياء	٧٧-٧٦
المؤمنون	٣٠-٢٣
الشعراء	١٢٢-١٠٥
العنكبوت	١٥-١٤
الصافات	٨٢-٧٥
القمر	[illegible]
التحريم	[illegible]
نوح	٢٨-[illegible]

مكانة نوح عند الله

لقد كان لنوح عليه السلام مكانة عظيمة يظهر بيانها في النقاط الآتية:

أولاً: سلام الله تعالى عليه

فقد أثنى الله عز وجل على نوح عليه السلام؛ لما كان له من طول الباع في دعوة الرسالة، وصبره على ما لقيه منهم من الأذى، فجعل الله تعالى جميع الناس من بعده من الأمم من الإنس والجن يثنون عليه عليه السلام ثناءً حسناً، ويذكره الأجيال من بعده [illegible]، وجعل سلامه الله تعالى في جملة المسلمين المؤمنين، وحتى أن يقوم اليوم من الناس الذين عليهم على حسب إحسانهم[1].

قال الله سبحانه وتعالى في هذا المجال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (الصافات:٧٨-٧٩).

ويعني الترك في هذه الآية الإبقاء، والمراد من ذلك معنى ولكن مفعوله محذوف فيحمل الثناء [illegible] كما قال الإمام الطبري: أي أبقينا عليه الثناء الحسن من بعده [illegible] بعد موته[2].

ثانياً: إجابة دعوته

أولاً: لما طال مكث نوح عليه السلام في دعوة قومه، وكانت ألف سنة إلا خمسين عاماً، وبلغ دعوة الله تعالى على أكمل وجه وصبر على بلاء قومه، وأعلمه أنه [illegible] فلم يؤمن معه إلا القليل، ولما قال نوح عليه السلام بقومه، فدعا ربه تعالى أن يهلك قومه الذين كفروا بالله تعالى، [illegible] من العذاب، [illegible] أكرم الله تعالى بها نوحاً عليه السلام، فكان من جملة ما دعا به نوح عليه السلام ربه تعالى على قومه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح:٢٦).

وقوله أيضاً: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ (القمر:١٠).

فما كان من الله عز وجل إلا أن أجاب دعوة نوح عليه السلام، وأنزل العذاب على قومه، فهلكوا بالطوفان، ونجاه عليه السلام وأهل الإيمان من ولده وأتباعهم من هذا الهلاك المحتوم[3]، وفي هذا المعنى يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (الصافات:٧٥-٧٦).

---

[1] انظر: تفسير القرآن الكريم [illegible] [illegible] [illegible] التفسير [illegible] [illegible] [illegible] التفسير [illegible] التفسير [illegible] [illegible] [illegible]

[2] تفسير الطبري [illegible]

[3] انظر: تفسير الطبري [illegible] [illegible]

فقد عرفت لما مضى من الرسالة سعي نوح في سبيل الدعوة جاهدًا محاولته الدعوية، ولما رأى نوح تراجع وتكبر قومه دعا ربه في ﴿فَٱنتَصِرۡ﴾ فحرف عطف يفيد الترتيب والتعقيب فدل على سرعة إجابة الله تعالى بنصر عبده نوح عليه السلام[1]، ويؤيده أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ⑦⑤﴾ [الصافات: ٧٥].

وقد تضمن إنجاء نوح عليه السلام وإهلاك قومه أمورًا كثيرة منها الدعاء على قومه وطلب النصر، وفي سرعة إجابة الله تعالى دعوته وإجابته على أكمل وجه وهي كما في الآتي:

1. نجاة نوح عليه السلام والمؤمنين معه من الغم الشديد الذي أصابهم، وكذلك من الغرق الذي أصاب الكفار.
2. إهلاك الكافرين بدعاء نوح عليه السلام وجعل ذريته وحدهم هي الباقية على تفصيل سيأتي الحديث عنه في الفقرة الآتية.
3. إبقاء الله تعالى الثناء الحسن لنوح عليه السلام والذكر الجميل من الأمم التي بعده إلى يوم الدين[2].

ثالثًا: الذرية الصالحة

وكما امتن الله تعالى على نوح عليه السلام بهلاك الكافر عليه وإجابة دعوته امتن عليه أيضًا بالذرية الصالحة، فلما نجى الله تعالى نوحًا عليه السلام والمؤمنين الذين كانوا معه على متن السفينة التي أمر الله تعالى بصنعها من الطوفان الذي عم وجه الأرض، وأغرق الكافرين من قومه كان أهل الأرض بعد ذلك من ذرية نوح عليه السلام[3] وفي هذا المعنى قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ⑦⑦﴾ [الصافات: ٧٧].

فـ ﴿هُمُ﴾ في الآية ضمير فصل يفيد الحصر والتخصيص، فقد امتن الله تعالى على نوح عليه السلام لما أغرق الكافرين بأن جعل ذريته وحدهم هي الباقية إلى آخر الدهر، وقد قال بعض المفسرين: فكل أهل السفينة ماتوا غير نسل ولده، فالناس كلهم من ولد نوح[4].

هذا بالإضافة إلى ما جعله الله تعالى من أمر النبوة في ذرية نوح عليه السلام.

---

[1] انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٦٧.

[2] انظر: التفسير المنير للزحيلي ٢٣/١٦٩.

[3] انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٣/١٦٧.

[4] زاد المسير لابن الجوزي ٧/٥١.

صفات نوح عليه السلام

من خلال استعراض مواضع الآيات التي ذكر فيها نوح عليه السلام فيما يخص حياته وأسلوبه مع أمته، نرى أن له صفات وأخلاقاً يمكن تقسيمها إلى عدة أقسام وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: صفات نوح عليه السلام وأخلاقه مع الله تعالى:

لقد اتصف نوح عليه السلام بصفات عالية مع ربه عز وجل، وبيان ذلك فيما يلي:

الإخلاص:

لقد وصف الله تعالى نبيه نوحاً عليه السلام بخالص الإيمان وكمال العبودية لله تعالى، ولهذا خصه بالثناء وتسليمه الآخرين، الله عز وجل، ووصفه تعالى بهذه الصفة في معرض الحديث عن إهلاك الأمم السابقة التي كذبت أنبياء الله تعالى ورسله، فالمعنى: عباد الله الذين أخلصهم للإيمان ووصفه من المؤمنين الذين نفع بهم حتى الله تعالى[1].

قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤) وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١)﴾ [الصافات: ٧١-٨١].

ومن صفة عباد الله تعالى نوح عليه السلام أنه مخلص لله تعالى بقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: أنه كان من مخلصاً لله تعالى في عبوديته كامل الإيمان والتوحيد[1].

وكلمة (المخلصين) فيها قراءتان:

الأولى: بكسر اللام (المخلِصين)، والمعنى: من آمن بالرسل من الأمم المخلصين العمل والإيمان لله تعالى.

الثانية: بفتح اللام (المخلَصين) يكون المعنى: من آمن بالرسل، وكان قد أخلصه الله تعالى بالإيمان والتصديق في سابق علمه أزلاً[2].

ويتبين لنا أن تعلق نوح عليه السلام لله عز وجل بإخلاص كان سبباً في إجابة الله تعالى لدعوته[3].

وقال أبو زهرة في تفسير قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)﴾ [الإسراء: ٣].

فإنه كان عبداً يحس بنعمة العبودية

---

[1] انظر: جامع البيان، للطبري ٢١/٥٥.

[1] انظر: صفوة التفاسير، للصابوني ٣/٣٨.

[2] انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب ٩/٢.

[3] انظر: مفاتيح الغيب، للرازي ٢٦/٣٤٦.

الله تعالى، فلم يكن [illegible] خشية لله سبحانه وتعالى، والخضوع لله تعالى وحده من الدنيا التي [illegible] فيها ولا [illegible].

٢- الإحسان:

وصف الله تعالى نوحاً عليه السلام بصفة الإحسان [illegible] التي أنعمها الله تعالى عليه من [illegible] من ذريته [illegible] له على [illegible] الكريمة لنوح عليه السلام [illegible] عز وجل في [illegible].[1] قال جل جلاله: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾.

فجملة ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ تعليل لاستحقاق نوح عليه السلام [illegible] عليه السلام من [illegible] بالإحسان، ثم [illegible] عز وجل [illegible] بالإحسان [illegible].

[illegible] من أعلى صفات [illegible] والعظيم[2] [illegible] أعظم [illegible] وأرشدها إلى الله تعالى عز [illegible] وجل [illegible] الصفات [illegible] الأخلاق الحميدة.

كما تظهر [illegible] نوح عليه السلام في مجاهدته لأعداء الله تعالى [illegible] إلى دينه، والصبر الطويل على أذى قومه [illegible] في سبيل الله تعالى [illegible] من أولاد سيدنا نوح عليه السلام [illegible].

٣- التوكل والثقة:

اتصف نوح عليه السلام بصفة [illegible] الله تعالى [illegible] على هذا الأساس [illegible] ولم [illegible] إلى الله تعالى ألف سنة إلا خمسين عاماً سالكاً [illegible] في [illegible] – كما [illegible] في أساليب دعوته – قال الله تعالى عنه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ ﴾ نوح: ٥ – ١٠.

فلما أوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن [illegible] لم

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

(١) انظر: [illegible]

[illegible] من [illegible] في دعوة قومه وهم مصرين على كفرهم ويصدون عن [illegible] ذلك ولما [illegible] قال لقومه ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾ (يونس: 71)

ويشير [illegible] إلى تفسير هذه الآية التي من [illegible] أن نوحًا عليه السلام قد واجه قومه ولم يبال بهم [illegible] الاعتماد والتوكل على الله عز وجل الذي أرسله إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليه السلام: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ أي إنه حصر [illegible] توكله عليه [illegible] دعوة قومه على الله عز وجل وحده [illegible] من القوم [illegible] (على الله) على الفعل (توكلت) وفي هذا الكلام [illegible] عليه السلام ما يدل على مدى [illegible] بنصر ربه الذي أرسله كما يدل على عدم مبالاته بما يدبره له قومه[1].

ثم إن قوله عليه السلام: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾ فيه [illegible] التحدي [illegible] لهم [illegible] منهم أن يجتمعوا وشركاؤهم على أمر واحد، وألا يكون هذا الأمر فيه خفاء أو غموض، ثم ينفذوا ما اتفقوا عليه دون مهلة أو تردد أو تأجيل، [illegible] لعبد المنعم [illegible] من هلاكه[2].

وفي هذا التحدي يقول سيد قطب رحمه الله: إنه التحدي الصريح المثير، الذي لا يقوله القائل إلا وهو مالئ يديه من قوته، واثق كل الوثوق من عدته، حتى ليغري خصومه بنفسه، ويحرضهم بكل المهيجات على أن يهاجموه! فماذا كان وراء نوح من القوة والعدة؟ وماذا كان معه من قوى الأرض جميعًا؟ كان معه الإيمان. القوة التي تتصاغر أمامها القوى، وتتضاءل أمامها الكثرة، ويعجز أمامها التدبير. وكان وراءه الله الذي لا يدع أولياءه لأولياء الشيطان. إنه الإيمان بالله وحده [illegible] الذي يصل صاحبه بمصدر القوة الكبرى المسيطرة على هذا الكون بما فيه ومن فيه. فليس هذا التحدي غرورًا، وليس كذلك تهورًا، وليس انتحارًا. إنما هو تحدي القوة الحقيقية الكبرى للقوى الهزيلة الفانية التي تتضاءل وتتصاغر أمام أصحاب الإيمان[3].

ويتضح من هذا أن الدعاة إلى الله عز وجل يجب عليهم أن يجعلوا من التوكل زادًا لهم في سبيل تبليغ دعوتهم [illegible]

---

[1] انظر تفسير القرطبي [illegible]

[2] انظر مجمع البيان للطبرسي [illegible]

[3] انظر تفسير المراغي [illegible]

[4] في ظلال القرآن [illegible]

ولهم في ذلك أسوة ببعض الأنبياء والرسل وخاصة نوح عليه السلام الذي مكث طويلاً وهو يدعو قومه حتى بلغ أن دعا [illegible] عليهم أن يكون في وسعه الطاقة وأن يعلموا هؤلاء الطغاة لا تلقى من قبل الأنبياء الذي يحصي القلوب حتى تعود الآية المؤمنين ويجعل وعد الله تعالى لهم بالنصر والتمكين.

وأما ما قاله الشيخ [illegible] محمد رشيد رضا الذي علق به على النص على هذه الآية فقال: فهذه الآية من أبلغ آيات القرآن عبارة، وأوضحها على إيجازها للمعاني الكثيرة من علم [illegible] إيمان الأنبياء المرسلين والمؤمنين بالله عز وجل، وشجاعتهم واستعدادهم لكل ما في الحياة الدنيا من أسباب الخوف من غير مبالاة به فيما سواه، [illegible] أنه تعالى معهم [illegible] تعالى غير مبالين [illegible] نوح مع قومه في [illegible] كل منهم وكانوا [illegible] واستعدادهم [illegible] وأمن أكثر منه من [illegible] ولما يعلم به كل من المرسلين من التوكل على الله بالاعتماد عليه في النصر والجزاء وحسن العاقبة [illegible] على الأنبياء وتبعة المؤمنين المتقين

---

(٤) الطبري، المصدر السابق ج٣ ص ١٨

٥- [illegible] الأرض وأصحاب السلطة فيها(٤)

٦- الشكر.

أثنى الله تعالى على نوح عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ③﴾ [الإسراء: ٣]

وقد وصف الله تعالى نوحاً عليه السلام في الآية المذكورة بوصفين:

الأول: أنه عبد لله تعالى، معترف له بالعبودية [illegible] لله [illegible] ولكن لا [illegible] خالصاً لله تعالى وحده وهذا [illegible] هو الذي يحصل حتى [illegible] نوح عليه السلام.

الثاني: أنه شديد الشكر لله تعالى على ما أنعم به عليه في سره وعلنه(٥)

وكلمة (شكوراً) هي صيغة مبالغة على كثرة الشكر التي اتصف بها نوح عليه السلام فكان يحمد الله تعالى في كل حال [illegible] لا يطعم طعاماً إلا [illegible] حمد الله فسمي عبداً شكوراً(٦)

---

(٤) التفسير [illegible]

(٥) [illegible] التفسير [illegible] ج١٥ ص٢٧ [illegible] ج٨ ص ٣٣٣٦

(٦) أخرجه [illegible] في [illegible] وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ج٢ ص [illegible]

وفي هذه الآية الكريمة تذكير لبني إسرائيل بأن الله تعالى قد نجى نوحا عليه السلام من الهلاك بسبب الشكر هو والذين معه في السفينة فعليهم أن يتعرضوا وحثهم التأسي على الشكر، والاقتداء بنوح عليه السلام في الشكر ويحمدوه عليه وألا يكفروا نعمة الله عليهم لما أنجاهم واستخلفهم في الأرض بعد أن أغرق غيرهم.

• الاستغفار:

ورد طلب نوح عليه السلام المغفرة من الله عز وجل في قوله: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

فنوح عليه السلام رغم أنه أحد من الأنبياء الذين هم معصومون من الخطأ والذنب والزلل إلا أنه لا يستغني عن طلب الله تعالى ومغفرته ورحمته[١]. فالدعاء بالمغفرة في دعوته السلام أكثر للاستغفار في شخص نوح عليه السلام يدعو إلى الاستغفار لله عز وجل فإن الاستغفار سبب لغفران الذنوب وطلب القلوب وهو النجاة والأمن من الهلاك كما أنه سبب في الخلاص من كل بلاء ومصيبة، وكذلك هو سبب لسعادة الدارين بالإضافة إلى أنه سبب لحصول رضا الله عز وجل.

وقد أمر نوح عليه السلام قومه بالاستغفار في قوله: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

ولا يخفى أن ذكر نوح يقبل ولا يكفيه أمور الناس في زمانه عبودية لله تعالى ومن حسن خضوعه لله عز وجل طلبه المغفرة منه سبحانه وتعالى.

٦- الدعاء:

لما طلب نوح عليه السلام المغفرة من الله عز وجل لنفسه لم يقتصر على نفسه فقط، بل طلب لمن كان معه في دعوته وهما والداه، وكذلك المؤمنين في دعائه: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

ويذكر المفسرون أنهما كانا مؤمنين[٣].

وفي تخصيصهما بالذكر تأكيد لحقهما والتنويه بفضلهما فهما أحق بإفادته من ذريته ثم عمّ بالدعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات لكونه أبلغ في الدعاء[٤].

---

[١] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٠/١٥. تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٤٥٣.

[٢] انظر: نظم الدرر، البقاعي، ٢٠/[illegible].

[٣] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/٢٣٥. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/٣١٣.

[٤] انظر: الكشاف، الزمخشري، ٤/[illegible]. إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٩/٤٣. تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٨٨٩.

ويؤكد هذا حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»(1).

فيجدر بدعاة نوح عليه السلام أن يقتدوا بالعظماء من رجال الدعوة.

ثانياً: صفات نوح عليه السلام وأخلاقه.

اتصف نوح عليه السلام بصفات وأخلاق، نبين ذلك فيما يلي:

الإيمان بالدعوة:

لقد أثنى الله تعالى على نوح عليه السلام لما قال عنه: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: 81].

هذا الإيمان هو المفتاح السحري للقوى الكامنة في النفس البشرية، فيجعله مقداماً في طريق العمل بما يرضي الله عز وجل، كما يدفع صاحبه إلى تحمل مشاقه وطلبه في أي جهد، والإخلاص في العمل ليتحقق له ما يسعى إليه، فهذا الإيمان لا يترك صاحبه يوماً حتى يرى جميع الناس قد دخلوا في دين الله تعالى، ويرى راية الحق والإسلام عالية خفاقة في كل مكان ومجال(2).

ولتظهر هذه الصفة جلياً في شخصية نوح عليه السلام في الآية التي تأتي فيما لو وجدوا، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿31﴾ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿32﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿33﴾﴾ [هود: 31-33].

وهنا نلاحظ من هذه الآيات مدى الإخلاص في صدق الدعوة عند نوح عليه السلام، ونلاحظ كذلك من هذه الآيات الكريمة بعض الفرق الجوهري بين موقف نوح عليه السلام وموقف قومه.

أما نوح عليه السلام فقد كان يتمثل موقف المؤمن الصريح الصادق الذي لا يخشى المخالفة ولا يعرف التردد والتراجع، ولا يهاب الموت في سبيل دعوته، ويتحدى جميع الخلق فيما يدعوهم أن يقفوا إليه عليه كلهم مؤمنين بمحاربته. أما موقف قومه فكان موقف الجاهل المتعصب المعاند المتردد، الذي لم يكن باستطاعته أن يتخذ موقفاً أو قراراً حاسماً يسأل نوح عليه السلام الذي كانت حجة الإيمان أمامه واضحة من كلامهم وحججهم الكثيرة(3).

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، عن أبي هريرة، رقم (1631).

[2] انظر: النبي الداعية، أساليب الدعوة، محمد السيد الوكيل، ص[illegible].

[3] انظر: القصص القرآني، الترمذي، ص[illegible].

٢- التحلي بالعفة:

إن العاملة يكسب العزة ومكارم النفس والأخلاق الحميدة ما لا يكسبه بكلامه وخطبه ومواعظه الحميدة، فالقدوة الحسنة أمر مؤثر أساسه الظاهر والعزة بسلوك القدوة العملي أكثر من الخطب والكلام اللين، ويجب القدوة من الناس لعلها أمر مدين ومن لا يحقق به، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

وتظهر هذه العفة واضحة في شخصية نوح عليه السلام متمثلاً قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

فهو يقول لهم: إن أول داخل في هذا الدين الذي أدعوكم إليه، وأول داخل في أمر الله هو(١)، أنا مستسلم على شرع الله عز وجل.

٣- العمل والقدرة على الكسب:

إنه من المروءة أن يكسب الإنسان رزقه من كسب يديه ويعمل بيده، وكذا أرسله الله تعالى بوصفه بمهاراته ولم يكن معتمداً عالة على أحد، وقد أرشده الله تعالى إلى الصناعة لتعليم البشرية نوح عليه السلام، ثم أمره الله بصناعة السفينة التي سوف يستقلها لنجاة المؤمنة هو ومن آمن معه.

يقول الله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود: ٣٧-٣٨].

فالعجب أنه كان نجاراً، وإلا كيف يصنع السفينة وليس لديه علم بهذه الصناعة؟! وقد روي من حديث ابن عباس أنه قال: كان داود زراداً، وكان آدم حراثاً، وكان نوح نجاراً، وكان إدريس خياطاً، وكان موسى راعياً(١).

وفي هذا إعلاء لشأن العمل ودليل على شرف العاملين، كما في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم: ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده(٢).

٤- علو الهمة:

[illegible] في المروءة الهمة العالية [illegible] القلب [illegible]

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٣٦.

(١) أخرجه الألباني في كتاب تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، رقم [illegible].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، عن المقدام، الحديث رقم ٢٠٧٢.

إلى جانب الحق، لحصول الأهداف له أو لغيره(1)، هذا وقد أثنى الله عز وجل على أصحاب الهمم العالية وفي طليعتهم ومقدمتهم الأنبياء والرسل عموماً، وأولو العزم خصوصاً، وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم(2)، فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35].

ونوح عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وتجلت عنده الثبات في مجاهدته في إعلاء كلمة الله عز وجل، والدعوة إلى الحق ليلاً ونهاراً وسراً وجهراً(3)، فهو عليه السلام لم يتراجع لحظة ولم يقصر طرفة عين في دعوة قومه إلى توحيد الله تعالى، فلبث [illegible] في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو على دعوة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى [illegible] في هذه المجاهدة.

٥. الشجاعة

لما صمم قوم نوح عليه السلام عن [illegible] والإصرار أمام دعوته [illegible] [illegible] [illegible] إلى التهديد الصريح للرسل الذين جاءتهم من عند الله تعالى ليخرجوهم إلى النور وإلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، وهذه التهديدات [illegible] على [illegible] [illegible] وكبار أصحاب [illegible] [illegible] على [illegible] الرعب في [illegible] وهذا التهديد من سلاح الطغاة دائماً حتماً لا يوجد سمة قوية والجرأة بها صاحب الحق فقالوا له: لئن لم تنته عن دعوتك لسوف نرجمك بالحجارة حتى الموت. ولكن نوحاً عليه السلام لم يخفه هذا التهديد فظل ثابتاً على موقفه [illegible]، ولعل هذا التهديد [illegible] أشد وأرهب، فما كان منه إلا أن لجأ إلى ربه أن الله تعالى يفتح بينه [illegible] ويفصل بينه وبين قومه(1)، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۝ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الشعراء: 117-118].

٦. [illegible]

[illegible] أن [illegible] نوح [illegible] أحد [illegible] عليه السلام وعاطفته وكانت من [illegible]، [illegible] مخاطبة نوح عليه السلام إلى [illegible] [illegible] قالت: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

فأجابه الله عز وجل بقوله: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝﴾ [هود: 46] [illegible] العاطفة [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] ليست [illegible] [illegible] من أهله وارتضى الله تعالى إلى حكم

---

(1) [illegible]، ص 237.

(2) انظر: [illegible] (1/6).

(3) انظر: [illegible] (1/6).

(1) انظر: [illegible] [illegible] 26/37، [illegible] صلاح الخالدي 223.

السير والأمانة وردّه خاطفة ويشفعه عليه فيعطي نبي الله نوح عليه السلام على عاطفته ورضي بحكم الله تعالى لما كان منه إلا التسليم المطلق والاتباع لما يحبه الله تعالى ويرضاه بقوله: فالكل من يحبه الله يقرّبه ويبعده لمن بعد الله تعالى وقد كان لنا نبيه في قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ التحريم: ١٠

٣ - الصبر.

وصف الله تعالى نوحًا عليه السلام بهذه الصفة في معرض الحديث عن أهل الرجال الخلّص من الأنبياء صبرًا وعزيمة أولي العزم من الرسل، ونوح عليه السلام أحد أولي العزم الخمسة الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ الأحزاب: ٧-٨

والمعنى: اذكر أيها الرسول الكريم وقت أن أخذنا العهد المؤكد من جميع الأنبياء السابقين على أن يبلغوا دين الله عز وجل، وأن يتعاضدوا في سبيل تحقيق هذه الغاية وبالخصوص أنبياء الله جل جلاله على أنه سيسأل جميعهم يومًا في أمور شريعته ومكارم الأخلاق، وقد أخذ الله تعالى هذا العهد والميثاق منك أيها الرسول ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام الذين هم أولو العزم من الرسل، الذين تحملوا في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى أكثر مما تحمله غيرهم من الأنبياء، والسبب في أخذ الله عز وجل هذا الميثاق الغليظ أن يسأل الأنبياء عن كلامهم الصادق الذي قالوه لأقوامهم وبماذا رد عليهم أقوامهم(١)

والله تعالى يعلم أنّ هؤلاء الأنبياء صادقون، فلماذا سوف يسألهم يوم القيامة عن صدقهم في تبليغ الرسالة؟ والجواب على هذا السؤال يكمن في مسألتين:

الأولى: أنه في هذا السؤال تشريفًا لهؤلاء الرسل وتأكيدًا لحب الشعب صدقه الصحيح(٢)

الثانية: فيه تبكيت للمكذبين لأنبيائهم لما بلغهم من الأنبياء الكلام الحق فكذبوه ولذلك سبحانه وعد أنبياءه أنه إذا كان الأنبياء سوف يسألون فكيف بغيرهم؟! ليعلموا شدة الموقف الأكبر(٣)

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٦٦٣؛ التفسير الوسيط، طنطاوي، ١١/١٨٨.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، ١١/١٨٨.

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٤/٣.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن يكون الداعية صادقاً في دعوته لأن المقصد من هذه الدعوة هو هداية الناس إلى الله والفوز بالنعيم من الظلمات إلى النور، فكيف يحقق الداعية هذا وهو غير صادق؟! هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يجب أن يكون صادقاً في قوله لأنه يبلغ دعوة الله تعالى كما جاءت، لأن ما يقوله ليس أمراً من رأيه الشخصي فهذا يدفع المدعوين إلى تصديقه والاستجابة له.

ب- الأمانة:

أخبر الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام لما كان يدعو قومه إلى توحيد الله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝﴾ [الشعراء: ١٠٦-١٠٨].

يقول نوح عليه السلام: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ يحتمل معنى قولين:

الأول: قال المفسرون أن نوحاً عليه السلام قد اشتهر بهذا الخلق قبل بعثته بين قومه كما عرفوا صدقه وأمانته من قبل كما كان محمد صلى الله عليه وسلم بأمانته في قريش قبل بعثته.

والمعنى: كنت أمينا فيكم قبل مجيئي إليكم من الله تعالى فتتهموني في دعوتي ما أخبركم به عنه وأنتم لا تتهموني لما أخبركم أني رسول الله إليكم[1].

الثاني: أنّ نوحاً عليه السلام يقول: إني أمين ورسول من الله تعالى أمين على وجهه في رسالته التي أرسلني بها الله تعالى أؤديها كما يقتضي أن أبلغكم ومالفي لا أزيد فيه ولا أنقص منه ولذلك فإن على الأمة أن تسمع له ما يدعوهم إليه والتي الله ونبيه الأمين صادقين وتعلم أنه ما يقول إلا بما يوحي الله عليه فلا أضع ما لم يأمرني به[2].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الداعية يجب عليه أن يكون مشهوراً بالأمانة بين الناس حتى يصدقوا ما يدعو إليه ولا يتهموه بما لا علاقة له بها إن لم يكن كذلك.

ج- النصيحة:

هذا الخلق يتضمن الرحمة بالناس والشفقة عليهم وإرادة الخير لهم والحرص على إنقاذهم من الضلالة إلى الهداية التي يرضى عنها الخالق الله عز وجل وعباده.

فهذا نوح عليه السلام يقول الله تعالى عنه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

---

(1) انظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي ج[illegible] ص[illegible]، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج[illegible] ص[illegible].

(2) انظر: جامع البيان للطبري ج[illegible] ص[illegible]، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج[illegible] ص[illegible]، تأويلات أهل السنة للماتريدي ج[illegible] ص ٧.

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ㊾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ㊿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62)﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٢].

والمعنى: أن الله عز وجل بعث نوحًا عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى إفراد الله تعالى وحده بالعبودية، لأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، وما سواه عز وجل مخلوق مدبر ليس له من الأمر شيء، ولذلك قال لهم: يجب عليكم أن تخلصوا لله تعالى بالطاعة والإخلاص في العبادة لأنه ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره، إذا لم تسلموا ويقيموا على ما أنتم عليه من الشرك والضلال فإني أخاف عليكم أن يحل عليكم يوم يعظم فيه بلاؤكم[1].

ويقصد بهذا اليوم: يوم القيامة الذي ستنالوا فيه عقوبة في الدنيا أو يوم القيامة الذي ينالهم فيه العذاب في الآخرة.

فرد نوح عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بعد من اتهمه عليه السلام بالضلالة عليهم، حيث كان عليهم الغضب الإلهي والعناد المستمر لأمراء المرسلين الذين يفترون على فتكون أعظم من فتنة إيمانهم وأصحابه[2].

كما أن قوله عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: أمر ظاهر في أن أبلغكم ما أرسلني به الله عز وجل أكمل بيان وأوضحه وأبينه، وأرشدكم إلى الهدى الذي فيه الصلاح والخير والفلاح في الدنيا والآخرة[3]، وأعلم من الله تعالى ما لا تعلمونه.

أي: يعلم عن طريق الوحي من أمر الله وسننه في خلقه وما يجري على الدنيا من أحوال الآخرة ما لا يعلمونه، ويعلم أن الله هو القوي المتين، وأنه يبطش بالكافرين الجاحدين، ويكرم من لا يعلمون ذلك الأمر أول أنه عليها الله بكثير منه الأولياء من على وجه الأرض، ولم يبق إلا من آمن مع نوح. قال ابن كثير: وهذا شأن الرسول أن يكون بليغًا فصيحًا ناصحًا عالمًا بالله لا يدركهم أحد من خلق الله في هذه المقامات[4].

وهكذا نجده يحمل الدعوة بالتفاني، فقد بين لهم أحكم البيان، حرص على هدايتهم لعلا يعرضوا أنفسهم لعذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة، وهذا يكون على وجه النصيحة لهم والشفقة عليهم لا ظلم سواء، ويسمعوا منه ويستجيبوا له، وهذا النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٢٩٢، والتفسير الميسر، نخبة من العلماء، ص١٥٨.

[2] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٢٩٢.

[3] انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ١/٤٠٩.

[4] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/٢٢٦.

في الصحيحين: (الدين النصيحة) قلنا: لمن؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)(1)

[illegible] الزهد:

عند الاطلاع على قصة نوح عليه السلام في مخاطبته لقومه نجده يقول: ﴿[illegible] ۝ [illegible] من أجر إن أجري إلا على رب﴾ الشعراء: [illegible]

وفي موضع آخر يقول: ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني﴾ هود: 51

[illegible] على أنه لم [illegible] لا [illegible] عليهم [illegible](2) [illegible]

وكذلك نجد في قصص الأنبياء مع [illegible] الأنبياء والرسل [illegible] من [illegible] على [illegible] عن [illegible] الرسل عليهم السلام [illegible]

[illegible] من [illegible] أن يكون له [illegible] على ما [illegible] من رب العالمين؛ لأن الصفات التي [illegible] لا يستطيع بشر أن [illegible] على [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] على [illegible](4)

[illegible] هذه الصفة في [illegible] جميع الأنبياء والمرسلين، فهم لا [illegible] الأنبياء [illegible] شيئا من [illegible] من الدعاة والعلماء [illegible] في [illegible] من [illegible] من الله تعالى إلا [illegible](5)

[illegible] هذه الصفة هي من أهم الصفات في نجاح الداعية في [illegible] الداعية [illegible] أن [illegible] على الداعية أن [illegible] في [illegible] من أن يكون [illegible]

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، عن تميم الداري [illegible]

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

[3] انظر: [illegible]

[4] [illegible] الشعراوي.

[5] [illegible]

حتى يصبح الناس حوله ولا يقربهم

١ - الصبر:

لقد كان نوح عليه السلام بهذا الخلق الراقي الذي تحمل أذى قومه تسعمائة وخمسين عاماً وهي أطول فترة دعوية، واستخدم معهم جميع الأساليب والوسائل الدعوية إلا أنهم كانوا يكذبونه ويردونه ويصدونه [illegible] والسخرية والاستهزاء، فلما بلغ السيل الزبى دعا ربه فقال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

وكان في ليلة تضرعه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝﴾ [نوح: ٥-٦].

فاستجاب الله تعالى دعوته والنصر له من قومه الذين [illegible]: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۝﴾ [الصافات: ٧٦-٧٧].

وهكذا فإن الصبر على الأذى هو سلاح قوي يجب على الداعية التسلح به ليصل إلى غايته ويحقق ما يريده ويطمح إليه.

٢ - الحلم:

فكم ما أوذي نوح عليه السلام من قومه أشد الإيذاء، ومع أنه دعوه لهم [illegible] أن يصل معهم حلمه [illegible] على الغربة، ومع ذلك كان نوح عليه السلام يلاحقهم ويخاطبهم في أمر الدعوة كافة، لا يلقى منهم إلا التكذيب والتعرض بالأذى بالسخرية والاستهزاء، حتى بالإشارة إلى العيب الصريح الفاحش الذي كانوا يلصقونه به حينما لا يجدون منطقاً سليماً وحجة قوية ومقنعة يرد على نوح عليه السلام، فقد عهد عليه السلام بالوضع كثيراً من التهجمات، وكفى ما عهد به من قومه حيث قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [الأعراف: ٦٠].

ومع ذلك لم يصدر عنه عليه السلام إلا كل الخير [illegible] أن توجه إلى الله عز وجل بالصلاح وقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝﴾ [القمر: ١٠-١١].

من أجل هذا يعد الحلم من سمات الأخلاق التي يجب على الداعية أن يتحلى بها لأنه يواجه أنواعاً وأصنافاً كثيرة من الناس، ولو [illegible] لم يتحل الداعية بهذا الخلق الرفيع الذي يليق بالداعية لم يستطع أن ينجح في مهمته.

٣ - التواضع:

لقد تحلى نوح عليه السلام بهذا الخلق الرفيع [illegible] من خلال الحوار الذي جرى بينه وبين قومه الأول [illegible] لقد طلبوا من نوح عليه السلام أن يطرد الذين آمنوا معه من الضعفاء والفقراء [illegible]

سوقًا خشنًا وهم لا يطلبون له من مال الصحابة والفقراء الذين يسمونهم أراذل القوم، وطلبا من باب استكبارهم وتعاليهم وترفعهم، ولكن نوحا عليه السلام أبى هذا الطلب، ومن ثم أبى يتجاوز الميزان السماوي الذي يزن به الناس عند الله عز وجل، وهو الإيمان، فهؤلاء المؤمنون في ميزان الله تعالى سابقون وليس بالموازين الأرضية الخاطئة التي يزنون بها من أتى وأتباعه(1)، فقال الله تعالى حاكيًا هذا الموقف على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝﴾ (هود: ٢٩-٣٠).

فيظهر تواضع نوح عليه السلام في عدم طرده المؤمنين معه الذين هم من طبقة الضعفاء والفقراء، بل تواضع لهم وأجلسهم في مجلسه، وقال لهم سبل التقرب إلى الله عز وجل، وهكذا يكون تواضعه عليه السلام لله تعالى، ولأوليائه المؤمنين به وبدعوته.

ونخلص من هذا أن الداعية يجب عليه أن يتحلى بهذا الخلق حتى يكون قدوة على جميع الأصعدة مع أصحاب الوجاهة والمساكين والفقراء سواء، ويستحضره إليه ويكرره بعد ذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»(2).

هذا على سبيل المثال، أما من خلقه تعالى ثقة صاحب هذا الخلق يرفعه الله تعالى عزًا وقدرًا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(3).

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤، ١٨٧٧، التفسير المنير، الزحيلي، [illegible].

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، من الحديث ٢٨٦٥ رقم.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، من أبي هريرة [illegible] (٢٥٨٨).

[illegible]

أولاً: اصطفاؤه وتكليفه بالرسالة

أخبر الله عز وجل في جملة من آياته أنه اصطفى مجموعة من الأنبياء الذين هم أولياؤه وأصفياؤه وأحباؤه [illegible] عنه تعالى وبرسالته ومن هؤلاء نوح عليه السلام، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 33].

وأعلم بأن الأمر حدث عنه الاصطفاء في جعله الله عز وجل [illegible] رسول [illegible]، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163].

كما أنه عليه السلام من أولي العزم من الرسل، كما قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: 7]، فذكر نوح عليه السلام أول رسول مذكور في مراتب الأنبياء والرسل، [illegible] المرسلين.

هناك إذاً مسوغات ومرجحات لاصطفائه واجتبائه أمور خمسة، وهي كما يلي:

الأول: إن الله جل جلاله جعله أبا البشر فإن الله تعالى [illegible] قومه بالطوفان كان الناس كلهم قد غرقوا وصارت ذريته هم الباقين، فيعد نوح عليه السلام هو أبو البشر الثاني بعد آدم عليه السلام.

الثاني: إن الله تعالى أطال عمره فلقد مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً بالإضافة إلى عمره قبل تكليفه بالرسالة وإلى عمره بعد نجاته والمؤمنين من الطوفان.

الثالث: إن الله عز وجل استجاب دعاءه لما دعا على الكافرين من قومه فأهلكهم الله تعالى بدعائه [illegible].

الرابع: إن الله سبحانه وتعالى نجاه على السفينة التي أمره بصنعها لنجيه والمؤمنين معه من الطوفان الذي [illegible] الكافرين.

الخامس: هو أول رسول شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام والعبادات والفرائض ونسخ الشرائع التي كانت قبله من حل الزواج بالأخوات والعمات[2].

هذا بالإضافة إلى ما وهبه الله تعالى من الصبر والاحتمال والشكر والصبر إلى الله تعالى في جميع الأزمنة والأحوال[3].

---

(1) انظر: [illegible] التفسير [illegible] ٣٣٢/٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]، مفاتيح الغيب، الرازي [illegible]، [illegible] ابن [illegible]، [illegible] الفضل [illegible].

(2) انظر: تفسير الكريم الرحمن، السعدي، ص[illegible].

ثانياً: معالم دعوته.

من خلال استعراض الآيات القرآنية التي تناولت دعوة نوح عليه السلام للقوم نجد أن دعوته عليه السلام ارتكزت على ثلاثة معالم.

الأول: الاستسلام إلى أمر الله القوي العزيز.

الثاني: الدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل.

الثالث: الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر.

والآن إلى تفصيل هذه المعالم فيما يأتي.

الاستسلام إلى أمر الله القوي العزيز.

إنّ التعبير بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٥٩]

وهذا التعبير مؤكد بثلاثة مؤكدات الأول: أسلوب قسم دلت عليه اللام الموطئة له، هذا الأول، أما الثاني فهو حرف التحقيق (قد) الداخل على الفعل الماضي (أرسلنا) فيدل على التأكيد وعلى تحقق وقوع الفعل، والثالث هو صيغة الفعل الماضي (أرسلنا) الدالة على أن الفعل قد حصل فعلاً وانتهى في حين كان التعبير في سورة نوح بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ فهو مؤكد بمؤكد (إنّ)، والفعل الماضي هنا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الفعل (أرسلنا) مسندٌ إلى نون العظمة فهذا الإرسال ليس من عند أحد إنما هو من عند الله عز وجل بجلاله العظيم وبصيغة عظمته الجلال والكمال، فكان نوح عليه السلام مستنداً في دعوته إلى قوة القوي العزيز بدءاً من البداية وعلى ذلك يسير الأنبياء والمرسلون في دعوتهم الأقوام.

ويستفاد من هذا أن الدعاة إلى الله عز وجل يجب عليهم أن يستظلوا بالحق الذي يجب الركون إليه سبحانه وتعالى لا غالب، ولا يضعفوا ولا يشعروا بالهزيمة والانكسار إنما يستمدون القوة المستمدة من قوة الله عز وجل[1]، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

٢- الدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل:

أمر نوح عليه السلام قومه بعبادة الله تعالى، ونبههم على [illegible] أنه لا إله لهم سوى الله تعالى، فقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وفي موضع آخر: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢٦].

ومعنى عبادة الله تعالى توحيده عز وجل، ويسمى التوحيد عبادة؛ لأن العبادة لا تصح إلا بالتوحيد فيها أصلاً[2]، والأمر

---

[1] انظر: التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، [illegible]

[2] انظر: [illegible]

نوح عليه السلام دعوته مستدلاً بالدليل وهو قوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وكذلك قومه بعبادة [illegible] ويعبدوا الله الصنم إلى الله الذي لم يعرفوا بالله عز وجل ربهم وكفرهم مركوز في الديانة سببه هذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله تعالى، فبين لهم نوح عليه السلام أنه ليس هناك إله يستحق العبادة إلا الله جل جلاله، الله هو الخالق الرازق المدبر لجميع الموجودات، وما سواه مخلوق عاجز ليس له من الأمر شيء(١)، فهو الإله الذي يجب أن تصرف القربات له والطاعات الخالصة إليه وإفراده بالعبادة وحده.

وهذا المنهج الذي بدأ به نوح عليه السلام دعوته هو الأساس الذي بني عليه الرسالات، كما أن هذا المنهج هو الذي أتى به كل الأنبياء والرسل بدعوة أقوامهم وبدعوتهم إلى هذا الطريق المستقيم ويدعونهم إلى عبادة الله تعالى وحده، كما قال جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

لهذا يؤكد أن العقيدة والأصول الثابتة لهذا الدين هي واحدة عند جميع الأنبياء والرسل، وإنما الشرائع والأحكام الفقهية هي التي تختلف.

٢- الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر:

كما دعا نوح عليه السلام قومه إلى إفراد الله عز وجل بالألوهية والعبادة فقد دعاهم كذلك إلى الإيمان باليوم الآخر، يوم البعث والحساب، محذراً إياهم من عذاب الله تعالى في هذا اليوم، فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وفي موضع آخر قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦].

وذكر المفسرون أنه لا مانع من أن المقصود باليوم في الآيتين هو يوم القيامة أو يوم نزول عذاب الطوفان عليهم(٢) والتعبير بعظمة الهلاك والعذاب سواء كان في الدنيا أم في الآخرة.

وعلى كل فإن نوحاً عليه السلام حذرهم من يوم القيامة بما من خروج الناس من قبورهم وما يكون في هذا اليوم من أهوال وأحداث حتى يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار ويستقر كل منهما فيما أعد له.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible]

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري: ٢/[illegible]، أبي حيان الأندلسي: ٥/٢١٢

ويعد التأمل في صفات المخاطب [illegible] [illegible] على سبيل مبالغة على بيان أحواله فيما يدل على أن هذا [illegible] لا [illegible] من جهته ولا [illegible] [illegible] في [illegible] فيمكن تقبل مدى قوة هذا الخطاب [illegible] وعظمته وقوة إلزامه.

ثالثاً: أساليب دعوته

تعددت أساليب دعوة نوح عليه السلام ومن خلال استقراء الآيات نجد فيها عدة أساليب نذكر منها ما يلي:

- أسلوب الحوار:

وهو أسلوب استخدمه نوح عليه السلام مع قومه لبيان الحق، ومن ضمن [illegible] وطلب الإيمان بالله تعالى ومنها قوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (الأعراف: ٦٣).

والمعنى: أتعجبون يا قوم أن جاءكم [illegible] ومواعظ من ربكم تشتمل على [illegible] على [illegible] منكم تعرفون صدقه وأمانته من [illegible] ليحذركم عقاب الله تعالى إن [illegible] ولكي تتقوا [illegible] ولعلكم ترحمون[1].

كما حاول نوح عليه السلام أن يقنع عقولهم وأن يوجهها إلى ما في الكون من آيات يظهر فيها خلق الله عز وجل [illegible] [illegible] الأمر الذي [illegible] كما وجه أنظار المشركين إلى الله تعالى وحده [illegible] المستحق للعبادة [illegible] [illegible] الجاحدين [illegible] هذا الكون نوح عليه السلام قومه قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ (نوح: [illegible]).

والمعنى: أن نوحاً عليه السلام لفت أنظارهم إلى خلق السموات والأرض وما فيهما من الدلالات على أنها مخلوقة، وأن خالقها [illegible] هو الذي يستحق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] أن الله هو الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وجعل القمر في السماء [illegible] [illegible] الشمس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الأرض [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كما جعل [illegible]

---

[1] انظر: معالم التنزيل، البغوي، ج٢، [illegible]

بأهله ومد الأرض مبسوطة ممهدة عليها كما تتقلبون فيها لتسلكوا منها طرقًا واسعة في يمكن الانتفاع بها والتنقل على أرجائها.

فكان المخاطب لهذا الأسلوب يخاطب عقولهم وحسهم بمفاهيم المشاهدة.

٢ أسلوب الترغيب.

وهو ترغيب بالوعد والإنعام بأنواع الخيرات والمغفرة من الكفر[3].

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝﴾ [نوح: ١٠-١٢].

فقد أطمع نوح عليه السلام قومه بالحصول على بركات السماء والأرض إذا هم استجابوا لدعوته وآمنوا بالله جل جلاله التي بها مطالب الفطرة [illegible] من طريق الطلب [illegible] مطالبهم، فقال لهم: توبوا من الكفر والمعاصي فإن الله تعالى تواب رحيم يغفر الذنب ويقبل التوبة، ويرسل عليكم المطر غزيرا متتابعا ويكثر لكم الأموال والأولاد ويجعل لكم البساتين النضرة ذات الأشجار المثمرة ويجعل لكم الأنهار تجري خلالها[1].

٣ أسلوب الترهيب.

استخدم نوح عليه السلام أسلوب الترهيب مع قومه[2] فقال لهم: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝﴾ [نوح: ١٣].

والمعنى: أي شيء لكم يمنعكم مخافة الرب ونهاية ارتكابكم من قبل ترجونه الرحمة ومن قبل أنه يأتيكم عقاب أليم شديد الأثر الخطير[3] فالرجاء والخوف وتعالى العقوبة فإنهم هنا بالإيمان والتصديق لم يرتجوا على عدم الاستجابة لدعوته فقال: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝﴾ [نوح: ١٤] أي ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة وقدرا على أخذكم بالعقوبة[4].

٤ أسلوب العاطفة.

استخدم نوح عليه السلام طريقة التوجه إلى قومه عن طريق العاطفة مشاعرهم والرحمة بحكم القرابة التي من شأنها أن يستميل بها ويكون عونا له على القيادة قومي قال عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [الأعراف: ٥٩].

---

[1] انظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، [illegible].

[3] انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد القحطاني، ٢/٨٨٨.

(١) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ٣/٤٦٨.

(٢) انظر: مفهوم الحكمة في الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد، ص[illegible].

(٣) انظر: التفسير الواضح، محمد حجازي، ٣/٧٤٣.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/٣٠٣.

ومن التراكيب ظهور الله بتصويره في صورة ومشهورا له. هذا وقد [illegible] ثلاثة إنما قرية لإنذار مرحلته في أهل قوم عليه السلام مع قومه في مراحل دعوته فقال الله عز وجل على لسانه عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (الأعراف: ٥٩-٦٢).

فكان لها جمع السلامة في الترهيب إلى ترغيب.

أسلوب الجدال المحمود

فالجدال المحمود هو نوع من أنواع الجدال وهو قائم على الدليل العقلي والنقلي بإقامة الحجج القوية والأدلة والبراهين على صحته، فهذا النوع من الجدال له أهمية كبرى في رفع الإسلام كما أنه من المسلمين لأنه يؤدي إلى تعميم الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والتعامل من دون العنف [illegible] ولذا نجد في القرآن الكريم هذا النوع من الجدال كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

وقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وتظهر هذه الآيات عمق الإيمان النبوي والدعوة إليه بالحكمة عن الإسلام والمسلمين أمام ما يلحق بهم من الويلات بالأذى وإيذائهم(١).

ويعرض نوح عليه السلام أسلوب الجدال المحمود القائم على المنطق القريب والحجة القوية والرأي الصحيح في صورة الترهيب إلى عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ

---

(١) انظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبدالقادر السقاف (٢).

[illegible] ۝ [illegible]

[illegible] ۝ [illegible]

[illegible] ۝ [illegible] ۝ [illegible]

[illegible] ۝ [illegible] ۝ [illegible]

[illegible] قومه [illegible]

ولما [illegible] نوح عليه السلام [illegible]

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible] عليه السلام [illegible]

[illegible] لما [illegible]

- ■ [illegible] الإيجابيات التي [illegible] قومه [illegible] بكل [illegible] وسعة صدر [illegible] مع [illegible] بالمخالفة [illegible] الإيجابيات [illegible] بعيدا عن السب والشتم والتجريح وهذا ما فعله نوح عليه السلام فلم يرد على ما [illegible] إليه من [illegible] أو [illegible] بل رد على الإيجابيات التي هي [illegible]
- ■ الرد على ما يحتاج إلى رد [illegible] القوم قوم نوح [illegible] ثم رد عليهم [illegible] في [illegible] على الأمور التي تخص الدعوة.
- ■ [illegible] والوضوح ومن الأمثلة على ذلك ما [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]
- ■ عدم [illegible]

الهدف، وإنه على الخصوم ليس لديك أي قدرة في دعوته بل يستخدم إلا سلاح الإكراه.

مواقف قوم نوح عليه السلام من دعوته

أولاً: تكذيب قوم نوح

بعد أن عرض نوح عليه السلام دعوته وعرضها على قومه كيف كان استقبالهم للدعوة؟ وماذا كان ردهم عليها؟

ذكر الله تعالى تكذيب قوم نوح عليه السلام له ولدعوته بشكل عام في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ⑫﴾ (ص: ١٢)

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ (القمر: ٩)

فهي أول من امتنع عن قبول الدعوة وناقشها ودافع في طريقها وجهة ضلالهم الملأ من قومه، وأصلاً هي جماعة محصورة على رأيه بمطاردة الدعوة بروية ومعاداة وتعرض بهذا وعنادا.

ثم قرأنا حقيقة القوم ومنطقهم ومبرراتهم الشخصية بطريقة طبيعية لتعرف الدعوة بطريقة أنهم إن استطاعوا التي الموجهة إليهم أنه سيجنبهم مكانتهم وجاههم ومناصبهم ومكانتهم في المجتمع، فإنا هم بالطريقة دعوا قومهم ودعوتهم بالأباطيل التي هي المعدول عن طريق الحق والصواب.

المفردات للأصفهاني ص٣٧٦

[illegible](1) يقول الله عز وجل [illegible] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: 60].

أي إنه تعالى في [illegible] إنه واحد في ضلال عن الحق [illegible] في [illegible] من [illegible] وهذا [illegible] في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: 27].

[illegible] الثلاثة [illegible]:

الأول: قولهم: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ أي: [illegible] [illegible] في البشرية [illegible] الله [illegible] [illegible].

الثاني: قولهم: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ أي: لم [illegible] فيما زعموا أحد من الأشراف [illegible] من [illegible] لهم [illegible] ولا [illegible] في [illegible] ولا [illegible].

الثالث: قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: [illegible] من [illegible] ولا [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible] ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ أي في كل ما تدعونه وتزعمونه(1).

[illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] فقال الله تعالى عنهم: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 24].

أي: [illegible] ما هو إلا رجل [illegible] ليس له ميزة عليكم في [illegible] ولا [illegible] [illegible] للنبوة [illegible] بل هو [illegible] أن يسود عليكم [illegible] [illegible] الرسالة [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible].

الأول: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ أي لو شاء الله أن نعبده وحده لأرسل إلينا ملائكة تؤدي الرسالة وليس بشرا.

الثاني: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سمعنا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible].

الثالث: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص23.

(2) انظر [illegible] [illegible] [illegible].

[الزخرف: ٢٣].

أي: ما نرى إلا رجلا به خبل في عقله، ولذلك يتكلم بهذيان لا يصدر عن رجل عاقل، ولذا قالوا: انتظروا به مدة قريبة لعله أن يفيق من جنونه ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٥].

أي: اصبروا وانتظروا لعله يعود إلى سيرة الآباء التي عليكم وعن آبائكم وأجدادكم.

وهكذا يظهر الكبر جليا في قوم نوح عليه السلام، وليس هذا فحسب بل اتهموه بالجنون مع علمهم بأن نوحا عليه السلام من أرجح الناس عقلا وأكثرهم رزانة في كلامه.

ثالثا: صفات قوم نوح

تعددت صفات قوم نوح عليه السلام، ومن خلال استقراء الآيات الواردة فيها سنقوم بجمعها مجملة في الآتي:

١- السوء

ويصفهم الله تعالى بهذا الوصف في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٧].

فهيهنا دعا نوح عليه السلام قومه إلى توحيد الله عز وجل وأمرهم أن [illegible] من هذه الفئة الكافرة وجعلوا أصابعهم في آذانهم ... من الله تعالى إلا أنه لم يتبعه والذين آمنوا معه في الفلك، وأغرق الله عز وجل الذين كفروا بآياته وسخروا منه ولم يتبعوا نبيهم ولم يطيعوا أمره ولا أتباعه فأغرقهم بالطوفان لأنهم كانوا قوما عمين عن الحق والإيمان[2]، فقد كانوا يصرون على عنادهم.

٢- التحدي

عندما وصلت لحظة المكاشفة الفاصلة بين الحق والباطل، عمد نوح عليه السلام إلى أنه يتحداهم بأن يجمعوا كلهم على أمر واحد ويعاجلوه بالقضاء عليه ولا ينظروه، فقال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

ولكنهم لم يستطيعوا أن يضروه أو أن يقتلوه أو [illegible]، مما يدل أن نوحا عليه السلام مؤيد بمعونة القوة التي منحها الله عز وجل وحسن التأييد الإلهي.

وبذلك يظهر أن مواقف قوم نوح عليه السلام كانت مواقف المعاندة الضعيفة الواهية المتهافتة المتحيرة.

٣- سوء الأدب

---

[1] انظر: نظم الدرر للبقاعي ٨/١٦٨.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/٢٢٧، دار الكتاب العربي [illegible].

إلا قوم نوح قد أشركوا فضلوا عن [illegible] الذي أرسل فيهم الكثير [illegible] بالتوحيد ويعدهم بالرحمة ولكن لم أبوا عنهم الضلال بسوء الاختيار وكلما رأوا نوحا نوح عليه السلام ما يفعله ولي الضلال رأينا كيف كان نوح عليه السلام يخاطبهم بلفظ التحبب إليهم والشفقة عليهم والنصح لهم ﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين﴾ ووصفهم الله تعالى بأنهم قوم سوء فقال: ﴿إنهم كانوا قوم سوء﴾ [الأنبياء: ٧٧]

أي أنهم كانوا قوما بسوء الأعمال يبغضهم الله تعالى ويمقتهم أيضا[1]

٢- السخرية

عندما أخبر نوح عليه السلام أنه ما جاء في قومه أوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن معه [illegible] ويصنع السفينة الفاصلة بين الحق والباطل [illegible] إليه أنه يصنع السفينة في [illegible] بها عن بالموعودة منه من هذا الطوفان الذي سيأتي بعد [illegible] الكافرين، فاستقبل نوح عليه السلام الأمر به وشرع يصنع السفينة وأخذ يصنعها وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه واتخذوه هزوا وقالوا يا نوح كنت بالأمس نبيا والآن [illegible] نوح [illegible] أن يسخروا من صناعته للسفينة وهو ما من البحر والأنهار، فرد عليهم نوح عليه السلام كل مرة بالمقالة: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ المقابل [illegible] بالطوفان كما تسخرون منا الآن، فهم الأول والأخير بهذه السخرية والاستهزاء ثم الرجعة بتعذيبهم بأنهم سوف يعلمون عاقبة التكذيب والاستهزاء قال الله تعالى مصورا هذا الأمر: ﴿ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ۝﴾ [هود: ٣٨]

وعليه فإن السخرية خلق ذميم ومن أبرز صفات أهل قوم الكافرين [illegible] قوم نوح، حيث الذين كفروا بالله سبحانه وتعالى وسخروا من أنبياء الذين أرسلهم الله تعالى إليهم

٣- الفسق

قال الله عز وجل: ﴿وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين ۝﴾ [الذاريات: ٤٦]

والمعنى: أن قوم نوح عليه السلام من قبل هؤلاء أهلكهم الله عز وجل لأنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله تعالى[2] وعليه سنة الله تعالى في عباده.

٤- الظلم والطغيان

ووصف الله تعالى قوم نوح بأنهم

---

[1] انظر جامع البيان للطبري [illegible]

[2] انظر [illegible] ٢٣/١٧

[3] انظر فتح القدير للشوكاني [illegible]

المرسلين المتقدمين، فقال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ [النجم: ٥٢].

والمعنى: أن قوم نوح كانوا في [illegible] قبل إهلاك عاد وثمود، وكانوا أكثر ظلما وطغيانا بسبب [illegible] نبي الله نوحا عليه السلام، ويطاردون الناس عنه، [illegible] صبيانهم من السماع له، كما كانوا يضربونه حتى لا يكون [illegible] على [illegible] سنة[1]. وفي قول نوح عليه السلام: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢٤] تسجيل عليهم بالظلم[2]، فقد ظهر ظلمهم جليا [illegible] من الجهل [illegible] عليه السلام أو [illegible] من الظلم لم يؤمنوا جميعا [illegible] عن الإسلام [illegible] عن اتباع نوح عليه السلام.

٣- المكر

وصف الله تعالى قوم نوح بالمكر، فقال عنهم: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ [نوح: ٢٢].

أي: مكرا بالغا [illegible] في [illegible] الحق[3]. فكلمة (كبارا) صيغة مبالغة جعلت [illegible] المعنى [illegible].

واختلف العلماء في معنى مكر قوم نوح على [illegible]:

- أي تحريضهم السفلة من القوم على قتل نوح عليه السلام.
- أي [illegible] على الناس بما أوتوا من المال والولد حتى قال الضعفاء: لولا أنهم على الحق لما أوتوا هذه النعم.
- أنهم جعلوا لله تعالى من الصاحبة والولد.
- أي كفرهم[1].
- أي [illegible] لأتباعهم [illegible] لا [illegible][2].

٤- حب الرياسة والجاه.

[illegible] بصورة الرياسة والجاه والسلطة على [illegible] الضعفاء والفقراء، ولذلك فهم يحاربون دعوة الحق [illegible] الحق ويطاردون المؤمنين [illegible] الحق [illegible] ومكانتهم [illegible] الظاهرة [illegible] أمام الناس؛ لذلك كان حب الرياسة والجاه والسلطة من أهم أسباب رفضهم دعوة نوح عليه السلام.

---

[1] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، [illegible].

[2] انظر: فتح القدير، الشوكاني، [illegible].

[3] انظر: محاسن التأويل، القاسمي، [illegible]، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، [illegible].

[1] انظر: فتح القدير، الشوكاني، [illegible].

[2] انظر: مراح لبيد، محمد بن عمر الجاوي، [illegible].

الراء مع الهمز

راءى يراءى مراءاة ورياء: أرى الناس عمله ليمدحوه عليه. قال الله تعالى: ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿لِيُرَآءُوكُمْ﴾ [الماعون: ٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحشر: ١١]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَهَوْا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ [المجادلة: ٨

شدة بطشهم الحق، وأصروا على كفرهم وتكبرهم واستكبروا على الحق استكبارًا، وازداد شرهم وطغيانهم في الأرض، ثم إن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واحد منهم على [illegible] [illegible] لهم الترك ما كانوا عليه من الظلم والمعاصي والشرك واستكبروا عليه [illegible] الله تعالى على العظمة التي [illegible] والخلق.

ثم [illegible] لهم [illegible] [illegible] ما [illegible] لا [illegible] الله تعالى ولا [illegible] له [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من بعد خلق على مراحل عديدة إلى أن [illegible] إلى ما أنتم عليه الآن من الكفر [illegible] [illegible]

كما دعاهم [illegible] إلى التفكر في الآفاق والمخلوقات من سماوات وما فيها من قمر وشمس ونجوم كيف خلقت [illegible] ثم عليه السلام من [illegible] [illegible] في [illegible] لم [illegible] إلا على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكيف خلقت لهم الأرض [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والأرض لم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ثم استمر نوح عليه السلام في دعوته الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ۝﴾ (هود: [illegible])

أي: إنهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] واتهموا [illegible] والأراذل الذين لم [illegible] [illegible] [illegible] إلا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأصنام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلا [illegible] [illegible] لم [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible].[4]

كما قال في موضع آخر: ﴿[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]﴾ (الحجر: [illegible])

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] حيث [illegible] [illegible] ما جاءت به من عند

---

[4] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الكفر لديهم، ويستمرون في طغيانهم بإنكاره على الكفر عند هذا الحد بل تعدوا إلى نفي بأنه الكاذب [illegible] الله [illegible] بالرجم(١)

ويفسر هذا القول في موضع آخر ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ⑩﴾ [الشعراء].

أي: كذبوا نوحًا [illegible] على سحروا حتى واستحكم اليأس منهم.

ويلاحظ من شكوى نوح عليه السلام ومناجاته لله عز وجل أن هذه الشكوى لم تأت بصورة [illegible] أول عقبة في طريق الدعوة أو أول صد له من معارضيه بل كانت لم تأت من أن الدعوة لقيت مرارًا والأذى حتى [illegible] حتى يهجرها [illegible] الشكوى، فجعلها لم يجد حلًا إلا في الاستجابة لربه [illegible] واستحكم اليأس منهم، كما أن هذا يدل على مدى صبر نوح عليه السلام على قومه وشدة تحمل الأذى والمكابرة حتى تصعب على الداعية الأولى والأمة نبي الله نوح عليه السلام.

ويلاحظ من هذه الشكوى كذلك أنها تمهيد من نوح عليه السلام ورجاء منه ليدعو على قومه بالهلاك، ولجأ إلى ربه وشكى معرضًا عن ابتهاجهم له سرًا وإعلانًا، الأمر جليًا من قوله الأمر بالمعروف وإنهي عن الشكر(٣)

رابعًا: دعاء نوح على قومه

لما أيس نوح عليه السلام من فلاح قومه من الكفر وأيس من إيمانهم دعا عليهم بالهلاك، وهذا الدعاء منه لم يكن إلا بعد أن وصل إلى مرحلة أيقنه الله تعالى إلى أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، واستحباب للدعوة، فأذن الله تعالى له بالدعاء عليهم؛ لأن الأنبياء لا يدعون على أقوامهم بالهلاك إلا بإذن من الله عز وجل في ذلك، والدليل على ذلك أنه عاتب يونس عليه السلام لما خرج من بين قومه بلا إذن من الله تعالى، ثم لما عاتب يونس عليه السلام بالشكر ربه بلا إذنه، فلا يستطيع أن يدعو عليهم بالهلاك إلا بإذن الإله(٤)

وكان دعاؤه عليه السلام بقوله: يا رب لا تترك عليهم [illegible] كافرين ويعصوني ويخالفون [illegible] رسالتي، وإنما [illegible] أصلحت بلا [illegible] واجعلهم كافرين في رحمتك وسعادتك [illegible]، وذكر بعض العلماء أن نوحًا عليه السلام دعا عليهم حين أخرج الله تعالى كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم، وأعقم أصلاب الرجال وأرحام

---

(١) انظر: المراجع الآلية والطلع السبك عدة الدين محمد الضمير، ص ٢٦٢/٢.

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٨/ [illegible].

(٣) انظر: [illegible] ٢٦.

(٤) انظر: الدلالات لعل الصحف المطبوعي، ٧٣/٨.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١٠/ [illegible].

[illegible] القلب بسببهن سنة الله [illegible] دعاهم نوح عليه السلام إلى الاستغفار بسبب حتى ينزل عليهم المطر وتكثر الأرض [illegible] بعدها [illegible] الذي لأنه [illegible] وأمره إلى دعوته عليه السلام على قومه [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible] عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑫﴾ [القمر: [illegible]].

أي: [illegible] ربه [illegible] [illegible] [illegible] من أبواب [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] من أبواب [illegible] والمخرج من [illegible] في والمؤمنين [illegible] [illegible] [illegible].

كما قال أيضًا في دعائه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر: [illegible]]، أي: إني مغلوب من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].[illegible]

وفيه موضع آخر قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ㉖ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ㉗﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

أي: يا ربي لا تبق منهم أحدًا يسكن الديار إلا أهلكته [illegible] [illegible] يا رب لا تتركهم على الأرض فإنهم يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا [illegible] وأغرق العصاة.

ثم دعا عليهم مرة أخرى فقال: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨] أي: لا تزد [illegible] الظالمين إلا هلاكًا وخسرًا [illegible] [illegible] كل ظالم إلى يوم القيامة[3].

خامسًا: [illegible] قوم نوح

أوحى الله عز وجل له بعدما أوحى إلى نوح عليه السلام أنه لن يؤمن من قومه إلا القليل الذين استجابوا له ولم تعد هناك فائدة من دعوة نوح عليه السلام لهم [illegible] عليهم [illegible] الله تعالى [illegible] على قومه الذين كانوا يعصون الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] وسجلت الآيات التي تحدثت عن هلاك قوم نوح أنه [illegible] [illegible] الأسباب الآتية:

السبب الأول: ما كان عليه قوم نوح من إساءة [illegible] ومعصية الله جل جلاله [illegible] [illegible] في [illegible] أمر تعالى [illegible] عن [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible]: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم [illegible]

---

[1] انظر: [illegible] [illegible] [illegible]/ [illegible] [illegible] بن عمر [illegible] [illegible]

[2] انظر: البحر المحيط [illegible] [illegible]

[3] انظر: فتح القدير للشوكاني [illegible] ٢٦

[4] انظر: جامع البيان للطبري [illegible] ١٧٩

﴿٧٧﴾ [الأنبياء: ٧٧].

السبب الثاني: ما اتصف به قوم نوح من الظلم [illegible] فذكر الله تعالى عنهم أنه [illegible] وأطغاهم والطغيان [illegible] المدة الدعوية التي امتدت ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهذا الطغيان قد أحاط بهم من كل جانب [illegible] على الظلم [illegible] نوح عليه السلام. قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ١٤﴾ [العنكبوت: ١٤].

السبب الثالث: ما كان عليه قوم نوح من [illegible] [illegible] آية [illegible] من دون الله تعالى [illegible] من عذاب الله عز وجل[1][2] قال عنهم: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٣٢﴾ [هود: ٣٢].

فطالب الطوفان [illegible] في [illegible] [illegible] من [illegible] هذا [illegible] الرابع [illegible] الله عز وجل [illegible]

وطردهم لا [illegible][3] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً [illegible] ٣٨﴾ [الرعد: ٣٨].

وبهذا الهلاك والاستئصال للكافرين [illegible] على [illegible] قوم نوح [illegible] ثم جعل الله تعالى منهم أمة على وجه الأرض.

سادساً: حكمة [illegible] الرسل [illegible] بعد قوم نوح

إن الله عز وجل قد جعل هلاك قوم نوح آية [illegible] كما ذكر ذلك في كتابه العزيز فقال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٣٧﴾ [الفرقان: ٣٧].

[illegible] حيث جعل الله تعالى إهلاك قوم نوح [illegible] بالطوفان آية وعبرة للكافرين من الأقوام التي أتت بعدهم إلى يوم الدين، وكذلك جعل نجاة المؤمنين وخلاصهم من الطوفان آية وعبرة للمؤمنين من الأقوام التي أتت بعدهم إلى يوم الدين، فجعل الآية والعبرة لما يؤول إليه عاقبة أمر كل مكذب ومصدق، فعاقبة المكذبين الهلاك وعاقبة المؤمنين [illegible]

---

[1] انظر: [illegible] ١٢/ ٣٣٧.

[2] انظر: [illegible] المصدر [illegible] ٣٠.

[3] انظر اللباب في [illegible] الكتاب لابن عادل الحنبلي ١١/ ٢١٩.

الصادقين النصحاء(١)

فها هم الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى بعد نوح عليه السلام، [illegible] الراشدين الذين جاءوا لهم وأنذروا أقوامهم بالأخذ والاعتبار من قوم نوح، فهاهم ألا ترى هودا عليه السلام شخصا حريصا على دعوته ولومه على قومه عنادهم وكفرهم، فقال لهم: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف: 69].

والمعنى: كيف تعجبون من أمر ليس له داعٍ للتعجب، وهو أن الله تعالى أرسل إليكم رجلا منكم [illegible] ليحذركم بما فيه مصلحة لكم ويحذركم على ما فيه التهلكة، ثم ذكرهم [illegible] نعم الله من وجوه منها: أن جعلهم في الأرض ومكنهم بالقوة بعد قوم نوح الذين أهلكوا وعاقبهم، ثم الرحمة والنعمة التي منحها الله تعالى لهم من قوة الأجساد والبسطة في الخلق، [illegible] ويذكرهم بنعم الله الواسعة عليهم لعلهم يتذكرون، [illegible] [illegible] فاذكروا بما وعدكم الله تعالى به [illegible] من طاعة الله تعالى(٢).

وها هو شعيب عليه السلام شخصا حريصا على دعوة قومه كثيرا، فقال لهم مذكرا إياهم بما حل بالأقوام السابقة التي كذبت أنبياء الله بوصفه: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ [هود: 89].

والمعنى: يا قوم -ويقصدهم بهذا اللفظ الشعور بحرصه عليه السلام على هداية قومه وإبعادهم من غضب الله تعالى- لا يحملنكم مخالفتكم الحق ومعاداتكم لي على استمراركم في العصيان فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الطوفان، وما أصاب قوم هود من الريح الصرصر العاتية، وما أصاب قوم صالح من الصيحة الرجفة والهلاك، وما أصاب قوم لوط من جعل عالي القرية سافلها وإمطارهم بحجارة من سجيل(٣).

وها هو موسى عليه السلام يذكر قومه بني إسرائيل بما أنعم الله تعالى عليهم من نعمة الإنجاء من آل فرعون، لما كانوا يذيقونهم سوء العذاب ويكلفونهم شاق الأعمال ويخضعونهم [illegible] [illegible] وفي هذا [illegible] تذكير الله لهم ليعلم ذكرهم ثم بين لهم موسى عليه السلام أنه إذا شكروا الله تعالى

---

(١) انظر: [illegible] [illegible] قبل [illegible] [illegible]

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي.

[illegible] مرجع سابق.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، [illegible]

على إسلامه الله سواك ويعصم من الشر بالمعاصي. أما إذا تخلوا عنه الشر بالكفر والمعصية فإنه عقاب الله تعالى. فتحدث لهم موسى عليه السلام بعين ما حل بغيرهم من الأقوام الذين عاقبهم الله عز وجل بسبب كفرهم وعصيانهم. قال الله تعالى على لسانه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ⑨﴾ إبراهيم ٩

أي ألم يأتكم خبر الأقوام السابقة مما فعل الله عز وجل بهم ممن عصى أنبياءهم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم أمم كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى. أتوا العجائب والآيات الباهرات فردوا أيديهم على أفواههم من باب التعجب والاستهزاء بأنبيائهم أو لإسكات أنبيائهم عن دعوتهم من الكلام أو ردوا الأيدي عليهم وهي عضة في سواعدهم وأفواههم التي لم يرها من عند الله عز وجل ثم لم يحفظوا لأمر أنبيائهم ولم يكفروا بها فحسب بل صرحوا بالشك في الدعوة التي دعوهم إليه من التوحيد والإيمان بشكل قلق لا تطمئن إليه أنفسهم.

واستعرضنا أقوال موسى عليه السلام لبني إسرائيل بعقاب الأقوام السابقة يظهر موقف الرجل المؤمن الذي هو من آل فرعون ولكنه كان يكتم إيمانه من فرعون خشية القتل.

عندما عزم فرعون وملؤه على قتل موسى عليه السلام أنكر الرجل المؤمن عليهم ذلك بعد أن أظهر إيمانه، وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالآيات الواضحات والمعجزات الظاهرات؟ فإن كان كاذباً فإنما يعود عليه كذبه وحده لا يضركم، أما إن كان صادقاً أصابكم بعض الذي يعدكم من العذاب. ثم أقر لهم أنهم أهل الملك اليوم ولهم الغلبة والظهور في الأرض، فمن ينصرهم من عذاب الله إن جاءهم؟ فرد عليه فرعون بأنه ما يشير على قومه إلا بما يرى. ثم تابع الرجل المؤمن قوله: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۝ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝﴾ غافر ٣٠-٣١

أي أخاف عليكم مثل اليوم الذي أنزل الله تعالى فيه العذاب على الأقوام الذين تحزبوا على أنبيائهم مثل قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ممن كذبوا أنبياءهم فأهلكهم الله عز وجل بسبب كفرهم

انظر: تيسير [illegible] في تفسير [illegible] ٤٢١

ومنعهم من نزول العذاب والاستجابة له(1)

ولذلك كان هذا [illegible] للأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم بذكر الأقوام من قبلهم وما حدث يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿70﴾﴾ التوبة: 70

والمعنى: ألم يأتهم خبر الأقوام الماضية كيف أهلكهم الله عز وجل حين خالفوا الرسل وعصوا، منهم أهل قوم نوح كيف أهلكهم بالطوفان، وعاد أهلكهم بالريح العقيم، وثمود أهلكهم بالصيحة، وقوم إبراهيم أهلكهم بسلب النعمة، وأهلك النمرود بالبعوضة، وقوم شعيب بعذاب يوم الظلة، والمؤتفكات التي هي قرى قوم لوط أهلكها الله تعالى بالخسف.

ويعني الله تعالى أن إهلاك هؤلاء الأقوام لأنه الأقرب إليهم ومناطق الشام والعراق واليمن قريبة من مناطقهم السكانية وكانوا يمرون عليها ويعرفون أخبار هؤلاء الأقوام الذين أرسل الله عز وجل بالمعجزات الباهرات على صدقهم في دعواهم [illegible] الماضية أنها أكثر أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتنزل عليكم العقوبة كما نزلت عليهم وليست هذه العقوبة إلا بسبب ظلمهم لأنفسهم(2)

وفي موضع آخر يسلي الله عز وجل نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم سيد أشرف الخلق - بالأنبياء والرسل السابقين الذين كذبهم أقوامهم ويظهر الاستجابة لدعواتهم فيقول عز وجل: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿42﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿43﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿44﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿45﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿46﴾﴾ الحج: [illegible]

والمعنى: لا تحزن يا أكرم الرسل على [illegible] [illegible] الأمم السابقة جميعهم [illegible] كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام أجمعين، فأمهل هؤلاء الأقوام حتى أهلكهم بعذاب الاستئصال

---

(1) انظر: أوضح التفاسير، محمد الخطيب، ج1، [illegible]

(2) انظر: [illegible]، ج2، [illegible]

فانظر يا سيد الرسل كيف فرقت سواهم من العمار إلى الخراب ولكن لعل قبل ذلك فلم يستقروا في أنعامهم الفرقة لهم قارب ومكانة بها ويحجون بها سنة الله تعالى في الفرقة فرحمهم. ثم الفرقة لهم أملاك بسعرة بها أخبار النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ثم أكد الله تعالى على أن الأبصار لا تعمى النفس العاقل في صدورهم بل هي في عقولهم فعندما تعمى قلوبهم ويمسكوا في غفلتهم وابتعدوا عن الله عن طريقهم الأعمى لتبين أكثرهم وأسماعهم وهي الأسماع والأبصار التي كانوا يستعملونها من هداية الله عز وجل

نوح عليه السلام وابنه وزوجته

أولاً: نوح عليه السلام وابنه

عندما أمر الله تعالى نوحاً عليه السلام بصناعة السفينة لينجيه والذين آمنوا معه من العذاب الذي سوف يحل على المشركين من قومه كان نوح عليه السلام أمر به عز وجل، وحينما أتى من صنع أمر الله تعالى أن يحمل فيها زوجين من كل نوع من الحيوانات والطيور، وكذلك يحمل فيها أهله المؤمنين منهم، وحاول نوح عليه السلام ابنه ولكن الابن أبى أن يركب معه في السفينة التي ستعصم اليوم أحداً من عذاب الله عز وجل إلا من هو داخل السفينة فسماه الله على ما فعله ابنه الكافر بربه نعمة

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝﴾ [هود: ٤٢-٤٣].

وكان هذا الحال قول حديث الشريف والذي أبداه على هذا الابن الذي يمثل معنى الرحمة والشفقة وعاطفة الأبوة الجياشة بكل صدق وحنو وعطف كما قال سبحانه والحسن يجعل يدعوه لركوبه من وسط الماء إلى أن يأتيه الموج فسماه عليه السلام

انظر: [illegible] أبي عبد محمد بن عمر الجعفي

[illegible]

بأن هذا الزرع ليس كأي زرع عادي، بل هو [illegible] من أهل الطغيان وهو زرع لا يصلح [illegible] أو [illegible] من أهلك أمر الله جل جلاله إلا من أمر الله تعالى له بالهداية من قبل الثلة من المؤمنين، وعلى أيضاً هذا الصراع بين الأب وابنه بدأ البعد بالارتفاع حتى حال الموج بينهما [illegible] على نوح عليه السلام إشفاقه بالركوب معه [illegible] ويحذر من طوفانه [illegible] أنه من [illegible] من أسباب الطوفان الغرق[1].

ويلاحظ من هذا أن ابن نوح كان عنده عصبية ونفور عن [illegible] والتعصب كما عرفه العلماء [illegible] من الصور [illegible] الشخص [illegible] لا يكون [illegible] كما عرفه الإمام الغزالي بأنه: [illegible] العصبة والزيارة [illegible] مع [illegible] إلى التعصب[2].

[illegible] ويكون هذا السبب لم يصاحبه [illegible] الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح [illegible] من العلماء [illegible] عز وجل.

وبعد انتهاء هذه الحادثة الجسيمة [illegible] عاطفة الأبوة إلى الله نوحاً عليه السلام أن يسأل الله تعالى عن مصير ابنه الذي غرق، قال عز وجل: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ (45)﴾ [هود: 45].

أي: يا رب إنه ابني هذا من أهلي الذين وعدتني بنجاتهم [illegible] في السفينة، وذلك عندما قال الله عز وجل: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ [هود: 40].

فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (46)﴾ [هود: 46].

أي: يا نوح إنه ليس من أهلك الذين أمرتك بحملهم في السفينة لإيمانهم [illegible] في [illegible] الله [illegible] [illegible] في [illegible] من طريق الهداية والصلاح.

ثم نبه الله تعالى عن سؤال ما ليس له به علم [illegible] لكونه من أمره [illegible] الله تعالى [illegible] في [illegible]

وبعد هذا النهي الصريح طلب نوح عليه السلام المغفرة من ربه قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (47)﴾ [هود: 47].

---

(1) انظر: [illegible] ج3 [illegible]

(2) [illegible] ص[illegible]

(3) إحياء علوم الدين ج3 [illegible]

أي يا رب إني أعوذ بك وأحتمي بك من أن أسألك في المستقبل ما ليس لي به علم [illegible] وإلا تغفر لي ما صدر مني من السؤال الذي كان من باب الشفقة على ابني ومن باب الطمع في رحمتك أكن من الخاسرين فيما كان مني من مسارعة [illegible] [1]

ويلاحظ من هنا أن نوحاً عليه السلام [illegible] بالسؤال الذي لم يأذن الله تعالى في [illegible] منه وأرشده إلى الاستغفار [illegible] [illegible] نسبة الخطأ إلى الأنبياء موضحين أن الخطأ هو [illegible] أو الإسراف الذي يتنافى مع عصمة الأنبياء [illegible] [illegible] بالخطأ هذا المعنى بل المقصود به هو عدم مطابقة الاجتهاد الذي كان هو [illegible] في علم الله جل جلاله[2]

ثانياً: نوح عليه السلام وزوجته

تحدث القرآن الكريم عن امرأة نوح عليه السلام في سياق الذم والإنكار لما [illegible] فقال الله عز وجل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (10) (التحريم: 10)

وخيانة المرأة هي عمل من [illegible] على غير وجه ما ائتمن لأجله بدون علم صاحب الأمانة[3]

والمعنى للآية ومعناها أن الله عز وجل ضرب مثلاً للذين كفروا في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم [illegible] المخالطة والمعاشرة لا تجدي عن الكافرين شيئاً ولن تنفعهم عند الله عز وجل إن لم [illegible] بالإيمان بالله جل جلاله [illegible] على ذلك مثلاً امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام [illegible] لرجلين النبيين [illegible] في الليل والنهار [illegible] [illegible] المعاشرة والاختلاط [illegible] في الآخرة [illegible] لم [illegible] [illegible] زوجيهما.

[illegible] البشرى والصحبة الحسنة لم تجد عنهما شيئاً ولم [illegible] عنهما [illegible] [illegible] للآية قبل [illegible] ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [illegible] [illegible] الأنبياء [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] أن خيانة امرأة نوح ولوط عليهما السلام كانت في [illegible]

---

[1] انظر: [illegible]

[2] انظر: [illegible] محمد [illegible]

[3] التحرير والتنوير [illegible]

[4] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

والخيانة الكفر، وكانت الخيانة لزوجيهما على أن زوجيهما الرسولين، فامرأة نوح كانت تقول لقومه إنه مجنون، وامرأة لوط كانت تدل قومها على ضيوفه لممارسة الفعل الفاحشة معهم (1).

وهكذا يظهر من هذا البحث أن طاعة الله عز وجل وعبادته لا يمكن أن ينفع بالوساطة، لا بشفاعة الأب على ابنه ولا بكرامة المرأة لزوجها النبي، بل بطاعة الله وحده.

نوح عليه السلام والشفاعة

إن دعاء نوح عليه السلام بمعرفة الأب الشفيق والمحبة من قومه، ظهر لنا السبب. أوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وأصحابه. فلما أيقن نوح عليه السلام متضرعاً إلى الله عز وجل، فقال: إنه ما السبب عرفت، حتى إنه أن يصير ضحية السيل وهلاك الظالمين، فاستجاب الله تعالى لنوح عليه السلام، وأمر بصنعه الفلك، فقال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝﴾ [هود: 37-38].

أي: أوحى الله تعالى إليه صناعة السفينة، والله تعالى سخرها له [illegible] عليه قومه، وكانوا يسخرون إذا كان نوح عليه السلام يلاقي من قومه السخرية والاستهزاء، ثم يقابلهم بقوله هذا، ولم يكترث لهم، بل أخبرهم أنهم سوف يعلمون من الأولى بالسخرية عندما يحل عليهم عذاب الله عز وجل بالطوفان ليهلكوا ويغرقوا جميعاً. ويعتبر نوح عليه السلام أول من صنع السفينة، [illegible] ولو كان

---

(1) [illegible]

يصنع فيه الفلك [illegible] لما سيطرأ [illegible]

وأعطاه الله تعالى علامة يعرف بها إرادة الله عز وجل [illegible] وإنزال العذاب على قومه وهي فوران التنور الذي هو موضع الخبز، فحينئذ أمر الله تعالى [illegible] على السفينة أن يحمل في السفينة من كل حيوان موجود في عصره اثنين ذكر وأنثى[1] وأنثى حتى لا ينقطع نسل تلك الحيوانات. كما أمره أن يحمل في السفينة من أهل بيته المؤمنين، القلة أما الأكثرية منهم فمستكبرة عليهم بالغرور والضلالة لا يستحقون [illegible] يحمل كافة الذين آمنوا معه وصدقوه من قومه[2].

ونفذ الله تعالى أمره فحمل نوح عليه السلام كافة [illegible] بالمؤمنين والحيوانات على أمر الله تعالى يحملها معه[3]. قال: ﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾ [الشعراء: ١١٩].

وبعد أن تجهز نوح عليه السلام واستعد لأمر الله تعالى جاءها أمر الله عز وجل للسماء أن تنزل المطر الغزير على هذه البلاد والأرض أن تتفجر كلها حتى تغمر التي لم تبق اليابسة [illegible] إلا [illegible] الغمر وليس كالعادة الذي ينزل من السماء مع ماء الأرض بأمر الله عز وجل بذلك، وكان قد كتب هذا الأمر على الأرض عقوبة لهؤلاء الظالمين لظلمهم. فقال تعالى مصورًا هذه المعجزة: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ⑪ وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ⑫﴾ [القمر: ١١-١٢].

أما نوح عليه السلام ومن معه فقد نجاه الله تعالى في السفينة: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر ⑬ تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ⑭﴾ [القمر: ١٣-١٤].

أما سفينة الله تعالى ومن معه على السفينة فيروي الله تعالى طريقة صناعتها في أنه [illegible] خشبية ذات ألواح بالدسر وهي المسامير التي ضربت بها الألواح وشد بها أطرافها وبالرغم مما أحكمت هذه الألواح بالمسامير فإنه لا بد أن يصل بها [illegible] ويتسرب منها الماء للداخل إلى الغرق [illegible] السيل إلى الداخل تلك [illegible] في تلك المسامير المعدنية[1] فالمؤكد لا بد أن [illegible] الغلاف الذي يغلف الخشب جيدًا كان [illegible] ثم يترك الخشب [illegible] يتسرب منه [illegible] نوح عليه السلام فكان هذا بالألواح التي ربطها بالحبال والسلاسل [illegible] إلى الداخل.

---

[1] انظر: تفسير الشعراوي [illegible]

[2] انظر: [illegible] محمد بن عمر [illegible] ٨٢/٣

[3] انظر: [illegible]

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٣٨٦.

ثم علم نوحا عليه الأمر [illegible] [illegible] الله عز وجل [illegible] ثم [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فيها[1]

وخلاصة القول إن الله تعالى نجى نبيه نوحا عليه السلام والمؤمنين معه بهذه السفينة التي صنعها بحفظ الله ورعايته [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القول مع ما [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] من الله تعالى لنوح عليه السلام [illegible] من [illegible][2]

وبعد هلاك الكافرين [illegible] أمر الله تعالى الأرض والسماء فقال تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ۝﴾ [هود: ٤٤].

والمعنى: أمر الله الأرض أن تبلع الماء الذي عليها، وأمر السماء أن تقلع عن إنزال المطر، فنقص الماء حتى ذهب [illegible] عن الأرض، واستوت السفينة على جبل الجودي[3].

ثم خاطب الله تعالى نوحا عليه السلام بقوله: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ۝﴾ [المؤمنون: ٢٨].

أي: إذا استقررت أنت ومن معك من المؤمنين في السفينة فاحمد الله تعالى أن [illegible] [illegible] من هؤلاء الكافرين الظالمين[1].

ثم أمر الله تعالى أن يخرج من السفينة ويدعو الله عز وجل دعاء [illegible] فقال: ﴿وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ۝﴾ [المؤمنون: ٢٩].

أي: أنزلني مكانا [illegible] [illegible] وأعطني البركة فيه لأنك أنت يا رب خير من [illegible] المنزلين له المنازل الطيبة [illegible] [illegible] في سائر الأوقات [illegible] [illegible] حسب ما [illegible] [illegible][2].

فنزل نوح عليه السلام بأمن وسلامة من الله تعالى وخيرات وبركات كثيرة عليه، قال تعالى: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ۝﴾ [هود: ٤٨].

ومن هذه الخيرات والبركات أن الله تعالى جعل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، وهذه البركات أيضا على [illegible] المؤمنين الذين معه في السفينة، أما الأمم الكافرة [illegible]

---

[1] انظر: [illegible] [illegible] ج[illegible]
[2] انظر: [illegible] [illegible] [illegible] ج[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ج[illegible]
[3] انظر: [illegible] [illegible] [illegible] ج[illegible]

[1] انظر: [illegible] [illegible] ج[illegible]
[2] انظر: المصدر السابق ج[illegible]

جعلها الله تعالى في [illegible] ثم [illegible] [illegible] الأول في الآخرة(1)

والحكمة من ذكر السكينة أن الله تعالى جعلها علامة على [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

أي جعلها مرة [illegible] لمن [illegible]، وفي [illegible] آية [illegible]:

الأولى أنها دالة على حصول [illegible] [illegible].

الثاني أن الله تعالى [illegible] من [illegible] [illegible].

[illegible] في [illegible] إما راجع إلى السكينة أو إلى [illegible] أو [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

فهذا يدل على أنها [illegible] [illegible] من [illegible] السكينة [illegible] [illegible](2)

[illegible] الله تعالى [illegible] [illegible] في عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] في زمن نوح عليه السلام [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] الله عز وجل [illegible] نوح عليه السلام [illegible] [illegible](4)

---

(1) انظر [illegible]

(2) انظر [illegible]

(3) [illegible]

(4) انظر [illegible]

(5) انظر [illegible]

نوح عليه السلام والنبوة في ذريته

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤].

وقد تحدثت عن معنى الاصطفاء [illegible]، وعن معنى قوله: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ في كتاب الأنبياء والمرسلون من سلالة نوح عليه السلام وذريته المختارة بعده[1].

وقد منّ الله على إبراهيم عليه السلام [illegible] النعمة العظمة الكبرى التي أكرمها الله تعالى [illegible] حيث أعطاه النبوة التي هي أعلى المراتب، فقال عز وجل ممتنًا بنعمه على إبراهيم عليه السلام حيث جعله [illegible] الأنبياء والرسل من ذريته وأبقى له هذه الكرامة إلى يوم القيامة، فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٤].

فقد وهب الله تعالى لإبراهيم عليه السلام إسحاق، وبعده ابنه يعقوب عليه السلام من ذرية إسحاق عليه السلام، وقوله: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: هدينا من قبل إبراهيم عليه السلام، وهو نوح عليه السلام، إلى مثل ما هدينا به إبراهيم عليه السلام [illegible] فقد آتاه الله تعالى النبوة والحكمة ودعوة الخلق إلى الطريق المستقيم، ولما كان الله تعالى قد امتن على إبراهيم عليه السلام بجعل النبوة في ذريته امتن عليه [illegible] من أصلاب آباء طاهرين كنوح عليه السلام، فإدريس عليه السلام، فإبراهيم عليه السلام من ذرية نوح عليه السلام كما تبين الآية السابقة الذكر[2]، وبناء على هذا فإن النبوة كانت قد جعلت في ذرية نوح عليه السلام.

ويؤيد هذا المعنى أيضًا ما ورد في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝﴾ [الحديد: ٢٦].

أي: جعل الله تعالى النبوة والكتب السماوية في أولاد كل من نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام، فهود وصالح وشعيب وإبراهيم [illegible] من ذرية نوح عليه السلام، وإسماعيل وإسحاق وباقي الأنبياء

---

[1] انظر: التفسير الموضوعي [illegible]

[2] انظر: [illegible]

من ذرية إبراهيم عليه السلام
وقد كان إبراهيم عليه السلام من ذرية نوح عليه السلام فإبراهيم وذريته كلها من ذرية نوح عليه السلام

الدروس المستفادة من قصة نوح

إن قصة نوح عليه السلام من القصص القرآني الحسن الذي قصه الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴿٣﴾﴾ (يوسف:٣)

وفي القصة الكثير من العظات والعبر والدروس المستفادة ومنها:

نوح عليه السلام هو أبو البشر الثاني بعد آدم وأول رسول شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام الحلال والحرام.

٢ دلت قصة نوح عليه السلام على أنه استمر في دعوة قومه بثلاثة مناهج:

الأول: الإسلام والركون إلى الله الواحد القهار

الثاني: أمر قومه بعبادة الله تعالى وحده.

الثالث: أمر قومه بالإيمان باليوم الآخر مخافة أن يحل بهم عقاب الله تعالى.

٣ إن الصراع قائماً بين الموحدين في عقائدهم وأعمالهم هم الذين على الهدى والصلاح، فقد استمر نوح عليه السلام سنين طويلة يدعوهم إلى طاعة الله وكذبوه وأصروا عليه وعلى معصيته واستمروا في ضلالهم وأصروا على ما هم

انظر أيسر التفاسير أبو بكر الجزائري ج٢/ ٣٨٧

عليه من قبل.

٩ ثم يقول له ربه: أين هو الملاك الذي كان يتكلم معك؟ هو الذي كان يقول لك: لا تدع يدك تمس الشجرة التي أمرتك بقطعها.

١٠ فيجيب الملاك ويقول له: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع الشجرة التي تمس يدك، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٢٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٢١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٢٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٢٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٢٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٢٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٢٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٢٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٢٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٢٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٣٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٣١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٣٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٣٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٣٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٣٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٣٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٣٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٣٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٣٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٤٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٤١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٤٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٤٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٤٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٤٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٤٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٤٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٤٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٤٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٥٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٥١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٥٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٥٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٥٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٥٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٥٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٥٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٥٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٥٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٦٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٦١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٦٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٦٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٦٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٦٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٦٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٦٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٦٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٦٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٧٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٧١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٧٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٧٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٧٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٧٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٧٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٧٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٧٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٧٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٨٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٨١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٨٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٨٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٨٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٨٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٨٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٨٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٨٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٨٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٩٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٩١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٩٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٩٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٩٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٩٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٩٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٩٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٩٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٩٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٠٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٠١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٠٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٠٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٠٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٠٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٠٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٠٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٠٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٠٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١١٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١١١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١١٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١١٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١١٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١١٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١١٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١١٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١١٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١١٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٢٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٢١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٢٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٢٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٢٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٢٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٢٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٢٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٢٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٢٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٣٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٣١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٣٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٣٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٣٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٣٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٣٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٣٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٣٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٣٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٤٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٤١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٤٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٤٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٤٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٤٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٤٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٤٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٤٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٤٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٥٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٥١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٥٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٥٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٥٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٥٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٥٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٥٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٥٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٥٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٦٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٦١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٦٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٦٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٦٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٦٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٦٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٦٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٦٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٦٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٧٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٧١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٧٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٧٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٧٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٧٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٧٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٧٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٧٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٧٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٨٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٨١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٨٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٨٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٨٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٨٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٨٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٨٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٨٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٨٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٩٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٩١ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٩٢ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٩٣ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٩٤ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٩٥ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٩٦ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٩٧ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٩٨ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

١٩٩ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

٢٠٠ فيقول له الملاك: أنا هو الذي أمرتك أن تقطع هذه الشجرة، لأنها شجرة مباركة، وأنت قد مسستها بيدك.

www.moswa.com

٢١ السخرية فعل مذموم ومن شأن وعادات أهل الكفر [illegible] للساخرين لذلك كان الغرق عاقبة قوم نوح الذين سخروا منهم.

٢٢ من رحمة الله عز وجل بخلقه أمره نوح عليه السلام والمؤمنين معه بحمل [illegible] فضله وبرحمته أن حافظ على أصل الحياة البشرية جمعاء إلى أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين ذكرا وأنثى.

٢٣ لا يعتبر سؤال نوح عليه السلام عن مصير ابنه الهالك بالغرق معصية لله تعالى وإنما هو من باب الخطأ في الاجتهاد حتى نبهه الله تعالى عليه وأمره بالاستغفار.

٢٤ إن رابطة الدين أقوى من رابطة النسب وأن أمر الهداية والضلال ليس له علاقة بالقرابة والنسب ولا محاباة عند الله تعالى في هذا الأمر [illegible] يحاسبهم حسب أعمالهم التي [illegible] في الدنيا وليس بأنسابهم وأقاربهم وأحسابهم فقد نهى الله تعالى نوحا عليه السلام وأنكر عليه [illegible] وكذلك زوجه الكافرة.

٢٥ في قصة نوح عليه السلام مع ابنه تسلية للآباء الصالحين في فساد أبنائهم.

٢٦ كان الطوفان لنوح عليه السلام بمثل قرية كاملة اتصفت أركان القرية الثلاثة وهي:

الركن الأول: الظلم على ما تقدم وجاء في قوله: ﴿[illegible]﴾ [هود: ٣٧].

الركن الثاني: الإعلام عن الطلب وجاء ذلك في قوله: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ فقد تقدم على سؤاله ونهي عن طلبه للكافر طلب النجاة له رحمة من الله عز وجل.

الركن الثالث: القسم على العذاب وجاء في قوله: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

نوح عليه السلام [illegible] بالله تعالى ثم يسأله مرة [illegible] في المستقبل.

١ إن تمام الله تعالى من الأمن والسلامة والبركات والخيرات عن أهل الإيمان ومن معهم إلى يوم القيامة وأن العقاب إنما كان لكافر ولكفار الأمم [illegible] في الآخرة.

٢ إن قصة نوح عليه السلام مع قومه من الأمور الغيبية التي غابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى أطلعه عليها وهذا من الأدلة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

٢٧ إذا خاطب الله تعالى [illegible] سبحانه

بأن الناس تحت رعاية التوحيد والإيمان بالرغم الكبير من أمة نوح عليه السلام وقد كان عيباً ذكره الله تعالى على كل ما اتهم به عليه الأولى أن التحدي به البشرية القوة عامة ولا التحدي بما كان عليه آباؤهم وأجدادهم من الشرك والضلال.

٢٣ إن في قصة نوح عليه السلام مع قومه الكافرين وفي أمر [illegible] والأمر والحجة على كيف نجى الله جل جلاله وأنه لا يترك رسله وأتباعهم بل ينصرهم على أعدائهم ويهلكهم كما أن الله تعالى يعذر الأقوام ويرسل الرسل إليهم لإبعاد الناس من المعاصي.

٢٤ إن أعظم المشكلات مما ورثه به النبي وسلم عليه وأنزله الصبر، ذلك إنما هي [illegible] وجزاء لما [illegible] يتعاطى بها من قبل السؤال.

٢٥ كذلك الظالمين الكفار هكذا الأمر إلى الجهاد بالقول من قبلا الأمر إليهم من الحب بالأمر والأقوام بالباطل والعمل الصالح.

٢٦ وسمات الأولى في الدعاة والأصول البيئة المجيدة والأطلال وأسماء ثم متابعة منطقية فيما يتسم بالقول منهم بكل وسائل الأمر في الدعوة إلى التوحيد.

٢٧ إن الله جل جلاله هو السند الذي يلجأ إليه عند الصعاب والضرورات كما لجأ إليه نوح عليه السلام واستجاب له.

٢٨ إن الصبر الذي أعطاه الله تعالى على نوح عليه السلام جعله آلة كما يمسك رحلة إيمانه لأن كان عبداً لله تعالى صادقاً به مرسلاً إليه.

٢٩ لا عذر للناس في تكذيب الرسل والكفر بهم بعد أن كرمهم بالمعجزات الباهرات والأدلة الواضحات على صدقهم.

٣٠ إن محبة الولد لا تعطي الحق للأمر تجاوز نوح عليه السلام قومه ربما لهم من حب القبيلة ولو كانوا لهم في توحيد الله تعالى والإسلام له.

٣١ استمر نوح عليه السلام في الدعوة إلى التوحيد ما يقرب من ألف سنة لم يمل ولم يكل ولم يفتر عن الدعوة ليلاً ونهاراً سراً وجهراً كل هذا امتثالاً لأمر الله تعالى والقيام بكل ما يملك من جهد وطاقة.

٣٢ سلك نوح عليه السلام في دعوة قومه الكفار مراتب متدرجة بما يناسب أحوالهم فدعاهم سراً ثم أعلن بالمجاهرة الجهرية ثم جمع بين الإسرار والإعلان وهذه سياسة الحكمة المطلقة فيها نوح عليه السلام كل طاقاته ومن أولى [illegible]

ما تم التفاعل والتجاوب مع هذه الدعوة من قبل المدعوين.

٢٣ إن الله تعالى وعد من يستغفره ويطيعه أن يمده بإنزال المطر والإمداد بالأموال وكذلك بالبنين وبجعل الجنات والبساتين وكذلك الأنهار.

٢٤ لا يجوز الشكوى إلا لله تعالى وحده لذلك شكا نوح عليه السلام قومه إلى الله تعالى عندما يئس من إيمانهم.

٢٥ دعا نوح عليه السلام لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة.

٢٦ ينبغي للإنسان ألا يغفل عن ربه ويتذكر نعمه عند الركوب والنزول وفي جميع الحركات والسكنات والإكثار من حمد الله تعالى على نعمه وخاصة هذه النعمة الجليلة من الركوب.

٢٧ وجوب الصبر على أداء التكاليف والصبر على ألم الشدائد والمصائب والصبر في مواجهة الأعداء والصبر على مصاعب الحياة كلها.

٢٨ الشجاعة في إبداء الرأي والثبات على الحق، وأن الداعية يجب أن يكون ماضيا في دعوته لا يثنيه عنها وعيد أو تهديد.

[illegible]

نوح عليه السلام، إبراهيم عليه السلام، [illegible] موسى عليه السلام، محمد صلى الله عليه وسلم، عيسى عليه السلام [illegible]

النور

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ٧
[illegible]
[illegible] ٧٣
[illegible]

أولاً: الحس الديني

الدين الطبيعي، الحس الديني، الإيمان بالله، الإيمان بالنبي، الإيمان بالآخرة، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب، الإيمان بالقضاء والقدر، الإيمان بالمعجزات، الإيمان بالغيبيات، الإيمان بالجنة والنار، الإيمان بالصراط، الإيمان بالميزان، الإيمان بالحساب، الإيمان بالشفاعة، الإيمان بالحوض، الإيمان بالبعث، الإيمان بالقيامة، الإيمان بالحشر، الإيمان بالمعاد، الإيمان بالوحي، الإيمان بالرسالة، الإيمان بالرسل، الإيمان بالأنبياء، الإيمان بالكتب المقدسة، الإيمان بالقرآن، الإيمان بالسنة، الإيمان بالأحاديث، الإيمان بالتفسير، الإيمان بالتأويل، الإيمان بالفقه، الإيمان بالعقيدة، الإيمان بالشريعة، الإيمان بالأخلاق، الإيمان بالعبادات، الإيمان بالمعاملات، الإيمان بالأحوال الشخصية، الإيمان بالعقوبات، الإيمان بالجهاد، الإيمان بالدعوة، الإيمان بالتبليغ، الإيمان بالإرشاد، الإيمان بالتوجيه، الإيمان بالتربية، الإيمان بالتعليم، الإيمان بالتزكية، الإيمان بالإحسان، الإيمان بالتقوى، الإيمان بالورع، الإيمان بالزهد، الإيمان بالتصوف، الإيمان بالسلوك، الإيمان بالطريقة، الإيمان بالحقيقة، الإيمان بالمعرفة، الإيمان بالعلم، الإيمان بالحكمة، الإيمان بالفلسفة، الإيمان بالعقل، الإيمان بالنقل، الإيمان بالتجربة، الإيمان بالحس، الإيمان بالمادة، الإيمان بالطبيعة، الإيمان بالكون، الإيمان بالإنسان، الإيمان بالحياة، الإيمان بالموت، الإيمان بالخلود، الإيمان بالفناء، الإيمان بالبقاء، الإيمان بالوجود، الإيمان بالعدم، الإيمان بالخلق، الإيمان بالإبداع، الإيمان بالتكوين، الإيمان بالتدبير، الإيمان بالتقدير، الإيمان بالتسيير، الإيمان بالتخيير، الإيمان بالاختيار، الإيمان بالإرادة، الإيمان بالمشيئة، الإيمان بالقدرة، الإيمان بالعلم، الإيمان بالحياة، الإيمان بالسمع، الإيمان بالبصر، الإيمان بالكلام، الإيمان بالتكليم، الإيمان بالخطاب، الإيمان بالأمر، الإيمان بالنهي، الإيمان بالإباحة، الإيمان بالتحريم، الإيمان بالكراهة، الإيمان بالندب، الإيمان بالوجوب، الإيمان بالفرض، الإيمان بالركن، الإيمان بالشرط، الإيمان بالسبب، الإيمان بالعلة، الإيمان بالمعلول، الإيمان بالحكم، الإيمان بالمحكوم عليه، الإيمان بالمحكوم به، الإيمان بالحاكم، الإيمان بالمحكمة، الإيمان بالقضاء، الإيمان بالقاضي، الإيمان بالمدعي، الإيمان بالمدعى عليه، الإيمان بالشاهد، الإيمان بالبينة، الإيمان بالإقرار، الإيمان بالنكول، الإيمان باليمين، الإيمان بالقسم، الإيمان بالحلف، الإيمان بالنذر، الإيمان بالعهد، الإيمان بالميثاق، الإيمان بالوفاء، الإيمان بالغدر، الإيمان بالخيانة، الإيمان بالأمانة، الإيمان بالصدق، الإيمان بالكذب، الإيمان بالبر، الإيمان بالإثم، الإيمان بالعدل، الإيمان بالظلم، الإيمان بالحق، الإيمان بالباطل، الإيمان بالخير، الإيمان بالشر، الإيمان بالحسن، الإيمان بالقبيح، الإيمان بالمعروف، الإيمان بالمنكر، الإيمان بالفضيلة، الإيمان بالرذيلة، الإيمان بالأخلاق الحسنة، الإيمان بالأخلاق السيئة، الإيمان بالمكارم، الإيمان بالمحاسن، الإيمان بالمساوئ، الإيمان بالمثل العليا، الإيمان بالقيم، الإيمان بالمبادئ، الإيمان بالأهداف، الإيمان بالغايات، الإيمان بالوسائل، الإيمان بالطرق، الإيمان بالمناهج، الإيمان بالأساليب، الإيمان بالأدوات، الإيمان بالآلات، الإيمان بالأجهزة، الإيمان بالمعدات، الإيمان بالتقنيات، الإيمان بالتكنولوجيا، الإيمان بالعلوم، الإيمان بالمعارف، الإيمان بالثقافة، الإيمان بالحضارة، الإيمان بالمدنية، الإيمان بالتمدن، الإيمان بالتحضر، الإيمان بالتقدم، الإيمان بالتطور، الإيمان بالارتقاء، الإيمان بالنشوء، الإيمان بالتكامل، الإيمان بالتغير، الإيمان بالثبات، الإيمان بالاستقرار، الإيمان بالحركة، الإيمان بالسكون، الإيمان بالتحرك، الإيمان بالجمود، الإيمان بالتجدد، الإيمان بالتقليد، الإيمان بالتجديد، الإيمان بالاتباع، الإيمان بالابتداع، الإيمان بالاقتداء، الإيمان بالتأسي، الإيمان بالتشبه، الإيمان بالمحاكاة، الإيمان بالمماثلة، الإيمان بالمشابهة، الإيمان بالمخالفة، الإيمان بالمغايرة، الإيمان بالمباينة، الإيمان بالمفارقة، الإيمان بالمجانبة، الإيمان بالمقاطعة، الإيمان بالمهاجرة، الإيمان بالهجرة، الإيمان بالاغتراب، الإيمان بالغربة، الإيمان بالوحدة، الإيمان بالعزلة، الإيمان بالانفراد، الإيمان بالانعزال، الإيمان بالاعتزال، الإيمان بالتفرد، الإيمان بالتميز، الإيمان بالتفوق، الإيمان بالسبق، الإيمان بالريادة، الإيمان بالقيادة، الإيمان بالزعامة، الإيمان بالرئاسة، الإيمان بالسيادة، الإيمان بالسلطة، الإيمان بالحكم، الإيمان بالدولة، الإيمان بالأمة، الإيمان بالشعب، الإيمان بالوطن، الإيمان بالقومية، الإيمان بالعروبة، الإيمان بالإسلام، الإيمان بالمسلمين، الإيمان بالمؤمنين، الإيمان بالمتقين، الإيمان بالصالحين، الإيمان بالأولياء، الإيمان بالشهداء، الإيمان بالصديقين، الإيمان بالأبدال، الإيمان بالأقطاب، الإيمان بالأوتاد، الإيمان بالنجباء، الإيمان بالنقباء، الإيمان بالمحدثين، الإيمان بالمجددين، الإيمان بالمجتهدين، الإيمان بالعلماء، الإيمان بالفقهاء، الإيمان بالمفسرين، الإيمان بالمحدثين، الإيمان بالمؤرخين، الإيمان بالأدباء، الإيمان بالشعراء، الإيمان بالكتاب، الإيمان بالصحفيين، الإيمان بالإعلاميين، الإيمان بالمفكرين، الإيمان بالمثقفين، الإيمان بالمتعلمين، الإيمان بالطلاب، الإيمان بالمعلمين، الإيمان بالمربين، الإيمان بالمرشدين، الإيمان بالموجهين، الإيمان بالمصلحين، الإيمان بالمجاهدين، الإيمان بالدعاة، الإيمان بالمبلغين، الإيمان بالمرشدين، الإيمان بالموجهين، الإيمان بالمصلحين، الإيمان بالمجاهدين، الإيمان بالدعاة، الإيمان بالمبلغين، الإيمان بالمتصوفين، الإيمان بالسالكين، الإيمان بالمريدين، الإيمان بالمشايخ، الإيمان بالأقطاب، الإيمان بالأوتاد، الإيمان بالنجباء، الإيمان بالنقباء، الإيمان بالأبدال، الإيمان بالصديقين، الإيمان بالشهداء، الإيمان بالأولياء، الإيمان بالصالحين، الإيمان بالمتقين، الإيمان بالمؤمنين، الإيمان بالمسلمين، الإيمان بالإسلام، الإيمان بالعروبة، الإيمان بالقومية، الإيمان بالوطن، الإيمان بالشعب، الإيمان بالأمة، الإيمان بالدولة، الإيمان بالحكم، الإيمان بالسلطة، الإيمان بالسيادة، الإيمان بالرئاسة، الإيمان بالزعامة، الإيمان بالقيادة، الإيمان بالريادة، الإيمان بالسبق، الإيمان بالتفوق، الإيمان بالتميز، الإيمان بالتفرد، الإيمان بالاعتزال، الإيمان بالانعزال، الإيمان بالانفراد، الإيمان بالوحدة، الإيمان بالغربة، الإيمان بالاغتراب، الإيمان بالهجرة، الإيمان بالمهاجرة، الإيمان بالمقاطعة، الإيمان بالمجانبة، الإيمان بالمفارقة، الإيمان بالمباينة، الإيمان بالمغايرة، الإيمان بالمخالفة، الإيمان بالمشابهة، الإيمان بالمماثلة، الإيمان بالمحاكاة، الإيمان بالتشبه، الإيمان بالتأسي، الإيمان بالاقتداء، الإيمان بالابتداع، الإيمان بالاتباع، الإيمان بالتجديد، الإيمان بالتقليد، الإيمان بالتجدد، الإيمان بالجمود، الإيمان بالتحرك، الإيمان بالسكون، الإيمان بالحركة، الإيمان بالاستقرار، الإيمان بالثبات، الإيمان بالتغير، الإيمان بالتكامل، الإيمان بالنشوء، الإيمان بالارتقاء، الإيمان بالتطور، الإيمان بالتقدم، الإيمان بالتحضر، الإيمان بالتمدن، الإيمان بالمدنية، الإيمان بالحضارة، الإيمان بالثقافة، الإيمان بالعلوم، الإيمان بالمعارف، الإيمان بالتكنولوجيا، الإيمان بالتقنيات، الإيمان بالمعدات، الإيمان بالأجهزة، الإيمان بالآلات، الإيمان بالأدوات، الإيمان بالوسائل، الإيمان بالطرق، الإيمان بالمناهج، الإيمان بالأساليب، الإيمان بالأهداف، الإيمان بالغايات، الإيمان بالمبادئ، الإيمان بالقيم، الإيمان بالمثل العليا، الإيمان بالمحاسن، الإيمان بالمساوئ، الإيمان بالمكارم، الإيمان بالأخلاق الحسنة، الإيمان بالأخلاق السيئة، الإيمان بالفضيلة، الإيمان بالرذيلة، الإيمان بالمعروف، الإيمان بالمنكر، الإيمان بالحسن، الإيمان بالقبيح، الإيمان بالخير، الإيمان بالشر، الإيمان بالحق، الإيمان بالباطل، الإيمان بالعدل، الإيمان بالظلم، الإيمان بالبر، الإيمان بالإثم، الإيمان بالصدق، الإيمان بالكذب، الإيمان بالأمانة، الإيمان بالخيانة، الإيمان بالوفاء، الإيمان بالغدر، الإيمان بالعهد، الإيمان بالميثاق، الإيمان بالنذر، الإيمان بالحلف، الإيمان بالقسم، الإيمان باليمين، الإيمان بالنكول، الإيمان بالإقرار، الإيمان بالبينة، الإيمان بالشاهد، الإيمان بالمدعى عليه، الإيمان بالمدعي، الإيمان بالقاضي، الإيمان بالقضاء، الإيمان بالمحكمة، الإيمان بالحاكم، الإيمان بالمحكوم به، الإيمان بالمحكوم عليه، الإيمان بالحكم، الإيمان بالمحكوم، الإيمان بالعلة، الإيمان بالسبب، الإيمان بالشرط، الإيمان بالركن، الإيمان بالفرض، الإيمان بالوجوب، الإيمان بالندب، الإيمان بالكراهة، الإيمان بالتحريم، الإيمان بالإباحة، الإيمان بالنهي، الإيمان بالأمر، الإيمان بالخطاب، الإيمان بالتكليم، الإيمان بالكلام، الإيمان بالبصر، الإيمان بالسمع، الإيمان بالحياة، الإيمان بالعلم، الإيمان بالقدرة، الإيمان بالمشيئة، الإيمان بالإرادة، الإيمان بالاختيار، الإيمان بالتخيير، الإيمان بالتسيير، الإيمان بالتقدير، الإيمان بالتدبير، الإيمان بالتكوين، الإيمان بالإبداع، الإيمان بالخلق، الإيمان بالفناء، الإيمان بالبقاء، الإيمان بالوجود، الإيمان بالعدم، الإيمان بالموت، الإيمان بالحياة، الإيمان بالإنسان، الإيمان بالكون، الإيمان بالطبيعة، الإيمان بالمادة، الإيمان بالحس، الإيمان بالتجربة، الإيمان بالنقل، الإيمان بالعقل، الإيمان بالفلسفة، الإيمان بالحكمة، الإيمان بالعلوم، الإيمان بالمعرفة، الإيمان بالثقافة، الإيمان بالحضارة، الإيمان بالمدنية، الإيمان بالتمدن، الإيمان بالتحضر، الإيمان بالتقدم، الإيمان بالتطور، الإيمان بالارتقاء، الإيمان بالنشوء، الإيمان بالتكامل، الإيمان بالتغير، الإيمان بالثبات، الإيمان بالاستقرار، الإيمان بالحركة، الإيمان بالسكون، الإيمان بالتحرك، الإيمان بالجمود، الإيمان بالتجدد، الإيمان بالتقليد، الإيمان بالتجديد، الإيمان بالاتباع، الإيمان بالابتداع، الإيمان بالاقتداء، الإيمان بالتأسي، الإيمان بالتشبه، الإيمان بالمحاكاة، الإيمان بالمماثلة، الإيمان بالمشابهة، الإيمان بالمخالفة، الإيمان بالمغايرة، الإيمان بالمباينة، الإيمان بالمفارقة، الإيمان بالمجانبة، الإيمان بالمقاطعة، الإيمان بالمهاجرة، الإيمان بالهجرة، الإيمان بالاغتراب، الإيمان بالغربة، الإيمان بالوحدة، الإيمان بالعزلة، الإيمان بالانفراد، الإيمان بالانعزال، الإيمان بالاعتزال، الإيمان بالتفرد، الإيمان بالتميز، الإيمان بالتفوق، الإيمان بالسبق، الإيمان بالريادة، الإيمان بالقيادة، الإيمان بالزعامة، الإيمان بالرئاسة، الإيمان بالسيادة، الإيمان بالسلطة، الإيمان بالحكم، الإيمان بالدولة، الإيمان بالأمة، الإيمان بالشعب، الإيمان بالوطن، الإيمان بالقومية، الإيمان بالعروبة، الإيمان بالإسلام، الإيمان بالمسلمين، الإيمان بالمؤمنين، الإيمان بالمتقين، الإيمان بالصالحين، الإيمان بالأولياء، الإيمان بالشهداء، الإيمان بالصديقين، الإيمان بالأبدال، الإيمان بالأقطاب، الإيمان بالأوتاد، الإيمان بالنجباء، الإيمان بالنقباء، الإيمان بالمحدثين، الإيمان بالمجددين، الإيمان بالمجتهدين، الإيمان بالعلماء، الإيمان بالفقهاء، الإيمان بالمفسرين، الإيمان بالمحدثين، الإيمان بالمؤرخين، الإيمان بالأدباء، الإيمان بالشعراء، الإيمان بالكتاب، الإيمان بالصحفيين، الإيمان بالإعلاميين، الإيمان بالمفكرين، الإيمان بالمثقفين، الإيمان بالمتعلمين، الإيمان بالطلاب، الإيمان بالمعلمين، الإيمان بالمرب

النور في الاستعمال القرآني

وردت مادة (نور) في القرآن بصيغ مختلفة بلغت (٤٩) مرة، منها [illegible] مرة في نص موضوع البحث.

الصيغ التي وردت هي:

[illegible]	[illegible]	[illegible]
المصدر	٤٣	﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ⑮﴾ [المائدة: ١٥]
اسم الفاعل	٦	﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ⑧﴾ [الحج: ٨]

ويأتي النور في الاستعمال القرآني على عدة أوجه[2]:

الأول: الإسلام والإيمان، ومنه قوله تعالى: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة: ٢٥٧] أي الإسلام، وقوله تعالى: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي الإيمان.

الثاني: الهداية، ومنه قوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ [النور: ٣٥] أي هادي من في السماوات والأرض.

الثالث: النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه قوله تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ⑮﴾ [المائدة: ١٥] أي محمد صلى الله عليه وسلم.

الرابع: ضوء النهار، ومنه قوله تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعام: ١] أي ضوء النهار.

الخامس: ضوء القمر، ومنه قوله تعالى: ﴿وجعل القمر فيهن نورا ⑯﴾ [نوح: ١٦] أي ضياء لأهل الأرض.

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٧٢٣-٧٢٤.

[2] انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص [illegible]، نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، ص [illegible]، الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري، ص [illegible]، الوجوه والنظائر، مقاتل بن سليمان، ص ٢٢٣.

الشاهد الخبر الدوسي على الصراط وبه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩] الآية. الخبر الذي يعطي الله المؤمنين على الصراط نورهم

الشاهد التركيب وبه قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] في التركيب

الألفاظ ذات الصلة

النظافة

النظافة لغة:

[illegible] [1] [illegible]

[illegible] [2]

النظافة اصطلاحًا:

هو الإصلاح الشخصي الذي يؤثر في العين [illegible] [3]

وقال الراغب: [illegible] [4]

الصلة بين الطهور والنظافة:

الطهور والنظافة مترادفان لغةً.

ولكن يفرق بينهما بأن الطهور ما كان من باب [illegible] [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

الحسن

الحسن لغة:

[illegible] [5]

الحسن اصطلاحًا:

هو [illegible]

الصلة بين الطهور والحسن:

[illegible]

---

(١) انظر: جمهرة اللغة لابن دريد (٢/ [illegible]).

(٢) انظر: [illegible].

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر [illegible]

(٤) انظر: [illegible].

(٥) انظر: [illegible].

المشكاة

المشكاة لغة:

كل كوة ليست بنافذة وهي أعجمي معرب والمصباح فيها أكثر إنارة في غيرها، وقال مجاهد: المشكاة العمود الذي تكون المصباح على رأسه[1]

المشكاة اصطلاحا:

لا يخرج عن معناه اللغوي.

الصلة بين النور والمشكاة:

الصلة بين المشكاة والنور واضحة فالمشكاة هي مكان المصباح وحاملته حتى يظهر، والصلة بينهما صلة مجاورة.

السراج

السراج لغة:

السين والراء والجيم أصل صحيح يدل على الحسن والزينة والجمال، ومن ذلك السراج سمي لضيائه وحسنه، والجمع سُرُج، والمسرجة التي فيها الفتيل، وأسرج السراج: أوقده، وجبين مسرّج أي: واضح كالسراج، وقالوا: سرج وجهه أي: حسنه الله وبهّجه كالسراج[2]

السراج اصطلاحا:

لا يخرج عن معناه اللغوي.

الصلة بين النور والسراج:

السراج مصدر من مصادر النور، وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]

فالشمس ينبع من أنوارها إضاءة كالسراج.

---

[1] العين للفراهيدي [illegible]، لسان العرب لابن منظور [illegible]، التفسير الوجيز لابن عطية [illegible]

[2] مقاييس اللغة لابن فارس [illegible]، لسان العرب لابن منظور [illegible]

النور والظلمات

من خلال تتبع الآيات الكريمة المقابلة بين النور (الهدى) و(الظلمات) في آيات عدة من القرآن الكريم نلحظ الأمور الآتية:

أولاً: جاء لفظ النور مفرداً والظلمات في أكثر من موضع مجموعاً في القرآن الكريم.

ثانياً: كل ما ورد في القرآن من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر مقابل الإيمان إلا التي في أول سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ (الأنعام: ١).

فالمراد هنا ظلمة الليل ونور النهار.

ثالثاً: جاء سياق معظم الآيات الأساس معبراً على إفراد النور وجمع الظلمات لتعدد طرق الضلال وتعدد السبل؛ فطرق الضلال والكفر المقصودة من الظلمات كثيرة ومختلفة منها: ظلمة الجهل، وظلمة الشك، وظلمة التقليد في الضلال، وظلمة الشرك والكفر، كما أن الظلمة متنوعة ومتدرجة منها: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة البحر، وظلمة القلب وهي أشد ظلمة يعيش أصحابها، كما أن الظلمات من الحرمان متشعبة وإنها أسبابها كثيرة، أما النور فهو شيء واحد، ثم لعله إشارة إلى أمر معنوي وهي أن ظلمة الأدران تتعدد فمنها: ظلمة الانحراف وظلمة الأهواء والشهوات وظلمة طمس القلوب، أما النور فواحد وهو الحق لا يتعدد ومن خالفه اكتنفته الظلمات والظنون، وتعدد أسبابه لا يجمع شيئاً.

قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (الأنعام: ١٥٣).

فطريق الحق واحد مستقيم لا لبس فيه ولا تشعب في مسالكه، أما طرق الضلال فهي متعددة متشعبة تفرق عن سبيله(٢).

وبذلك اختير جمع الظلمات على النور لأنها المتعددة أولاً.

فالحكمة في جمع الظلمات وإفراد النور أولاً من أجل المحسنات البديعية في علم البديع من فن الطباق:

الطباق

وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، وهو أنواع: طباق الإيجاب، وهو ما لم يختلف فيه الضدان سلباً أو إيجاباً.

---

(١) الظلمات القرآنية ص ١٨٨

(٢) ينظر: التفسير الكبير [illegible] وتفسير البيضاوي [illegible] وروح المعاني [illegible] وإعراب القرآن وبيانه [illegible]

وطرفاه: المشبه به وهو ما انتقل إليه المعنى لفظا ومعنى.

٢- الاستعارة التصريحية

والاستعارة من المجاز اللغوي وهي تشبيه حذف أحد طرفيه فعلاقتها المشابهة دائمًا وهي قسمان: تصريحية ومكنية. والتصريحية هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به كما في هذا المثال حيث استعار الظلمات ولا يقصد به إلا الضلال واستعار النور ولا يقصد به إلا الهدى والإيمان(١).

النور في مفردات ألفاظ القرآن

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]

وقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مدبر أمرهما بحكمة بالغة وحجة نيرة، ثم مثل ذلك النور في القلوب بحسب النور الذي لم يدرك بالأبصار فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]

النور: ويجوز أن يكون ما ذكره هنا من القرآن، ويجوز أن يكون النور الذي نزل به قوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]

ويجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو النور الذي قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو المرشد والمبين والناقل عن الله ما هو نور بين(٢).

قال ابن عطية في (...) التفسير عند الآية: ما (...) النور في كلام العرب الأضواء المدركة بالبصر(٣).

---

(١) البلاغة الواضحة، الجارم وأمين، ص ٧٧.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤/٣٩.

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/١٨٤.

وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: 69].

قال الإمام الفخر الرازي في تفسير هذه الآية ما نصه: قالت المجسمة: إن الله تعالى نور محض، فإذا حضر الله في تلك الأرض لأجل القضاء بين عباده أشرقت تلك الأرض بنور الله، وأكدوا هذا بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: 35].

واعلم أن الجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: أنا بينا في تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أنه لا يجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى نورًا بمعنى كونه من جنس هذه الأنوار المشاهدة، وبينا أنه لما تعذر حمل الكلام على الحقيقة وجب حمل لفظ النور ههنا على العدل فنحتاج ههنا إلى بيان أن لفظ النور قد يستعمل في هذا المعنى، ثم إلى بيان أن المراد من لفظ النور ههنا ليس إلا هذا المعنى، أما بيان الاستعمال فهو أن الناس يقولون للملك العادل: أشرقت الآفاق بعدلك، وأضاءت الدنيا بقسطك، كما يقولون: أظلمت البلاد بجوره، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الظلم ظلمات يوم القيامة»[1].

وأما بيان أن المراد من النور هنا العدل فهو أنه قال: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: 69].

ومعلوم أن المجيء بالشهداء ليس إلا لإظهار العدل، وأيضًا قال في آخر الآية: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فدل هذا على أن المراد من ذلك النور العدل، ومما يؤكد ذلك أنه تعالى ختم هذه الآية بإثبات العدل ونفي الظلم.

والوجه الثاني في الجواب عن الشبهة المذكورة: أن قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: 69] يدل على أنه يحصل هناك نور مضاف إلى الله تعالى، ولا يلزم كون ذلك صفة ذات الله تعالى لأنه يكفي في صدق الإضافة أدنى سبب، فلما كان ذلك النور من خلق الله وشرفه بأن أضافه إلى نفسه كان ذلك النور نور الله كقوله: بيت الله، وناقة الله، وهذا الجواب أقوى من الأول لأن في هذا الجواب لا يحتاج إلى ترك الحقيقة والذهاب إلى المجاز.

والوجه الثالث: أنه قد يقال: فلان رب هذه الأرض، ورب هذه الدار، ورب هذه الجارية، ولا يبعد أن يكون رب هذه الأرض

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٧٩.

مثله من الطوائف، وعلى هذا التقدير لا يصح [illegible](1).

وقال تعالى: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ [التوبة: 32].

وقال عز وجل: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ [الصف: 8].

قال الشيخ رشيد رضا في التفسير المنار على لفظ (النور) ما نصه: ما ورد في (النور) من نصوص الكتاب والسنة فقد سمى الله تعالى نفسه نوراً، وورد النور في أسماء الله الحسنى المأثورة، وأسند النور إلى اسم الجلالة في قوله: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ [النور: 35].

وأسنده رسوله صلى الله عليه وسلم إلى وجهه تعالى بقوله: "أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات"(2) [illegible].

وبالمجرد بصيغة الوجه بالإضافة ورد لفظ من أسماء النور في إضافته إليه تعالى في قوله: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ [الزمر: 69].

وقوله: ﴿[illegible]﴾ [الحديد: 12].

على أن نوره في الآخرة كأنه بين يديه وكلامه الذي هو من صفاته، والمراد به في الآخرة ما في آيات الحديد من قوله: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ [الحديد: 13].

وكذلك إطلاق اسم النور على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [المائدة: 15].

على [illegible] ورد مثل هذا في كتب العهد الجديد عند النصارى مروياً عن المسيح عليه السلام كقول يوحنا في رسالته الأولى (1: 5) وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه ونخبركم به: أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة. وأطلق النور على المسيح نفسه في مواضع من إنجيل يوحنا.

ومن المعلوم أن النور حسي ومعنوي، فالأول يرى بالبصر ويرى به البصر سائر المبصرات، والثاني يدرك بالبصيرة ويدرك به البصيرة الحق والخير والصلاح، كذلك نور الآخرة الساطع حسي ومعنوي، وأما نور الله تعالى الذي هو صفة من صفاته فقد أضيف إلى وجهه وأسند إلى ذاته فهو نور ذاته، ولذلك لا يعرف كنهه سبحانه عز وجل، وهو غير النور الذي هو صفاته الساطع من

---

(1) مدارج السالكين لابن القيم [illegible].

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير كتاب الدعاء ص [illegible]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة [illegible].

بصيرة ثاقبة، وقوة كبيرة [illegible] لا يكون [illegible] أيها الإنسان المسلم، يتساءل هذا العصر عن إدراك نور الله عز وجل، فهذا هو النور الحسي الذي تراه بعينك لا تدرك حقيقته ولم يحركها أحد من أبناء جنسك إلى الآن ولم يستطع أحد أن يضع له تعريفاً يحدد عليه المختلف، ولم يكن المفكرون يعرفونه منه إلا ما يرونه من آثار على ظاهرة السماء، ثم عرف المفكرون هذه الظواهر بالنظر العقلي بالتأمل والعلم والعمل في طور تجربته إلا قليل إنه طور حتى العصر والفلسفة والعلم في العصر الحديث الذي تماماً لم يكن هذا القول موافقاً ولقد كانت النظرية الأولى [illegible] معرفة حقول النور طارئة مسيحية متولدة على سائل [illegible] لا [illegible] الطبيعة الحرارة الأولى [illegible] الأشعة والنظرات إن هذه [illegible] كذلك الفلاسفة التي وراء العقل [illegible] من مجرة [illegible] العلوم الصحيحة.

فأي عقل كان يتصور أن يمكن للعقل واحد أن يرى ما لا يحصى من المصابيح في [illegible] أو مجرة كبيرة في طرفة عين، وأن [illegible] في طرفة عين؟ وأن هذه المصابيح [illegible] بلا [illegible] وإنما العقل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (١)

[illegible] نور

أولاً: النور الحسي

ويتجلى في مصابيح السماوات: الأجرام، الشمس.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦].

وقال تعالى أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

قال الإمام البغوي في تفسير ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ بالنهار ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ بالليل. وقيل: جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور. ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ أي: قدر له، يعني هيأ له منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها، ولم يقل: قدرهما. قيل: تقدير المنازل ينصرف إليهما غير أنه اكتفى بذكر أحدهما كما قال: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

وقيل: هو ينصرف إلى القمر خاصة لأن بالقمر يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس، ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً، وأسماؤها: الشرطين، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة،

---

(١) تفسير البغوي [illegible]

والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزباني والإكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت.

وهذه المنازل مقسومة على البروج، وهي اثنا عشر برجاً: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت [illegible] ينزل القمر كل ليلة منزلاً منها ويستتر ليلتين إذا كان الشهر ثلاثين، وإذا كان الشهر تسعاً وعشرين ليلة يستتر ليلة [illegible]

قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

٢- القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (الأعراف: ١٥٧)

وقد ذهب المفسرون في تعيين النور في الآية بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ [illegible] والعلم[٢]

٣- [illegible]

قال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (المائدة: ١٥)

[illegible] محمد صلى الله عليه

---

[١] [illegible]

[٢] [illegible]

[illegible] بالحجاب الواضحة

وذلك لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

أي: [illegible] ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾ وهو التوراة التي قد علمتم وكل أحد قد علم أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران ﴿نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أي: ليستضاء بها في كشف المشكلات ويهتدى بها من ظلم الشبهات، وقوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ أي: تجعلون جملتها قراطيس أي: قطعا تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتحرفون منها ما تحرفون وتبدلون وتتأولون وتقولون هذا من عند الله أي في كتابه المنزل وما هو من عند الله، ولهذا قال تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

٣- النور المعنوي

ويدخل في سياق المعنى الثلاثة الأنواع:

١- الرسول

وذلك بإطلاق اسم النور على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

فالنور هو محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن أو النور الذي يبين الأشياء ويري الأبصار حقيقتها، فمثل ما أوتي به النبي صلى الله عليه وسلم في القلوب في بيانه وكشفه الظلمات كمثل النور، والإسلام، والكتاب المبين: القرآن، فيه البيان[3]

٢- الإسلام

وذلك في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

قال ابن عباس: يعني الإسلام، وقال السدي: يعني القرآن[4]

وذلك أيضا قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

(٣) [illegible] معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٢٣، [illegible] ٢/ ٢٨.

(٤) معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٢٨.

(١) جامع [illegible] للقرطبي ٢/ ٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٦.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

فقد أمر الله [illegible] في هذه الآيات [illegible] [illegible] البر والبحر [illegible] ويسألون الله أن ينجيهم [illegible] البر والبحر [illegible] الكرب [illegible](١)

٢- الهداية

فقد أطلق القرآن الكريم لفظ النور على معنى الهداية واليقين والعلم والإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الحديد: ٩].

أي: حججًا واضحات ودلائل باهرات وبراهين قاطعات ظاهرات [illegible] على [illegible] كل ما جاء به من الحق، ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين، ومن ظلمات الجهل والهادي إلى نور العلم والإيمان [illegible] [illegible](٢)

وقال الشعراوي رحمه الله في خواطره عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [٣]

فالله لم يترك المؤمن [illegible] في النور الحسي [illegible] الرسول [illegible] النور على يد الرسول هو نور المنهج الذي ينظم لنا حركة الحياة [illegible] على [illegible] الحسي [illegible] السموات والأرض [illegible] النور [illegible] على كل [illegible] وليس [illegible] [illegible] الله.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا [illegible]﴾ أي الذين [illegible] الطواغيت والكفار لم [illegible] إلى هذا النور [illegible] إلى النور الحسي في الشمس والقمر [illegible] [illegible] لم يكن [illegible] في النور [illegible] [illegible]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص [illegible]

(٢) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج٤/ ٣٨٨

تيسير الكريم الرحمن ص [illegible]

لقد يئسوا أن نور الله المحمدي على نور القدسي لا يمكن الاستحواذ عليه بالقتال ضده في أثر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فمن تركه من سار لصحبة الله ومن ابتغى الهدى في غير طاعته أضله والصحيح أن الهدى كلما توغل في الهداية ازداد نورا على نوره كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: ١٧) وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ (مريم: ٧٦)

نور النبي من نفسه في علمه

منهج أساسه الله سبحانه وركيزته في الأخذ من الآخر فيما يطلبه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦)

قال سيد قطب رحمه الله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى دنيا ولا إلى مجد ولا إلى عزة قومية ولا إلى عصبية جاهلية ولا إلى مغنم ولا إلى سلطان أو جاه، ولكن داعيا إلى الله في طريق واحد يصل إلى الله ﴿بِإِذْنِهِ﴾ فما هو بمبتدع ولا بمتطوع ولا بقائل من عنده شيئا، إنما هو إذن الله له وأمره لا يتعداه. ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ يجلو الظلمات ويكشف الشبهات وينير الطريق، نورا هادئا هاديا كالسراج المنير في الظلمات. وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من النور، جاء بالتصور الواضح البين النير لهذا الوجود ولعلاقة الوجود بالخالق ولمكان الكائن الإنساني من هذا الوجود ومن خالقه وللقيم التي يقوم عليها الوجود كله ويقوم عليها وجود هذا الإنسان فيه وللمنشأ والمصير وللهدف والغاية وللطريق والوسيلة، في قول فصل لا شبهة فيه ولا غموض، في أسلوب

---

(١) تفسير في ظلال القرآن: ٥/٢٨٧٤

ومطالب العقلاء عقلاً ونقلاً ويصل إليها من أقرب السبل وأوضح الأبواب وأسهل المسالك والدروب(١).

كما سمى الأنبياء [illegible] لرب العالمين.

قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد: ٢٤]

وقال أيضاً: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء: ٨٢].

قال الرازي: اعلم أن المنافقين من جملة أنواعٍ من الأعمال القبيحة الصادرة من [illegible] يسعون في إبطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويجتهدون في إبطال الدلائل الدالة على صحة شرعه وكونه نبيه، وأمره من أقوى الدلائل الدالة على صحة نبوته وهي أمور كثيرة منها:

المعجزة: المعجزات الظاهرة التي ظهرت على يديه، فإنّ المعجز إما أن يكون دالاً على الصدق أو لا يكون، فإن كان دالاً على الصدق فحيث حصل المعجز لا بد من حصول الصدق فوجب كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقاً، وإن لم يدل على الصدق قدح ذلك في نبوة موسى وعيسى عليهما السلام.

والثانية: القرآن العظيم الذي ظهر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مع أنه من أول عمره إلى آخره ما تعلم وما طالع وما استفاد وما نظر في كتاب، وذلك من أعظم المعجزات.

والثالثة: أن مجمل شرعه تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لطاعته والإعراض النفس عن حب الدنيا والترغيب في سعادات الآخرة، والعقل يدل على أنه لا طريق إلى الله إلا من هذا الوجه.

ورابعها: أنّ شرعه كان خالياً عن جميع العيوب، فليس فيه إثبات ما لا يليق بالله وليس فيه دعوة إلى غير الله سبحانه وتعالى، وأخلاقه وما ظهر من حاله في الإعراض عن الدنيا وعدم الالتفات إليها، ولو كان مقصوده طلب الدنيا لما بقي الأمر كذلك.

فهذه الأحوال دلائل قوية وبراهين ظاهرة في صحة نبوته، لم يأتوا بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة وأنواع كيدهم ومكرهم: أرادوا إبطال هذه الدلائل كلها، فكان هذا بمثابة سعي من يريد إبطال نور الشمس بسبب أن كلباً ينبح عليها، وكما أن هذا باطل ومحال فكذلك ههنا، فلهذا ذكر عقيب قولهم هذا قوله: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾.

ثم إنه تعالى وصف محمداً صلى الله عليه وسلم [illegible] القرآن والإعجاز القرآني وكمال القرآن فقال: ﴿أفلا يتدبرون

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق

[illegible]

فإن قيل: كيف جاز أن [illegible] إلا كذلك ولا يقال أريدت أو تحققت إلا [illegible] فقد أجري (أي) مجرى لم يرد [illegible] ما أراد الله إلا كذلك إلا أن المراد بالرد إرادة علم الإرادة وهي [illegible] والشارع عليه [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] فقد أنه الصحيح بالشك ولا يجوز أن يصحح به كونه القلب لأن ذلك يصح من الغير [illegible] وذلك [illegible] والحق ما ذكرناه وإنما سمي [illegible] بالنور لأن النور يهدي إلى الصواب كذلك [illegible] يهدي إلى الصواب في الأمور.

ثم [illegible]

ثالثاً: سعي نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم: ٨).

قال ابن عاشور: ضمير ﴿نُورُهُمْ﴾ عائد إلى النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه، وإضافة (نور) إلى ضمير (هم) مع أنه لم يسبق إطلاق ذكر نور لهم ليست إضافة تعريف إذ ليس المقصود تعريف النور وتعيينه، ولكن الإضافة مستعملة هنا في لازم ضمير نورهم عائد إلى النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه، وإضافة (نور) إلى ضمير (هم) مع أنه لم يسبق إطلاق ذكر نور لهم ليست إضافة تعريف إذ ليس المقصود تعريف النور وتعيينه ولكن الإضافة مستعملة هنا في لازم معناها وهو اختصاص النور بهم في ذلك اليوم بحيث يميزه الناس عن غير الأبرار بوعد.

ويسعى النور: امتداده وانتشاره، شبه ذلك بالانتشار سعي الساعي وذلك أنه يحف

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي [illegible]

[illegible] كما أشار الأعلام [illegible] من شهود الأمم [illegible] لأن النور الذي كان بين أيديهم [illegible] به كرامة لهم [illegible] الأمور [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم على الإرشاد والهدى، وهذا النور نور حقيقي يهبه الله للمؤمنين يوم القيامة [illegible] للملائكة [illegible] النور بمعنى (الهدى).

وقد تقدم القول هنا في سورة الحديد [illegible] ﴿[illegible]﴾ إلى آخرها [illegible] ﴿[illegible]﴾ وظاهر أن [illegible] في ذلك النور [illegible] من ذلك النور [illegible] الذين آمنوا مع النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] من كان نوره أقل من نور غيره [illegible] في ذلك اليوم [illegible] على المؤمنين [illegible] مع الله [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم سبعين مرة [illegible] ﴿وأتمم لنا نورنا﴾ [illegible] لهم[1].

ثانيا: تمني المنافقين الاقتباس من نور المؤمنين

قال تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ۝ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور﴾ (الحديد: [illegible]).

قال الزجاج: المراد من هذا النور هو [illegible] واختلفوا في هذا النور على وجوه:

أحدها: قال قوم: المراد النور على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل [illegible] على قدر [illegible] في العظم والصغر، فعلى هذا مراتب الأنوار مختلفة فمنهم من يضيء له نور كما بين عدن إلى صنعاء، ومنهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من لا يضيء له نوره إلا موضع قدميه، وأدناهم نورا من يكون نوره على إبهامه يطفأ مرة ويتقد

---

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور، [illegible]

النور، وهذا القول حكوه عن ابن مسعود وقتادة وغيرهما، وقال مجاهد: ما من عبد إلا وينادى يوم القيامة: يا فلان ها نورك، ويا فلان لا نور لك، نعوذ بالله منه، واعلم أنه جاء في سورة النور أن النور المعطى من الله تعالى، وأنه إنما أعطى من أراد فيصير أولى بكونه نوراً من غير الجسد، وهذا كذلك غير أن سورة الله في النور في القيامة فتتفاوت الأنوار يوم القيامة على حسب مقادير الحسنات في الدنيا.

والمراد من النور ما يكون سبباً للنجاة، ولهذا قال: ﴿بين أيديهم وبأيمانهم﴾ لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم، والمراد بهذا النور الهداية إلى الجنة، كما يقال: ليس لهذا الأمر نور، إذا لم يكن المقصود حاصلاً، ويقال: هذا الأمر له نور ورونق، إذا كان المقصود حاصلاً(٢).

وقال ابن أبي حاتم برواياته في تفسير الآية: حدثنا عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ قال: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه يطفأ مرة ويوقد أخرى.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه، فأنظر إلى ما بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم، ومن خلفي مثل ذلك، وعن يميني مثل ذلك، وعن شمالي مثل ذلك، فقال الرجل: يا رسول الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال: هم غر محجلون من أثر الوضوء، ليس أحد كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم يسعى بين أيديهم ذريتهم"(٣).

وعن سليم بن عامر قال: خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها قال أبو أمامة: أيها الناس إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر، وهو هذا يشير إلى القبر، بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق، إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله فتبيض وجوه وتسود وجوه.

---

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٩/ ٢٢٢

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم ٢٢٢ وإسناده صحيح.

لم تختلط معه في حياته [illegible] الناس طائفة المجاهدة ثم يقسم الفرز ليعطي المؤمن قيمته بجدارة [illegible] والقاعد لا يستويان أبداً ومن طمح [illegible] يحبه الله في كتابه قال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 19].

فلا يستوي القاعد والمجاهد عند المؤمن كما لا يستوي الأعمى عند البصير، و﴿[illegible] عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [illegible] ومن شجعه الله على حرج [illegible] المخالفين حيث قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [النساء: [illegible]].

لم يصبروا إلى المكانة التي تسمو به [illegible]، فلا يستحقون شيئاً لتصرفهم [illegible] ولذا ضرب ﴿[illegible]﴾ الآية.

وقوله عليه من خير كما ورد المعنى [illegible] حتى يقسم الفرز ويميز الله بين المؤمن والمنافق [illegible] عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: [illegible] يوم القيامة كما من مؤمن ولا كافر إلا [illegible] الله [illegible] في المؤمنين [illegible] المتكاثرة [illegible] ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾[1]

وهذا مقام الشهداء عند ربهم بما يستحقون به من أجر ونور.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: 19].

قال السعدي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: الإيمان عند أهل السنة: هو ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، فيشمل ذلك جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة، فالذين جمعوا بين هذه الأمور ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ أي: الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين، ودون مرتبة الأنبياء.

وقوله تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ كما جاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة مائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله)[2].

وهذا يقتضي شدة علوهم وارتفاعهم وقربهم من الله تعالى.

---

[1] تفسير ابن أبي حاتم [illegible]

[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد رقم [illegible]

وقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾.

فهذه الآيات جمعت أصناف الناس المثلى: المصطفين والصديقين والشهداء وأصحاب الصحبة الممتازة الذين كان كل همهم الإحسان إلى الخلق وبلاغ الشرع إليهم بغاية ما يمكنهم مع جهادهم بالنفس والمال في سبيل الله، والصديقون هم الذين كملوا مراتب الإيمان والعمل الصالح والعلم النافع واليقين الصادق، والشهداء هم الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى وبذلوا أنفسهم وأموالهم لنصرته، وأصحاب الصحبة هم الأخيار الذين [illegible] بآيات الله تعالى(2).

تنوع في التمثيل القرآني

يتنوع المثل في القرآن الكريم إلى أنواع عدة مختلفة، ويمكننا أن نقسمها على النحو الآتي:

أولاً: المثل الظاهر

وهو المصرح به بلفظ المثل أو التشبيه كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ البقرة: 17.

فقد ضرب فيها للمنافقين مثلين: مثلاً بالنار ومثلاً بالمطر.

أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هذا مثل ضربه الله للمنافقين كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوءه ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ يقول في عذاب ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ هو المطر ضرب مثله في القرآن ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ يقول ابتلاء ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ تخويف ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يقول يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ يقول كلما أصاب المنافقون في الإسلام عزاً اطمأنوا، فإن أصاب الإسلام نكبة قاموا

---

(2) تيسير الكريم الرحمن ص ١٨٧.

أو بصيرا إلى نظائر كقوله: ﴿[illegible]﴾ [الحج: [illegible]].

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ثانيا: المثل الكامن

وهو الذي لا يصرح فيه بلفظ التمثيل صراحة، ولكنها يفهم من السياق، ويدل [illegible] على معنى المثل، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فقد مثل المؤمن بالحي، ومثل الكافر بالميت، ومن [illegible] هذا النور [illegible] [illegible] الظلمة في [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] وتكراره.

ثالثا: المثل المرسل

وهو الذي لم يصرح فيه بلفظ التشبيه، بل هي ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل، كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible][1].

فقد قيد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ووصفه بالسراج المنير[2].

ونختم باستعراض ما استخلصه الإمام الراغب الأصفهاني في معاني النور من معان مختلفة [illegible] [illegible] القرآنية بهذه الصيغة:

النور: الضياء والسناء الذي يعين على الإبصار، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي، فالدنيوي ضربان: معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل، ونور القرآن. ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم والنيرات.

فمن النور الإلهي قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ومن النور المحسوس الذي يدرك بعين البصر نحو قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥].

وتخصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث إن الضوء أخص من النور، وقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦] أي: ذا نور.

ومما هو عام فيهما قوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، [illegible]

[2] مباحث في علوم القرآن، القطان، [illegible]

وقوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

ومن النور الأخروي قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

ويسمى الله نفسه بالنور من حيث إنه منوره، فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وتسميته تعالى بذلك المبالغة فعله. وقيل: النور هو الذي يبصر بنوره ذو العماية ويرشد بهداه ذو الغواية. وقيل: هو الظاهر الذي به كل ظهور، فالظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورًا. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه»[1] أي: هو نور كيف أراه. وسئل عنه الإمام أحمد فقال: ما زلت منكرًا له وما أدري ما وجهه. وقال ابن خزيمة: في القلب من صحة هذا الحديث شيء.

وكذلك يعني أهل المعتقد النور جسم وعرض، والله تعالى ليس بجسم ولا عرض، وإنما حجابه النور، وكذلك روي في حديث أبي موسى والصحيح: «حجابه النور» أي: النور يمنع من رؤيته. وفي الصحيحين: «اللهم اجعل في قلبي نورًا»[2] وذكر سمعه

الأعضاء بالحسي، المحمول عليه الأعضاء حتى في الفعل، والمحمول المعنوي والذي لها على سبيل التجوز بالقلب.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٥]، يعني به النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أي: القرآن.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، أي: الليل والنهار.

وقوله: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [الزمر: ٢٢] يعني به الإسلام.

وقوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا﴾ [الحديد: ٢٨].

وقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]، المراد به نور الهداية.

وسمى الله الكتب التي يهتدى بها نورًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

والمعرفة المعتمدة ونور العارفين في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وفي حديث الصوم: «الظلم ظلمات يوم القيامة»[3]

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قوله صلى الله عليه وسلم: نور أنى أراه، رقم ١٧٨.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل، رقم ٦٣١٦، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم ٧٦٣.

[3] أخرجه أحمد في مسنده رقم ٥٨٦٢، والترمذي في سننه أبواب صفة القيامة، رقم ٢٠٣٠.

ويحتمل أن يكون [illegible] [illegible] [illegible] الشمس على الليل [illegible] [illegible] كما جاء في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المذكورة في قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧].

[illegible] [illegible] الشمس والقمر من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في الدنيا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible][1]

[illegible]

[illegible]

---

[1] [illegible]

الهجرة

عناصر الموضوع

سيرة الهجرة ١٩

الهجرة في الاستعمال القرآني ٣٢

الإعداد للهجرة ٨٥

هجرة النبي ٩٠

هجرة الأعمال ١٠٣

مع الهجرة ١٠٨

الهجرة في سبيل الله ١١٩

تعريف الهجرة

أولاً: المعنى اللغوي:

الهاء والجيم والراء أصلان، يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شدِّ شيء وربطه.

فالأول الهجر: ضد الوصل. وكذلك الهجران. وهاجر القوم من دار إلى دار: تركوا الأولى للثانية[1].

هجره يهجره هجراً وهجراناً: صرمه، وهما يهتجران ويتهاجران، والاسم الهجرة، وقيل: المهاجرة، ويذهب إلى أن المهاجر جمع مهجر، ويروى أنه من الهجير الشديد كأن واحدها مهجرة، والصحيح في مهاجر أنها جمع مهاجرة بمعنى الهجر[2].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

الهجرة شرعاً: ترك الوطن الذي بين الكفار، والانتقال إلى دار الإسلام[3].

وقيل: الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام[4].

وقيل: إنما انصرفت إلى هجرة بعد الفتح إلى دار الإسلام رغبة في تعلم الإسلام والعمل به[5].

فالهجرة هي: الخروج في سبيل الله من دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن دار الخوف والفتنة إلى دار آمن فيه المسلم على السلامة في الدين والنفس[6].

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٣٤).
وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/ ٢٤٤).

[2] انظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢٥٠).

[3] التعريفات للراغب الأصفهاني ص٨٣٣.
وانظر: التعريفات للجرجاني ص٢٥٦.

[4] المغني لابن قدامة (٩/ ٢٩٣).

[5] انظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني ([illegible]٣٩).

[6] الهجرة: مسائل وأحكام، عبد المنعم مصطفى، ص١٠، المفصل في أحكام الهجرة، علي بن نايف الشحود، ص٦.

[illegible] في الاستعمال القرآني

وردت مادة [illegible] في القرآن الكريم ([illegible]) مرة

بالصيغ التي وردت هي:

[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفعل الماضي	[illegible]	﴿[illegible]﴾ [[illegible]]
الفعل المضارع	[illegible]	﴿[illegible]﴾ [[illegible]]
فعل الأمر	[illegible]	﴿[illegible]﴾ [[illegible]]
المصدر	[illegible]	﴿[illegible]﴾ [[illegible]]
اسم الفاعل	[illegible]	﴿[illegible]﴾ [[illegible]]
اسم المفعول	[illegible]	﴿[illegible]﴾ [[illegible]]

[illegible][2]

---

(١) انظر: المعجم المفهرس [illegible]، محمد فؤاد عبد الباقي، ص [illegible]

(٢) انظر: الوجوه والنظائر [illegible]

الألفاظ ذات الصلة

الترك

الترك لغةً:

[illegible]

[illegible]

الترك اصطلاحًا:

الترك عند العرب [illegible][3]

الفرق بين المتاركة والهجر:

المتاركة هي: ترك الأمر [illegible][4] أما الهجر فهو أعم من [illegible]

القطيعة

القطيعة لغةً:

القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد يدل على صرم وإبانة شيء من شيء والقطيعة: الهجران [illegible][3] [illegible] إذا لم [illegible][4]

والقطيعة اصطلاحًا:

ترك البر والإحسان إلى الأهل والأقارب وهي ضد الصلة[5]

الفرق بين القطيعة والهجر:

قد يكون بينهما ارتباط في [illegible] التواصل مع [illegible]

---

[1] انظر: مقاييس اللغة لابن فارس [illegible]، مجمل اللغة لابن فارس [illegible]، الصحاح للجوهري [illegible]

[2] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص [illegible]

[3] المصدر السابق ص [illegible]

[4] انظر: تهذيب اللغة للأزهري [illegible]

[5] انظر: مقاييس اللغة لابن فارس [illegible]، مجمل اللغة لابن فارس [illegible]، الصحاح للجوهري [illegible]

[6] انظر: [illegible]

[illegible] الأصلي إلا أنه لا [illegible] [illegible] كما أن [illegible] الذي [illegible] من [illegible] لا يلزم من [illegible] إلى [illegible] [illegible] على [illegible]

٢ الخروج

الخروج لغة

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] [illegible] والخروج: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] من [illegible] السبيل[1]

الخروج اصطلاحاً

الانتقال من المسجد إلى الخارج بجميع البدن أو بعضه[2] وقيل: هو عبارة عن الانفصال من مكانه الذي هو فيه إلى مكان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible][3]

الفرق بين الخروج والهجرة

الخروج: هو الانتقال من مكان إلى مكان آخر، وقد يكون مذموماً أو محموداً، والهجرة: الرحيل من مكان لآخر، وتطلق غالباً [illegible] محمودة.

---

(1) انظر: [illegible] اللغة لابن فارس ٢/ [illegible] ، [illegible] اللغة لابن فارس ٢/ [illegible]

(2) [illegible] [illegible] [illegible] ص [illegible]

(3) الكليات [illegible] ص [illegible]

[illegible]

من أنواع الهجرة التي أقرها القرآن الكريم مبينا المكلفين بصورة [illegible] بالبيان فيما يأتي:

أولاً: الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام

دار الحرب: هي كل بقعة تكون فيها الحروب بين المؤمنين والكافرين.

فدار الحرب هي دار الكفار الذين بينهم وبين المسلمين حرب.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع من الهجرة.

قال الله عز وجل في سورة العنكبوت: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

أرشد الله عباده المؤمنين الهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين وعبادة الله وحده.

وممن ذهب إلى أن المراد بهذه الآية الهجرة والانتقال ابن زيد ومقاتل والطبري[٢]

وكلام ابن زيد أوضح في أن المراد بالآية هجرة المسلمين من مكة. قال ابن وهب عن هذه الآية ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦] قال: يريد بها من كان بمكة من المؤمنين، فأمروا بالهجرة[١]

ودليل الآية قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ فيه بيان أن علة الأمر لهم بالهجرة هي تمكينهم من إقامة العبادة لله تعالى[٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون[٣] بالإسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم بقتل بعض، قال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين

---

(١) الإعلام بوجوب الهجرة من دار الكفار إلى دار الإسلام، عبد العزيز بن صالح الجربوع، ص٦.

(٢) جامع البيان للطبري ٢١/ ٣٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٣٥٧.

---

(١) جامع البيان ٢١/ ٣٦.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢١/ [illegible]

(٣) يستخفون أي يستترون أي يسرون بالإسلام، [illegible]

[illegible] الآية[1]

فهذه الآية كما ترى تتحدث على أهمية الهجرة من أرض الكفر ومحاربة من أقامه بين ظهور المشركين بسبب خطره [illegible] من قبل [illegible] الله [illegible] من أهل الأعذار.

والمقصود بالهجرة في الآية الانتقال من مكة إلى المدينة، وذلك حتى اشتدت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وضيقت عليهم ومنعتهم من الدعوة إلى الله عز وجل بإقامة شعائره فأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة لإقامة دولة الإسلام وإرساء مبادئ الدين الجديد.

حكم الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام:

يستدل من الآية السابقة على بعض الأحكام المتعلقة بالهجرة على النحو الآتي:

- وجوب الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام عند عدم التمكن.

هذا حكم باق إلى يوم القيامة ويستفاد هذا الوجوب في الآية من عدة أمور:

- وصف الذين لم يهاجروا بالظلم في قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧].
- تبكيت الملائكة لهم بعد موتهم في قوله عز وجل: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء: ٩٧].
- توعدهم بالنار في الآخرة وبئس المصير في قوله عز وجل: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في هذه الآية: هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية[2].

قال ابن العربي رحمه الله: الخروج الثاني من الهجرة: الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضاً في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة، والهجرة التي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان، فمن أسلم في دار الحرب وجب عليه الخروج إلى دار الإسلام فإن بقي فقد عصى[3].

وقال الشيخ السعدي في تفسير الآية: وفي هذه الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه [illegible] رقم [illegible] [illegible] الآية رقم ٤٥٩٦

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣٨٩

[3] أحكام القرآن لابن العربي ١/ [illegible] بتصرف

الهجرة(١).

٢- أهل الأعذار سقط عنهم ولا يشملهم العقاب.

من سعة الله عز وجل ورحمته أنه لم يكلفهم فوق طاقتهم، ولم يؤاخذهم بما يعجزون عن استطاعته، وهذا من محاسن الإسلام ويسر شريعته، وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد عفا عمن لم يقدر على الهجرة لسبب من الأسباب، ولم يؤاخذه بما لم يرد به ترك الهجرة، بل عن سبب، وهو ما يريده الله عز وجل: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٨-٩٩].

قال ابن عطية: ثم استثنى منهم من كان مستضعفًا على حقيقة من زمنى(٢) الرجال وضعفة النساء والولدان، والحيلة لفظ عام لأسباب أنواع التخلص، والسبيل: سبيل المدينة فيما ذكر مجاهد والسدي وغيرهما، والصواب أنه عام في جميع السبل. ثم رجّى الله سبحانه وتعالى هؤلاء بالعفو عنهم(٣).

والمقصود من: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ المنتقل من الوعيد، والمعنى: إلا المستضعفين حقًا أي العاجزين عن الخروج من مكة لقلة جهد أو لإكراه المشركين إياهم على البقاء والحبس بالولدان. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ [النساء: ٩٨] الحيلة: التسبب والمحاولة التي على ما من الرجال مستطيعين [illegible] ثم [illegible] النساء والصبيان [illegible] ومن هم في [illegible] لكونه [illegible] لها لا يمكنها حيلة.

وقوله: ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٨] حال من المستضعفين موضحة للاستضعاف ليظهر أنه غير الاستضعاف الذي يقوله الذين ظلموا أنفسهم: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧].

أي: لا يستطيعون حيلة في الخروج؛ إذ ليس لأهل مكة إذن بالخروج من الحرب ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٨] أي: معرفة الطريق كالأعمى(١).

المهجر: واجب في حق كل من أسلم من ظهراني المشركين، وهو القادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين التي لم يصل [illegible] مرتقب، وأما من كان مستضعفًا عاجزًا عن الهجرة لسبب من الأسباب فقد عفا الله عنه [illegible] والله

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص [illegible]).

(٢) الزمنى: [illegible] لسان [illegible] تاج العروس [illegible].

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية [illegible].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥/ ١٧٦- ١٧٧) باختصار.

العلم.

ثانياً: الهجرة من أرض البدعة والمعصية إلى أرض السنة والطاعة.

من أنواع الهجرة التي أقرها الشرع الهجرة من أرض البدعة والمعصية إلى أرض السنة والطاعة.

والمقصود بأرض البدعة والمعصية هي التي تظهر فيها الأحكام ثم انتشرت فيها البدع والمنكرات.

وليس المقصود بالأرض هنا البلد أو المدينة أو المنطقة، بل الأمر أوسع من ذلك ليشمل كل بلدة أو مجلس أو عمل فيه [illegible] أو [illegible] غير مشروع.

وقد جاءت الأدلة إلى هذا النوع من الهجرة في الكتاب والسنة.

فقد أشار القرآن الكريم في مواضع كثيرة إلى مشروعية الهجرة من أرض البدعة والمعصية إلى أرض السنة والطاعة ومن هذه الآيات:

قال الله عز وجل في سورة العنكبوت: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ [العنكبوت: ٥٦].

وبهذه الآية وأمثالها استدل بها على وجوب الهجرة من دار الكفر إلا أن بعض السلف ومنهم سعيد بن جبير وعطاء[١] رأوا أن المقصود بالهجرة في الآية الهجرة من أرض المعاصي إلى أرض الطاعة بناء على عموم الآية.

قال الإمام القرطبي في بيان القول السابق عند تفسيره لهذه الآية: قال ابن جبير وعطاء: إن الأرض التي فيها الظلم والمنكر تترتب فيها هذه الآية وتلزم الهجرة عنها إلى بلد حق[٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ [النساء: ٩٧].

وقد استنبط العلماء من هذه الآية وجوب الهجرة من أرض البدعة والمعصية إلى أرض السنة والطاعة.

وقد أشار ابن العربي المالكي رحمه الله إلى هذا النوع من أنواع الهجرة بقوله: الثاني من الهجرة الخروج من أرض البدعة، قال ابن القاسم: سمعت مالكاً يقول: لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف، وهذا صحيح فإن المنكر إذا لم يقدر على تغييره زال عنه[٣].

قال الله جل جلاله: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا

---

[١] جامع البيان للطبري ٢١/ ١١.

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٣٥٧- ٣٥٨.

[٣] أحكام القرآن لابن العربي [illegible]

غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ [الأنعام: ٦٨][1].

ثم ذكر - رحمه الله - الهجرة من أرض المعصية إلى أرض الطاعة، وقال: النوع الثالث من أنواع الهجرة: الخروج من أرض غلب عليها الحرام، فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم[2].

وأطبق أهل العلم في تفسير هذه الآية على أن المقصود بها مجالس الباطل والاستهزاء بالدين[3].

والخطاب وإن كان للرسول صلى الله عليه وسلم في الآية، فالمراد به حكم بقية المسلمين كحكمه، كما قال جل جلاله في ذكر المنافقين: ﴿ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ [النساء: ١٤٠].

قال الحافظ ابن كثير عن آية سورة الأنعام: يعني بها: المسلمين، والمراد بهذه الآية كل فرد من آحاد الأمة ألا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها، وهذه الآية هي المشار إليها في قوله: ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾ [النساء: ١٤٠].

أي: إنكم إذا جلستم معهم وأقررتموهم على ذلك فقد ساويتموهم في الذي هم فيه[4].

ووردت الهجرة كذلك في السنة النبوية كما وردت في القرآن.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم

---

[1] أحكام القرآن لابن العربي ([illegible]) بتصرف.

[2] المصدر السابق.

[3] انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible]، مفاتيح الغيب للرازي [illegible]، التفسير الوسيط لطنطاوي [illegible].

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ([illegible]).

مطولاً في صحيح البخاري ومسلم[1] فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة، قال قتادة: فقال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره[2][3].

قال النووي رحمه الله: قوله: (انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء) قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب والأخدان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين ومن يقتدى بهم وينتفع بصحبتهم وتتأكد بذلك توبته[4].

حكم هذه الهجرة

سبق أن بينا أن الهجرة من أرض البدعة بالنسبة إلى أرض السنة والطاعة ليس قاصرة منها [illegible] إلى بلد أو منطقة فحسب بل الأمر أوسع من هذا يشمل كل بقعة أو مجلس تحصل فيه بدعة أو شيء محرم.

ويدل على ذلك وجوب ترك الجلوس [illegible].

أدلة الوجوب: لما كان الجلوس في مثل هذه الأماكن [illegible] على الإقرار [illegible] على المنكرات كما يفهم من نصوص القرآن وكلام العلماء.

ويفهم هذا الوجوب من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ومن دلالات الوجوب في الآية صيغة الأمر بالإعراض في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وتحصل غاية هذا الإعراض[5] أي يخوضوا في حديث غيره وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وكذلك يستفاد من النهي في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

---

[1] سبق تخريجه.

[2] [illegible] بصدره [illegible] إلى أرض التوبة [illegible] الأرض التي [illegible].
انظر: شرح [illegible] النووي على صحيح مسلم [illegible].

[3] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (رقم ٢٧٦٦).

[4] شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٨٣).

[5] أي: أمد الإعراض.

إلا بإزالته في هذه الأرض [illegible] كان زوجها كما يراه ساقطاً - [illegible] المسلم [illegible] من رجل وله القدرة على الإلزام [illegible] به.

وعلم الوجوب من كلام العلماء المالكيين [illegible] الحنفي [illegible] والوجهة.

الثاني: حرمة الحضور [illegible]

وهذا إذا كان المسلم قادراً على إزالة المنكر بيده، وعلى إزالة عليه المنكر [illegible] وعلى [illegible] في مثل هذه الأماكن.

ويؤخذ هذا الحكم من قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ الأنعام ٦٨.

وقد صرح بعض العلماء بهذا الحكم [illegible] من كلام [illegible] [illegible] [illegible]

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال المسلمون: لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لما قدرنا على أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت، فنزلت هذه الآية وحصلت الرخصة لهم المؤمنين بأن يقعدوا معهم ويذكروهم ويفهموهم[1]

وقال الشيخ السعدي في قوله تعالى ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ الأنعام ٦٨: [illegible] النهي والتحريم لمن جلس معهم ولم يستعمل تقوى الله بأن كان يشاركهم في القول والعمل المحرم أو يسكت عنهم وعن الإنكار فإن استعمل تقوى الله تعالى بأن كان يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر والكلام الذي يصدر منهم فيترتب على ذلك زوال الشر أو تخفيفه فهذا ليس عليه حرج ولا إثم ولهذا قال ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ الأنعام ٦٩[1]

وقال ابن القيم رحمه الله [illegible] بقوله لا يحل لأحد أن [illegible] [illegible] [illegible][2]

وقد وافقه ابن العربي بقوله: [illegible] صحبة أهل المنكر إذا لم يقدر على تغييره [illegible]

قال الله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد

---

[1] [illegible] القرآن ٦٢ / ٣٣

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٢٦٢
[2] أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٣
[3] [illegible] في أحكام القرآن [illegible] [illegible] [illegible]

مع القوم الظالمين﴾ [الأنعام: ٦٨]⁽¹⁾.

فيفهم من ترك مكان المنكر إذا لم يقدر على تغييره تدل عنده جواز السكنى والجلوس عند استطاعة تغيير المنكر.

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ [النساء: ٩٧]: وفي هذه الآية دليل على هجرة الأرض التي يعصى فيها⁽²⁾ ومخالطة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم وذلك يسير عليه غير عسير⁽³⁾.

وبعد عرض كلام أهل العلم في هذا النوع من الهجرة يتبين أنها تدور بين الوجوب والجواز على التفصيل الذي سبق بيانه والله أعلم.

ثالثاً: الهجرة لطلب العلم والتجارة:

لما كان طلب العلم وتعلمه وتعليمه للناس من أجل الأعمال وأفضلها عند الله في سبيل تحصيله لابد من الترحال والهجرة ولوناً من ألوانها يحتاج لما يترتب عليه من مصالح للمسلمين ولما يصاحبه من مشقة ترك الأوطان، ومفارقة الإخوان، ومكابدة مشاق السفر والغربة ونحوها.

وجاء الحث على هذا النوع في القرآن الكريم في أكثر من موضع من آياته الكريمة وأيضاً تظافرت النصوص الشرعية في طلب العلم.

كما حثت السنة النبوية الشريفة أيضاً على هذا النوع بنصوص كثيرة.

يقول الله عز وجل: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ [التوبة: ١٢٢].

وفي هذا الإشارة إلى أهمية الخروج والهجرة لطلب العلم والتفقه في الدين لما فيه من مصلحة والعمل بها إذ أن غاية هذا الخروج من البلاد هو التفقه في الدين وإنذار العباد.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في قوله: ﴿ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ [التوبة: ١٢٢]: أي: ليتعلموا العلم الشرعي ويعلموا معانيه ويفقهوا أسراره وليعلموا غيرهم ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم⁽¹⁾.

ويقول القرطبي رحمه الله تعالى في الآية

---

(1) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ [illegible]

(2) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن [illegible]

(3) فتح القدير للشوكاني ٢/ ١٤٩

(1) تيسير الكريم الرحمن السعدي ص ٣٥٤

إشارة إلى الرحلة في طلب العلم.

واتخذ الطاهر ابن عاشور هذه الآية أصلاً في طلب العلم فقال: فهذه الآية أصل في وجوب طلب العلم على طائفة عظيمة من المسلمين وجوباً على الكفاية[2].

والنظر في سياق الآية يبين أنها أتت في معرض الحديث عن الجهاد في سبيل الله، وكأن في هذا إشارة إلى أن الجهاد لطلب العلم لا يقل في المنزلة عن الجهاد في سبيل الله.

فالنفير[3] يكون إلى الجهاد، وهو النفر إلى القتال في الغزو، والعرف على أحكام الشريعة في النفر إلى الجهاد بقوله عز وجل: ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ [التوبة: 41].

وفي النفر إلى العلم بقوله جل جلاله: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ [التوبة: 122].

فطلب العلم فريضة على كل مسلم كفريضة الجهاد سواء بسواء[4].

الصبر والطاعة

الشرط وجود الصبر والحلم من سمات المعلم، ومن سمات التلطف بين هذه الآية وما قبلها في قوله: ﴿فاسألوا [illegible] من الكتاب [illegible]﴾ [illegible].

ويعد الطاهر ابن عاشور رحمه الله يعطي لنا هذه الفرصة بقوله: فإن لم تكن الآية السابقة قد عرضت فريقاً من المسلمين على الانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو لمصلحة نشر الإسلام ناسب أن يذكر عقبها أن فريقاً من المؤمنين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتفقه في الدين ليكونوا مرشدين لأقوامهم الذين دخلوا في الإسلام.

ومن محاسن هذه اللفتة أن أدل صفات المتصرف على الغزو [illegible] في التصرف على الطلب إذ اتصفت صفات المتصرف الغزو بالأمر المخصوص في قوله: ﴿فاسألوا الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ [يونس: 94].

واتصفت صفة المتصرف على العلم والفقه بحق طالبه إذ يقول: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل: 43][5].

وهذا الأدب بين أهل المعرفة في طلب العلم والاستمرار.

والمصرة لطالب العلم [illegible] صاحبه

---

[1] [illegible] في استنباط القرآن العربي ص [illegible].

[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible].

[3] أي القرآن وهو مأخوذ من معنى التفرق، لسان العرب مادة نفر بتصرف يسير.

[4] التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (٦/[illegible]) بتصرف يسير.

[5] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible] بتصرف يسير.

لأنه لا قبل في وسعهما من وجوب الجهاد لتحقيق مصالح الأمة.

وقد استنبط الطاهر ابن عاشور رحمه الله هذا الحكم الشرعي من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فأفادت الآية وجوب أمر النفير للغزو، وهو غير مستحصل في النفير كافة؛ وجه ذلك النهي لهم عن تركه، إنه كما كان النفير للغزو بالجيش لأنه في تركه إضاعة مصلحة الأمة، فكذلك كان تركه من طائفة من المسلمين بالجيش لأنه في تعطيل بعض المسلمين للغزو إضاعة مصلحة الأمة أيضا، فأفاد مجموع الكلامين أن النفير للغزو واجب على الكفاية أي على طائفة كافية لتحصيل المقصد الشرعي منه، وكذا تركه متعين على طائفة كافية حصول التحصيل المقصد الشرعي منه أمروا بالاشتغال به من العلم في وقت اشتغال الطائفة الأخرى بالغزو(١).

وقد كانت الحركة أكثر إلى الهجرة لطلب العلم، فقد أشارت السنة النبوية إلى ذلك، وعدت من يأخذ طلب الهجرة مجاهدا فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»(٢).

وعن زر بن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي فقال: ما جاء بك؟ قلت: أنبط العلم(٣) «أطلب العلم» قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع»(٤).

ومما يبين لنا أهمية فضل الهجرة في طلب العلم -زيادة على ما سبق- ما قصه الله علينا من خبر الكليم موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام في سورة الكهف.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه أبواب العلم، باب فضل طلب العلم (٥/٢٩) (٢٦٤٧).
وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم ٢٠٣٧.

(٣) أنبط العلم: استخرجه وأظهره.
انظر المعجم الوسيط (١/٨٩٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٦).
وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/١٠٩٧) (٥٧٠٢).

أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف: ٦٣-٦٦).

تلك قصة ارتحال موسى عليه السلام إلى الخضر، وسعيه إليه، وسبب هذه الرحلة ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معه حوتًا فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ»[1].

إذن فموسى عليه السلام قد سافر لطلب العلم من العبد الصالح.

يقول القرطبي رحمه الله: «في هذا من الفقه: رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء، وإن بعدت أقطارهم، وكان ذلك دأب السلف الصالح»[2].

ويحكي لنا هذه القصة وغيرها عن مدى الحرص الشديد من موسى عليه السلام على مواصلة الرحلة مهما كلفه ذلك من مشقة وتعب إذ يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (الكهف: ٦٠).

وهذا يكشف عن مدى التشديد على تحقيق هذه الرغبة حتى إنه لم يبالها في البحث الذي يحركه فلم يكف عن السعي بل ظل متمسكًا طوال سيره واضعًا لهذه الغاية ساعيًا إليها، ذلك من السلف عليه ويسعى عليه أثر لعجل سيره كما سابق لهذه الرغبة جاهدًا سيره هذا الأمل بل إنه يصدق أن يموت دونها.

فالسعي في طلب العلم من أفضل الأعمال وأعظمها، فلا غرو أن استحق كل هذا الإصرار من نبي كريم.

فالإصرار يبدو في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (الكهف: ٦٠).

فهذا إصرار من موسى عليه السلام وعزم منه على تحمل الصعب الشديد والجهد العظيم في السفر لأجل طلب العلم وبالتالي ثم على أن المتعلم لو سافر من المشرق

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾، الحديث رقم [illegible].

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible].

[3] تفسير القرآن [illegible] ١٥٣.

إلى المذاهب لطلب مسألة يسمعها لعل له طلبة(١٩).

ولو لم يكن لهذا النوع من أنواع السير إلا تحصيل العلم الناجع الذي يورث العبد خشية الله سبحانه لكفاه، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨](٢٠) الذين عرفوه وقدروا أمر الله به ورجعه من سنة الأنبياء والصالحين ويحمل تعليمه للناس من غير الأصحاب وأقوامها.

وقال ابن العربي ﷺ بقوله: بسبب ذلك - أي الهجرة لطلب العلم - وصل المرتحلون إلى الحظ الراجح وحصلوا على السعي الناجح، فرسخت لهم في الطريق أقدامهم وصح لهم من الذكر والأجر والفضل الفضل الإنساني(٢١).

ومن تمام نعمة الله على عباده أن ذلل لهم الأرض وسخرها كالدابة الذلولة سهلة الانقياد، وأرشدهم إلى السير والمشي في جوانبها ونواحيها لتحصيل الرزق والمعاش، فقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

ومن رحمة الله ومنته أيضاً أن يسر لهم من متطلبات أرزاقهم ومقتضيات المعيشة في الأرض من عمل ونشاط وكسب فأباح لهم الانتشار في الأرض للتجارة والتكسب بعد الفراغ من صلاة الجمعة حيث قال جل جلاله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله(٢٢).

وابتغاء الفضل يرد في القرآن بمعنى التجارة(٢٣).

كما أرشد الله عباده أن السفر للتجارة سبب للنيل من فضل الله الواسع، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

والضرب في الأرض هو السفر للتجارة(٢٤).

ويسمي الله السفر للتجارة ضرباً في الأرض؛ لأن المسافر يضرب برجليه ويضرب

---

(١٩) مطالب الهدى ١/٣٩٨.

(٢٠) قال ابن كثير: أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٥٥٣.

(٢١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٨/[illegible].

(٢٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٣٦٧.

(٢٣) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٨/٢٣.

(٢٤) انظر الجواهر الحسان الثعالبي ٤/٣٥، المحرر الوجيز ابن عطية ٥/٣٨٦، التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٩/٢٨١.

الأرض بريحه[1]

ويقول: كيف أن الله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (المزمل: 20)

فأشار إلى سعة ما عند الله بكونه فوق المطلوب وكذا ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: يطلبون ما لم يوجبه فتلك الأحكام لعباده ولا حاجة به إليه يرجون من الربح في التجارة[2]

ومما يبين فضيلة السفر للتجارة والسعي للرزق بشرط توفر النية الطيبة وعدم الانشغال به عن ذكر الله أن الله عز وجل جعل الرجل الساعي على الرزق والتجارة قرينة بالمجاهد في سبيله فقال جل جلاله: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (المزمل: 20)

فقد جمع الله سبحانه وتعالى في الآية بين الساعي في الأرض لطلب الرزق والجهاد في سبيله للإشعار بأن الأول لا يقل في فضله عن الثاني مع توفره له النية الطيبة وعدم الانشغال به عن ذكر الله[3]

قال الطاهر ابن عاشور: فرادة هذه الآية عند الصحابة رضي الله عنهم بأقوال من هذه الآية فضيلة السفر للتجارة حيث سوى الله بين المجاهدين والمكتسب المال الحلال

بمعنى أن الله ما [illegible] ملتمس [illegible] [illegible] [illegible]

فها هو عمر رضي الله عنه يبين فضيلة السعي والتجارة والسعي إلى الرزق فيقول: ما جاءني أجلي في مكان ما عدا في سبيل الله عز وجل أحب إلي من أن يأتيني وأنا بين شعبتي جبل ألتمس من فضل الله ثم تلا: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (المزمل: 20)[4]

وهكذا فهم كثير من العلماء [illegible] كلامهم في بيان فضيلة السفر للتجارة من خلال آية المزمل[5]

وبهذا هذه الجملة من الآية في سورة المزمل في سياق بيان تخفيف على أهم التي تحول بينهم وبين قيام الليل فذكر الله من هذه الأعذار سفر بعض المسلمين للتجارة [illegible] من رزق الله ما يحصلونه في مكاسب وهذا يبين فضيلة السعي للتجارة والسعي على الرزق إذا جعلها الله عذرًا لمن لا يقوم الليل كله ولا يخفف قراءة القرآن.

---

[1] نظم الدرر - البقاعي [illegible]
[2] المصدر السابق.
[3] التفسير الوسيط - طنطاوي [illegible]
[4] التحرير والتنوير - ابن عاشور [illegible] بتصرف.
[5] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب التوكل بالله [illegible] رقم [illegible]
[6] انظر المحرر الوجيز - ابن عطية [illegible] مفاتيح الغيب - الرازي [illegible] الجامع لأحكام القرآن - القرطبي [illegible] روح المعاني - الألوسي [illegible]

هجر وعمل

من أنواع الهجر التي بينها القرآن الكريم هجرة بعض الأعمال، وسوف نتناولها بالشرح فيما يلي:

أولاً: الهجرة من الآثام إلى التوحيد.

فالذنوب والمعاصي من أكبر ما يهلك العبد ويشقيه في دينه وآخرته، ولذا حذرنا القرآن من هذه الأمور السيئة والآثام المهلكة، قال عز وجل: ﴿[illegible]﴾ ([illegible]).

والإيمان بالله والاعتصام به من أهم أسباب النجاة.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible]).

فهجرة المعاصي والشرك منها والاعتصام بالتوحيد لا ريب أنه من أهم أسباب النجاة، ولذا جاء الأمر بها في قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: ٥).

وقد ورد في بيان المراد بالرجز في الآية قولان:

الأول: الرجز هو الأصنام، وقد روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد.

الثاني: الرجز هو المعصية، وقد روي عن إبراهيم والضحاك (١).

وتوجيه الأمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم باجتناب الرجز لا يلزم منه تلبسه بشيء منه، قال ابن كثير: [illegible] كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (الأحزاب: ١).

وقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: [illegible]) (٢). والمعنى في الأمر الثبات والدوام على هجره لأنه صلى الله عليه وسلم كان بريئاً منه (٣).

وعلى كلا القولين في معنى الرجز فالمراد الرجز هو الإثم سواء كان المراد به الذنوب التي يفعلها المرء وسائر الشرور.

قال الشيخ السعدي: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: ٥).

ويحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان التي عبدت مع الله، فأمره بتركها والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل، ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر

---

(١) جامع البيان، الطبري [illegible]
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]
(٣) تيسير الكريم الرحمن، [illegible]

كلها وأقواله، ويكره أمراً له يوقع القلوب صاحبها وكبيرة ظاهرها وباطنها، ويدخل في ذلك الشرك وما دونه(1).

وأصل الشرك بالصنم هو الأوثان؛ لأنه من معاني الرجز في اللغة العربية، قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: 71].

فهذه الآية دالة على وجوب الاحتراز عن كل المعاصي؛ لأنها سبب العقوبة، فكل ما يؤدي إلى الرجز المعصية، لأنه قيل له: اهجر الجهالة والسفه وكل أمر غريب، ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين المستعملين للرجز.

ويظهر أيضاً هجر الآثام جميعاً لعلم أنه هذا الأمر ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: 5] أتى في سورة المدثر، وهي من أوائل ما نزل(2).

والمقصود الآثام والأصنام جميعها، لأنه المشتمل ﴿وَالرُّجْزَ﴾ على معنى ﴿الشِّرْكِ﴾.

قال أبو منصور عن المرسي (الرجز) على معنى عبادة الأصنام في معنى(3) الأمر ورسوله(1).

وقد جاء هذا المعنى - هجرة الآثام - في الحديث الصحيح: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»(2).

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: الهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة؛ فالباطنة ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان، والظاهرة الفرار بالدين من الفتن(3).

والهجرة الظاهرة على الفرار أن يقوم بها من تمكنت من قلبه أنها الهجرة الباطنة، فلا يبالي أن يفارق الإنسان وطنه.

وهذا لا يجب عليه على الصفة هجر القلوب والبدن منها لقلة الأنس حتى ظهرت منها كانت مستمدة لأوقاتها على غربة والبدن بأمثاله ويتوق إلى سماع ما يقوله العلماء(4).

ثانياً: هجرة القوم بالمعاصي

من العلامات الصحيحة أن يكون الإنسان موزعاً بين الله والدار الآخرة، وجمعهما في رحلة لا تسيطر على الرحمة القلبية عليها، والهدف

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص [illegible].

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: باب [illegible] الترمذي [illegible] رقم [illegible].

(3) المعجم [illegible] الاشتقاق [illegible] ولبس [illegible] الرجز [illegible] في غريب الحديث 2/ 232 والمقصود هنا في طريقة أولى سرعى.

(1) التحرير والتنوير، لابن عاشور 29/ 295.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم [illegible].

(3) فتح الباري، لابن حجر 1/ [illegible].

(4) معالم المريد 1/ [illegible].

فإذا تم الرجل عليه عند الهجرة أن يعامل أقرانه على أنه يصطحب ويواجه جميع بحسنه لسبب ما فيحتاج لا يجد إلا أن يهجرهم بمشاعر والله.

وهي الهجرة شرعا يعطيها الله لمن هجر عن الهجرة وبعده.

وقد جاء الأمر بهذه الهجرة في القرآن الكريم: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].

قال الحافظ ابن كثير في بيان المراد بهذه الآية: يقول تعالى آمرًا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجرًا جميلًا، وهو الذي لا عتاب معه(١).

وقد تعددت أقوال المفسرين في بيان معنى الهجر الجميل.

فقال الزمخشري: الهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والإغضاء وترك المكافأة(٢).

وقال صاحب الإشارات: الهجر الجميل أن تعاشرهم بظاهرك وتباينهم بسرك وقلبك(٣).

وقال السعدي عن الهجر الجميل: أمر الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه، مع جدالهم بالتي هي أحسن(١).

ومن خلال كلمات المفسرين يتضح لنا صور للهجر الجميل:

- التجنب الكامل للمخالطة في الأعمال.
- الهجر حيث اقتضت المصلحة مع عدم الإيذاء.
- الإعراض عن الأقوال التي تؤذيه مع الاستمرار في الدعوة والتبليغ.

على الداعية من هذا الهجر ترك الدعوة والتبليغ، وإنما هو هجر وإعراض جميل مع مواصلة الدعوة، وهذا ما نبه إليه الطاهر ابن عاشور رحمه الله بقوله: فإنما كان الهجر ينشأ عن بغض المهجور أو كراهية أعماله كان معرضًا لأن يتعلق به أذى من سب أو ضرب أو نحو ذلك، فأمر الله رسوله بهجر المشركين هجرًا جميلًا، أي: أن يهجرهم ولا يزيد على هجرهم سبًّا أو انتقامًا، وهذا الهجر هو إمساك النبي صلى الله عليه وسلم عن مكافأتهم بمثل ما يقولونه مما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل: ١٠].

وليس مستلزمًا عدم الدعوة للدين فإنها مستمرة، وإنما تبلغ عن الله سبحانه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٢٦٣.

(٢) الكشاف، الزمخشري.

(٣) لطائف الإشارات، القشيري ٣/٦٤٨.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٨٩٣ بتصرف.

والثاني [illegible] إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد رجح الرازي رحمه الله من خلال الآية [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible] [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] ما [illegible] أنه في هذا الباب في [illegible] [illegible] وذلك لأن الإنسان إما أن يكون [illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن يصير [illegible] وإما أن يكون [illegible] [illegible] أن يصير [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] مع [illegible] [illegible][2]

ومما [illegible] به على [illegible] [illegible] [illegible] في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] أمر الله ورسوله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أو من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible].

الأولى: كفار قريش.

قال الطبري رحمه الله: [illegible] [illegible] يا محمد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] الآيات والإكراه بالحسنى، [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][1]

الثاني: من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم.

قال السعدي رحمه الله: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

أي أمر من الأمور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بل [illegible] من [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][2]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

١ - [illegible] إبراهيم عليه السلام [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إبراهيم عليه

---

[1] [illegible] [illegible] ابن عاشور [illegible]

[2] [illegible] مفاتيح الغيب، الرازي [illegible]

[1] جامع البيان، الطبري [illegible]

[2] تيسير الكريم الرحمن، السعدي [illegible]

السلام، وذلك من سيرة الخليل من الأنبياء، وأمر المؤمنين أن يقتدوا به في هذه البصيرة القلبية فقال عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: 4].

فنلاحظ من هذا الموقف أن إبراهيم عليه السلام والمؤمنين معه أظهروا البراءة والإنكار على قومهم الكافرين بالله وبآلهتهم ما سواه، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء يجعلون هذا شعارهم حتى يتخلى قومهم عن كفرهم ومعاصيهم.

قال الطاهر ابن عاشور (رحمه الله): "وهذا ظهور ونشأة في التحدث بحكم العداوة الكبرا لا مرادية فيها أي ليست خفية في القلب خاصة بل هي عداوة واضحة علانية بالقول والفعل"[1].

ويتضح في هذه الآية الجمع بين العداوة والبغضاء وقد كانت إضافتها الثاني في التعبير عن هذه البصيرة القلبية إلا أن القرآن لم يكتف بوصفه بل جمع بينهما للتأكيد على هذه البصيرة القلبية التي وادعت من إبراهيم عليه السلام ومن معه.

قال ابن عاشور: "والعداوة: المعاملة بالسوء والاعتداء، والبغضاء: الكراهية والكراهية، وقد تطلق إحداهما في موضع الأخرى إذا افترقتا، فالجمع بينهما هنا أكد لمعنى العداوة وعدم التصالح في أسلوب مقابلة المعاداة بالعداوة والبغضاء في الكراهية"[2].

٢- موقف لوط عليه السلام وجهوده لإنقاذ قومه.

من المواقف العملية التي ذكرها القرآن في صورة الغيرة والشكاية ما واجهه لوط عليه السلام مع قومه حين أعلن بغضه لما يعمله قومه من جريمة اللواط، حيث قال: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: 168].

أي: إني لعملكم الذي تعملونه من إتيان الذكور... من المبغضين له بغضًا شديدًا[3].

ومن دلالات الكلام على شدة كراهية لوط عليه السلام لهذا العمل ومقاطعة قومه في جريمتهم المنكرة:

المجموعة: إظهار التعبير بالوصف ﴿القالين﴾ بدلًا عن ... المبغضين دلالة أنه بغض شديد تبلغ بالنفوس عالية (القلى).

الأمر الآخر: أنه لوط عليه السلام لم يبين لقومه أنه من زمرة المبغضين في بغض هذا العمل المشهورين في [illegible]

---

[1] التحرير والتنوير ٢٨/١٤١.

[2] المصدر السابق ١٩/...

[3] التفسير المنير [illegible]

[4] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

على الذين استحقوا الثناء [illegible] ﴿[illegible]﴾ وهو أيضا ثناء على الصحابة الكرام.

[illegible]

امتدح القرآن الكريم [illegible] المهاجرين [illegible] فيما يلي:

أولاً: منزلة المهاجرين:

إن المهاجرين منزلة عظيمة في القرآن الكريم [illegible] ومن مظاهر ذلك ما يأتي:

١- قدم الهجرة:

ذكر الله سبحانه وتعالى المهاجرين السابقين في كتابه غير مرة، [illegible] الهجرة [illegible] القرآن في غير موضع [illegible] قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وذلك أن هذه الهجرة المبكرة كانت في البلد الحرام [illegible] الأجر [illegible] كلمات الله ورسالاته الأخيرة والاستماع [illegible] الأصحاب والتابعين [illegible] والأمة في كل [illegible] القرآن الكريم.

فقد أثنى الله على المهاجرين السابقين في القرآن الكريم بما بعده تكريم.

٢- ضرب المثل بهم وجعلهم في مقام القدوة

ويظهر من ذكر القرآن الكريم للمهاجرين السابقين أنهم صاروا في مواضع الأسوة والقدوة للجماعة المؤمنة على امتداد الزمان والعهود.

فذكر القرآن لهم يعني أن سيرهم ومواقفهم والصحابة بعدهم ستكون مثلاً ومنارة لا تنطفئ على مر العصور وكر الدهور لتستخرج منها الدروس والعبر من بين ثناياها الحية.

فجعل المهاجرين السابقين مضرب المثل، وجعل اتباعهم سبيل المؤمنين الصادقين إلى يوم الدين، وجعل الرجال من قبله ومن بعده لأنه هو سطر [illegible] منهج السعي.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فقد رضي الله عن رجال من السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم[1]، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذاً بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون، ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون[2].

ثانياً: المهاجرون من الأنبياء

الهجرة أسلوب من أساليب نشر الدعوة وطريقة المحافظة عليها من بطش الظالمين وتسلط الجبابرة المتكبرين، ولهذا كانت الهجرة سبيل الأنبياء السابقين والرسل المتقدمين قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومهاجرة فيها الأرض الطيبة التي تحتضن الدعوة وينتشر فكرها على الأرض التربة الصالحة للإخصاب.

ولقد حدثنا القرآن عن عدد من الأنبياء الذين هاجروا وذكرنا مواقفهم وسجل

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٩٨

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٩٨

الأول في مجتمعه:

إبراهيم عليه السلام

هذا النبي المبارك الذي بدأ دعوته في بيئة كفر وشرك، دعا قومه إلى التوحيد الخالص والعقيدة الصحيحة، وترك ما هم عليه من خرافات وأباطيل، [illegible] والحجة العقلية [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] في دعوته [illegible] من [illegible] إبراهيم: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: [illegible]].

[illegible] الذي لا [illegible] إبراهيم [illegible] كلمة الحق [illegible][1].

فلما يئس إبراهيم من هؤلاء القوم [illegible] من [illegible] أن يباشر [illegible] [illegible] [illegible][2].

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] الدين والملة [illegible][3].

وقال الله عن معجزة [illegible]: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

فإبراهيم عليه السلام لم يباشر [illegible] ولم يباشر الأرض أو كسب أو تجارة [illegible] [illegible].

ومعجزة إبراهيم عليه السلام [illegible].

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

[1] مفاتيح الغيب، الرازي [illegible].

[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible].

[3] في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

وجعله بهذه الأرض بعيداً [illegible] وراءه [illegible] كل عائق وكل شاغل [illegible] إلى ربه متجهاً من كل شيء طارحاً وراءه كل شيء [illegible] لا يبالي حتى [illegible] ويكابر في الطريق المستقيم إنما الهجرة الكاملة من حال إلى حال ومن وضع إلى وضع ومن [illegible] لا [illegible] في النفس [illegible] من المهجر والطارئ والاستسلام والطمأنينة والأمان.

٢- موسى عليه السلام:

من أعظم [illegible] الأنبياء في القرآن معجزة سيدنا موسى عليه السلام [illegible] القرآن الكريم التي تحمل [illegible] من أجل إبلاغ الرسالة [illegible] الناس [illegible] الله [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وذلك مهمة شاقة [illegible] فرعون من الجبابرة الطغاة الذين لا [illegible] والأشياء إنما مهمة شاقة في [illegible] والطاغوت [illegible] مواجهة [illegible] الأعظم [illegible] الأرض [illegible] من [illegible].

ومع كل هذه المصاعب والمخاطر ذهب موسى إلى فرعون [illegible] رسالته [illegible] ﴿[illegible] أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۝ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ [illegible]﴾ [illegible].

لقد طالب موسى أن [illegible] بني إسرائيل وألا [illegible] على الله [illegible] على الإيمان [illegible] ويطالب إليهم [illegible] وذلك [illegible][١] [illegible] والتسلط [illegible] الطغيان [illegible] ويحمل إلى الناس في سلام [illegible] ولا [illegible] أبداً.

وهي رحلة [illegible] إلى مواجهة [illegible] وأحس موسى أن القوم لن يؤمنوا [illegible] ويستجيبوا [illegible] ولن [illegible] الرسالة [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible][٢] [illegible] ﴿[illegible]﴾

---

[١] [illegible]

[illegible]

[٢] في ظلال القرآن، سيد قطب، [illegible]

(١) المصدر السابق [illegible]

[illegible] ﴾ [القصص: ٢٣-٤٠].

وهكذا خرج موسى بقومه وأهلك الله فرعون وجنده وظهر موسى بقومه ليتوجه بهم إلى بلاد جديدة يستطيع فيها أن يعلمهم التعليمات الإلهية ومعالم الرسالة الربانية وأن يكون قومه مجتمعًا قائمًا على ولاء [illegible] [illegible]

٢- محمد صلى الله عليه وسلم

كانت مكة حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم قلعة الشرك والوثنية وتعبد فيها الأصنام من كل حدب وصوب فهاجر النبي صلى الله عليه وسلم هجرته فيها إلى المدينة وبعبادة الله وحده [illegible] ما حوله [illegible] لم تتحول هجرته [illegible] والترحيب [illegible] [illegible] [illegible] بالتعذيب والتنكيل والمطاردة وتركه [illegible] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٣].

وإنما كانت هجرته [illegible] يتحول عليها الناس طرق المشركين [illegible] في محاربة الإسلام [illegible] والمؤمنين [illegible] بالهجرة [illegible] [illegible] وكانت هجرة [illegible] المسلمين [illegible] [illegible] الأرض [illegible] [illegible] في الحرم [illegible] وأموالهم وأعراضهم [illegible]

[illegible] (١)

وإنما لم [illegible] على المصطلح الآتي في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في دار الدعوة [illegible] [illegible] بالخلاص من النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] بالهجرة [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة [illegible] البلد الجديد [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عنها بالإخراج كما في قوله: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

والتعبير عن الهجرة بالإخراج فيه دلالة على حجم الإيذاء الذي تعرض له النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في مكة

---

(١) [illegible] [illegible]

من قبل المشركين، وعلى هذا [illegible] المشركين على [illegible] من الانتقال عن الناس.

ثانياً: المهاجرون من الصحابة

إن الهجرة لما مر [illegible] حصل عليهم فيها من المشقة والتعب والتضحيات ما فيه ولا يقوم به [illegible] إلا مؤمن تمكن الإيمان من قلبه وملأ اليقين فؤاده.

ولذا أن القرآن حدثنا عن أناس ليسوا بالقليل ولا [illegible] به [illegible] إلا من أوتي [illegible] الأجل [illegible] للمهاجرين من الصحابة رضي الله عنهم مكانة عالية ومنزلة سامية في القرآن والسنة.

وقد تحدث القرآن عن المهاجرين من الصحابة على صور شتى:

الصورة الأولى: الحديث عنهم بوجه عام

وهذا يظهر من خلال ما يأتي:

ثناء الله عليهم وإظهار فضلهم وإكرامهم:

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وفي هذه الآية ثناء جليل على المهاجرين وإظهار لفضلهم، ويظهر هذا في الآية من وجوه:

- تقديم الله [illegible] وسعيهم الذي لإظهار فضلهم وبيان درجاتهم؛ إذ الكلام عن القرب الحاصل بين [illegible] والفضل الأوفى والسماء قربها على [illegible] والترتيب عليهم.
- ترتيبه من هذا [illegible] والتي [illegible] وبناء على ترتيب [illegible] قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ تجد أنه [illegible] يكشف عن الإحسان الذي يكون من جهة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والتي حسب اتباعهم من إحسان، وقوله تعالى: ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ هو [illegible] لهذا الإحسان الذي [illegible] عليه [illegible] حتى لو ما كان من السابقين من المهاجرين والأنصار هو إحسان [illegible] على ما [illegible] الإحسان.
- وتجمع لهم [illegible] من [illegible] مثل قوله: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. فرضا الله عنهم هو الرضا الذي ليس بعده سخط، وهو في أعلى [illegible] من الله هو [illegible] إليه سبحانه [illegible]

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، ج٦ [illegible]

[illegible]

● [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

ومن الثناء عليهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

قال ابن عباس في رواية عطاء: [illegible] عبد الرحمن بن عوف [illegible] من أهل مكة [illegible] فيهم من [illegible] هذه الآية [illegible]: ﴿[illegible] كَرِيمٌ﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] في المدينة [illegible] فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية(٢).

٢- [illegible]

قال تعالى عن المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

أي: [illegible] ربهم [illegible] أعظم لهم من [illegible] الصادقين.

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

أي: إنهم [illegible] في [illegible] [illegible]

٣- [illegible]

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وهذه الآية لها علاقة بحادثة الإفك حيث إن أبا بكر رضي الله عنه كان ينفق على مسطح بن أثاثة وكان مسطح ابن

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

(٢) [illegible]

(٢) أسباب النزول، الواحدي، ص[illegible]

وانظر: الصحيح المسند من أسباب النزول، ص[illegible]

خلافة أبي بكر الصديق، وكان من فقراء المهاجرين، فلما علم أبو بكر بخوضه في قصة الإفك أقسم أنه لا ينفق عليه، فلما تاب مسطح رضي الله عنه لم يزل أبو بكر ممسكًا في النفقة على مسطح فنزلت هذه الآية[1].

ولقد ظهر هذا جليًا في تعامل الصحابة مع المهاجرين، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حضرته الوفاة أوصى الخليفة من بعده بالمهاجرين الأولين: أن يعرف لهم حقهم، وأن يحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يقبل من محسنهم ويعفى عن مسيئهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا إلا طاقتهم[2].

وهذه الوصية العمرية تظهر عمق تقدير المهاجرين واعترافه بمكانتهم وفضلهم على غيرهم.

الصورة الثالثة: الحديث عن عظيم وجميل عطائهم.

وهذا يتجلى في قول الله: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه لما أراد أن يلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ويهاجر إلى المدينة منعه المشركون وحبسوه، فقال لهم: أعطيكم داري ومالي وما كان لي من شيء، فتتركوني حتى ألحق بهذا الرجل؟ قالوا: نعم، فأعطاهم ما كان له من شيء، وخرج حتى قدم المدينة، فأنزل الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم القصة ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد﴾ [البقرة: ٢٠٧].

فلما دنا من المدينة تلقاه عمر في رجال، فقال له عمر: ربح البيع، قال: وبيعك فلا يخسر الله، ربك؟ قال: أنزل الله فيك كذا وكذا[1].

وهذه المواقف المشرفة والتشريفات الربانية التي أكرمهم الله بها كانت تفضل المهاجرين، ونستطيع أن نقول: المهاجرين ما نالوا هذه التشريفات إلا من تعب وشقاء وبذل وعطاء، وبذلك يبين الله تعالى بين عباده أن التشريفات عطاء لا تنال إلا بعد مشقة وعسر.

---

[1] التحرير والتنوير لابن عاشور ١٨/١٨٨، وانظر: التفسير المسند من أسباب النزول ص١٧.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب: ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ٢/١٠٣، رقم ١٣٩٢.

[1] جامع البيان للطبري ٤/٢١٨، وانظر: التفسير المسند من أسباب النزول ص٢٣.

قال تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: ١٢).

أسباب الرزق في شرع الله

أولاً: الأسباب الشرعية

١- الهجرة إلى الله سبب لسعة الرزق:

الهجرة أحد أسباب السعة في العيش والرزق، ويؤيده وعد الله تعالى من خرج مهاجراً في سبيله، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (النساء: ١٠٠).

وفي هذه الآية الحث على الهجرة والترغيب فيها، وبيان ما فيها من المصالح، فوعد الصادق في وعده أن من هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته يجد مراغماً في الأرض وسعة، فالمراغم مشتمل على مصالح الدين والسعة على مصالح الدنيا⁽¹⁾.

فإنهم لما تركوا الأوطان والعشائر وانتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن، ذكر لهم ثواباً عاجلاً في الدنيا من الرزق الواسع والعيش الهنيء الذي رأوه عياناً بعد ما هاجروا، وانتصروا على أعدائهم، وافتتحوا البلدان، وغنموا منها الغنائم العظيمة، فتمولوا، وآتاهم الله في الدنيا حسنة⁽²⁾.

ولما هاجر إبراهيم عليه السلام إلى الله عز وجل من أرض قومه إلى الشام رزقه الله

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٩٦، بتصرف.

(2) المصدر السابق، ص٤٤١، بتصرف.

بأولاده ويجعل في غربته القدرة والغلبة ويجعل له الثناء الحسن والذكر الجميل والأجر من ربه في الدنيا والآخرة.

قال جل جلاله مخبراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت: ٢٦-٢٧).

وقال أيضاً: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (مريم: ٤٩-٥٠).

ولما هاجر موسى عليه السلام وترك ديار مصر فاراً من بطش فرعون وجنوده وسع الله عليه [illegible] فزوجه الصالح بإحدى ابنتيه وآواه وأكرمه.

قال تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۝ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص: ٢٤-٢٧).

ولما هاجر نبينا صلى الله عليه وسلم وصحابته من مكة إلى المدينة أخرجهم الله من الضيق إلى السعة ومن الاضطهاد والإذلال إلى العزة والتمكين، فجعل لهم ملكاً ووسع عليهم ورزقهم من الطيبات.

٢- الهجرة طريق الأرزاق الحسنة

الهجرة ثورة على التفكير [illegible] السلبية الظلامية ورفض لمظاهر الظلم والعصيان وخطورة [illegible] استعلاء وإباء وتمسك بالحق وإصرار عليه، ولذا وعد الله تعالى المهاجرين في سبيله بالسعة دائماً كما مر في الآية السابقة، ليكون في ذلك إرغام للأعداء وإغاظة لقوى الباطل وإعلاء لصوت الحق [illegible].

قال تعالى: ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (النساء: ١٠٠).

والمراغم كما فسره الأئمة: المتحول، ومن يهاجر في سبيل الله إلى بلد آخر يجد في أرض تلك البلد من الخير والسعة ما يكون سبباً لرغم أنف أعدائه الذين كانوا معه في بلده الأصلي، وذلك لأن من فارق وذهب إلى بلدة أجنبية واستقر فيها أمره وعلم أهله بذلك، خجلوا من سوء معاملتهم معه.

[illegible] أنوفهم بسبب الهجرة(١). ويقول القرطبي رحمه الله: فكأن كفار قريش أرغموا أنوف المحبوسين بمكة، فلو هاجر منهم مهاجر لأرغم أنوف قريش لحصوله على منعة منهم، فتلك المنعة هي موضع المراغمة(٢).

وعد الله للمهاجرين بالحياة الحسنة والنصر على الأعداء

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: ٤١].

ففي هذه الآية وعد من الله للمهاجرين في سبيله بأنه يجعل عاقبتهم حسنة ومآلهم مرضيًا.

وقد اختلفت أقوال المفسرين في قوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ جمعها ابن الجوزي رحمه الله في خمسة أقوال:

الأول: لننزلنهم المدينة.

والثاني: لنرزقنهم في الدنيا رزقًا حسنًا.

والثالث: النصر على العدو.

والرابع: أنه ما بقي لهم من الثناء الحسن، وصار لأولادهم من الشرف.

والخامس: أنها الحسنى الحسنة اللذة في الدنيا(٣).

والمتأمل لهذه الأقوال جميعها يجد أنها صحيحة مرادة، وخلاصتها أن الله تعالى سيجعل عاقبتهم حسنة، ومصيرهم ومآلهم مرضيًا، وهو ما يدل عليه لفظ ﴿حَسَنَةً﴾.

فقد صدق الله وعده فأيد المؤمنين بنصره، ومكن لهم في الأرض، وأذل الكافرين والمشركين والمنافقين، وجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

وهذه المكرمة المهاجرية التي [illegible] [illegible] الله وعده إياهم من قبل في قوله عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

الآثار الأخروية

١- الهجرة سبيل إلى رحمة الله

الهجرة من أعظم أسباب الرحمة والأجر، والأعمال جاء في إدراك رحمة الله بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ يروى أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي [illegible].

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥/٣٤٨ بتصرف.

(٣) زاد المسير، ابن الجوزي [illegible] بتصرف.

(٤) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب ٢/٣٤٩.

قال الطبري في تفسير المراد: أن قوم السرية ظنوا أنهم سلموا من الإثم فليس لهم أجر، فنزلت: ﴿والله غفور رحيم﴾[1]

قال الرازي: فإن قيل: لم جعل الرجاء معلقاً بالرجاء ولم يقطع به كما في سائر الأعمال؟

فالجواب من وجوه:

أحدها: أن مذهبنا أن الثواب على الإيمان والعمل غير واجب عقلاً، بل بحكم الوعد، فلذلك علقه بالرجاء.

والثاني: هب أنه واجب عقلاً بحكم الوعد ولكنه تعلق بأن لا يكفر بعد ذلك، وهذا الشرط مشكوك فيه لا متيقن، فلا جرم كان المعلق هو الرجاء لا القطع.

والثالث: أن المذكور هاهنا هو الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله ولا بد للإنسان مع ذلك من سائر الأعمال وهو أن يرجو أن يوفقه الله لها كما وفقه لهذه الثلاثة، فلا جرم علقه على الرجاء.

والرابع: ليس المراد من الآية أن الله شكك العبد في هذه المغفرة، بل المراد وصفهم بأنهم فارقوا الدنيا مع الهجرة والجهاد مستقصرين أنفسهم في حق الله تعالى يرون أنهم لم يعبدوه حق عبادته، ولم يقضوا ما يلزمهم في نصرة دينه [illegible] على [illegible] الخوف والرجاء[2]

والخلاصة أنه سبحانه وضع الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله موضع الرجاء من رحمة الله ولم يحسم الثواب [illegible] على [illegible] وذلك ليأخذهم من هذا الرجاء على عمل [illegible] وجهاد متصل، وهذا على [illegible] بعد الهجرة وبعد كل موقف من مواقف الجهاد، فقد [illegible] من [illegible] أن يظنوا [illegible] مراده.

[illegible] من جهة أخرى [illegible] الذين آمنوا [illegible] ولم يهاجروا ولم يجاهدوا [illegible] مواطنهم [illegible] من [illegible] المهاجرين والمجاهدين [illegible] بعد ما [illegible] مواقع [illegible] الله [illegible] المهاجرين المجاهدين [illegible] موقع الرحمة والمغفرة [illegible] على [illegible] الذين آمنوا ولم يهاجروا ولم يجاهدوا.

[illegible] الأمن [illegible] عليهم أن يحملوا [illegible] إلى ساحة الهجرة والجهاد [illegible] ركب المهاجرين المجاهدين [illegible]

---

[1] أسباب النزول للسيوطي [illegible]
وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible] الكشاف للزمخشري [illegible] معالم التنزيل للبغوي [illegible]

[2] مفاتيح الغيب للرازي [illegible]

يبشرهم من رحمة الله ورضوانه(1).

ومما يدل على أن الهجرة من أهم أسباب الحصول على رحمة الله قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: 20-21].

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 110].

2- الهجرة سبب لتكفير السيئات وغفران الذنوب:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: 195].

فهم لما هجروا الشرك وأرضه، وتركوا الأوطان التي ترعرعوا فيها، وتحملوا عليهم التعب والمشقة إرضاء لله وحده، ورغبة فيما عنده، كافأهم الله بتطهيرهم من الذنوب والآثام وتكفير سيئاتهم، ثم أدخلهم بعد ذلك جنات وأطعمهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر(2).

ولقد ختم الله تعالى الآية التي بشر فيها المهاجرين بالسعة في الرزق وكثرة المراغم بالغفور الرحيم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 100].

فمع ضمانة الأجر الطيب بالمغفرة للذنوب والرحمة في الحساب، وهذا قوله في خاتمة الآية: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ إنها صفقة رابحة لا شك يظفر فيها المهاجر الذي تكفيه هذه الخطوة الأولى، خطوة الخروج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله(3).

3- الهجرة سبب الحصول على رضوان الله وجنته:

من المعلوم ما للهجرة من فضل أن الله تعالى وعد المهاجرين وبشرهم بالرحمة الواسعة والرضوان الذي لا سخط بعده والنعيم المقيم في جنات الخلد.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا

---

(1) التفسير الكبير للرازي.

(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، [illegible] بتصرف.

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، [illegible] بتصرف.

سَنَدُنَا وَ مَوْلَانَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ وَأَبْنَائِهِ الْمَيَامِينَ

قد رويتم لنا في كتب الفقه عن مولانا الرضا عليه السلام وعلى آبائه الطيب وأبنائه الميامين عليهم السلام في شرائط التقليد عن مولانا العسكري عليه السلام أنه قال: من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه.

١ جزاكم الله خيراً فلقد سررتم مولاكم.

قال: فقال لي: يا أحمد بن إسحاق سلام الله على من سمع الهدى فلزمه، وسكن الدرك الأعلى من الجنة مع من فيها مخلداً، وحسنت أولئك رفيقاً.

قلت: يا سيدي هذا غاية لمن عرفك وأقر بإمامتك، فما العلم الذي روي عن آبائك عليهم السلام أنه لا يسع الناس جهله؟

قال: ويحك يا أحمد بن إسحاق لقد عظمت البلية، وجللت الرزية، وعظمت المصيبة فينا، وفي جميع أهل الإسلام، وكنا عند قوم بمنزلة الأنبياء في بني إسرائيل، وبمنزلة ما بين الفرقدين، وبمنزلة الروح من الجسد، وبمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة الشمس للعالم، وبمنزلة القمر إذا بدا للعالم، أفهمت يا أحمد بن إسحاق؟ فقد نصحت لك القول، فلا تفشه إلا عند أهله.

---

(١) من الأسماء الإسلامية القديمة.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص ٣٠٨ فما بعدها.

www.moswy.com

الهداية

محاور الموضوع

مفهوم الهداية [illegible]

الهداية في الاستعمال القرآني [illegible]

[illegible] [illegible]

مستويات الهداية ٢٩

الهداية الفطرية ٣١

مراتب الهداية ٣٨

أسباب الهداية ٤٣

موانع الهداية ٥٣

أساليب [illegible] في الهداية ٥٧

أثر الهداية في الدنيا والآخرة [illegible]

مفهوم الهداية

أولاً: المعنى اللغوي:

الهداية من الفعل هدى، والهدى ضد الضلالة[1]، وهي بمعنى الرشاد والدلالة[2]، و الهداية دلالة بلطف[3]، ويقال: هديته الطريق هداية أي: عرفته، أو أرشدته، [illegible] على [illegible]: هديته [illegible]، والهداية: [illegible] لأنها [illegible] كأنها ترشده، ومن الباب [illegible] [illegible] أمره أي: [illegible] [illegible] [illegible] إذا كان [illegible] والهدية ما أتحفت به [illegible] [illegible] ويقال: أتحفت [illegible]، والهدي: ما يهدى من النعم إلى الحرم قربة إلى الله تعالى[4]، ويقال: هدى العروس، ويقال: هديت إلى الحق، وهديت للحق بمعنى واحد؛ لأن هديت يتعدى بالحرفين، والفعل هدى يتعدى بحرف جر، والمعنى: الاهتداء من [illegible] إلى [illegible] والهادي: [illegible] أو [illegible] في [illegible] أو [illegible].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي كثيراً فقد قال الجرجاني: «الهداية في الاصطلاح: الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب»[5].

وقيل: إن الهداية عند أهل الحق هي الدلالة على طريق من شأنه الإيصال، سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء أو لم يحصل[6].

ويلاحظ أن تعريف الجرجاني أكثر شمولاً؛ لأنه لا بد من حصول المطلوب، سواء كانت الهداية طريقة للدلالة إلى الخير، أو إلى غيره، كما أن [illegible] [illegible] إلى سواء [illegible].

---

[1] انظر: تهذيب اللغة للأزهري، [illegible].

[2] انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص[illegible]، مختار الصحاح للرازي، ص[illegible].

[3] انظر: المفردات للراغب الأصفهاني، ص[illegible].

[4] انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص[illegible]، مختار الصحاح للرازي، ص[illegible].

[5] التعريفات، ص[illegible].

[6] انظر: الكليات للكفوي، ص[illegible].

[illegible] في الاستعمال القرآني

وردت مادة [illegible] في القرآن الكريم [illegible] مرة [illegible] منها [illegible] موضعاً[1]

[illegible]

[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفعل الماضي	٤١	[illegible]
الفعل المضارع	١٣٦	[illegible]
فعل الأمر	٢	﴿اهدنا الصراط المستقيم ⑥﴾ [الفاتحة: ٦]
اسم الفاعل	٣١	﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ⑦﴾ [الرعد: ٧]
المصدر	٨٥	[illegible]
الفعل المبني للمجهول	٧	[illegible]

وجاءت [illegible] في الاستعمال القرآني على [illegible] وجهاً[2]

الأول: [illegible] ومنه قوله تعالى: [illegible]

الثاني: دين الإسلام، ومنه قوله تعالى: [illegible] يعني على دين الإسلام.

الثالث: [illegible] ومنه قوله تعالى: [illegible] وقوله: [illegible] يعني التوحيد.

الرابع: [illegible] ومنه قوله تعالى: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ [الرعد: ٧] [illegible]

الخامس: [illegible] ومنه قوله تعالى: [illegible] [النحل: ١٦] [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

الألفاظ ذات الصلة

الصلاح

الصلاح لغة:

مأخوذ من الفعل (صلح)، والصلاح ضد الفساد.

الصلاح اصطلاحًا:

استقامة الحال والاستقامة، وهو ما يقابل الفساد[2]، وهو معنى عام يشمل استواء العقل والعمل والاستقامة على ما توجبه الشريعة، ويطلق على الحالة المستقيمة الكاملة.

الصلة بين الصلاح والهداية:

الهداية: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب، والصلاح: سلوك طريق الهدى، والصلاح أيضًا: استقامة الحال، وهو ما يحتاج الجهد الشخصي، ويكون بفضل الله [illegible] وتوفيقًا[3]، وبذلك يتبين أن الهداية والصلاح متلازمان.

الرشد

أولًا: لغة:

الرشد: يستعمل استعمال الهداية، وهو خلاف الغي[4]، والضلال. وأرشده الله الأمر: أي: هداه، والرشد من الصلاح[5].

ثانيًا: اصطلاحًا:

الإرشاد إلى الشيء هو التطريق إليه والتبيين له[6].

الصلة بين الهداية والإرشاد:

أن الإرشاد إلى الشيء هو التطريق إليه والتبيين له، والهداية هي التمكن من الوصول إليه[7].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٢/٥١٧.

(٢) انظر: الفروق اللغوية ص٣١٢.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص[illegible].

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور ٣/١٧٥.

(٦) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص٢٤٣.

(٧) انظر: المصدر السابق.

الرشاد

الرشاد لغة:

الاستقامة، والرشد: هو الصواب والقصد في القول والعمل[1]، والصواب [illegible] حقٌّ لكن يحصل عليه [illegible] ومن يحصل على [illegible] أن يهتدي[2].

الرشاد اصطلاحًا:

هو القصد في الأمر والعمل به[3].

الصلة بين الهداية والرشاد:

الرشد للحق لا يكون إلا مع طلب الحق، أما مع الإعراض عنه والتشاغل بغيره فلا يصح[4]، وهذا يعني أن الرشد والهداية لا يكونان إلا بطلب الهداية، فالرشاد طريق الهداية[5].

الضلال

الضلال لغة:

مصدر (ضلَّ)، والذي يعني الضياع والذهاب والغياب، وكل من زاغ عن الطريق والقصد يسمى (ضالًّا)، و(الضلال والضلالة) لفظة ضد الهدى[6].

الضلال اصطلاحًا:

كل عدول عن المنهج عمدًا أو سهوًا، قليلًا كان أو كثيرًا، يسمى ضلالًا[7].

وقيل: هو العدول عن الصراط المستقيم، وهو ضد الهداية[8].

الصلة بين الهداية والضلال:

الهداية نقيض الضلال، فالهداية سلوك طريق يوصل إلى المطلوب[9].

---

[1] انظر: المعجم [illegible] للراغب الأصفهاني، ص٣٣٣.

[2] انظر: معجم المصطلحات [illegible]، ص[illegible].

[3] انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص[illegible].

[4] انظر: لسان العرب لابن منظور، [illegible].

[5] انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص[illegible].

[6] انظر: جامع البيان للطبري، [illegible].

[7] انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ [illegible]؛ لسان العرب لابن منظور [illegible]؛ المصباح المنير للفيومي ٢/ ٣٦٣.

[8] انظر: الكليات للكفوي، ص[illegible].

[9] انظر: المفردات للراغب الأصفهاني، ص[illegible].

انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص[illegible].

[illegible]

ذكر [illegible] في القرآن الكريم عدة أشياء منها [illegible] [illegible] [illegible] بالبشرى والسلام والذكرى في القرآن.

القرآن الهداية والرحمة

لقد اقترنت الهداية بالرحمة أو سبقها في [illegible] موضعًا في القرآن الكريم منها ستة مواضع في وصف القرآن [illegible] في [illegible].

أما المواضع التي فيها وصف القرآن:

الأول: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

ومعنى وصف القرآن بما [illegible] الرسول [illegible] الرحمة والهدى [illegible] من الكتاب(١) [illegible] القرآن [illegible] [illegible] [illegible] هذه الصفات [illegible] في [illegible](٢).

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

يعني: أن القرآن [illegible] [illegible] العلوم [illegible] والمراد أنهم الذين [illegible] به(١).

الثالث: قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

في الآية السابقة أثنى الله سبحانه وتعالى في وصف القرآن الكريم بأمور:

أولها: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ فأصل البصيرة الإبصار، ولما كان القرآن سببًا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه لفظ البصيرة تسمية للسبب باسم المسبب.

ثانيها: قوله: ﴿وَهُدًى﴾ والفرق بين هذه الدرجة وما قبلها أن الناس في معارف التوحيد والنبوة والمعاد.

[illegible]: الذين بلغوا في هذه المعارف إلى [illegible] ولم [illegible] فهم أصحاب حق اليقين، [illegible] [illegible] فهم أصحاب عين اليقين.

والثاني: الذين ما بلغوا إلى ذلك الحد إلا أنهم وصلوا إلى درجات المستدلين وهم أصحاب علم اليقين، فالقرآن في حق الأولين وهم السابقون بصائر، وفي حق القسم الثاني وهم المقتصدون هدى، وفي حق عامة المؤمنين رحمة، ولما كانت الفرق الثلاثة من المؤمنين قال تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب للرازي: [illegible] ٧

(٢) [illegible] [illegible]

﴿...﴾(٣)

الرابع: قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

المعنى في قوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: الحصول به الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه[1]، وهذا يعني أن القرآن الكريم يهدي بالقرآن إلى طريق السعادة والرحمة من رب العباد في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد.

الخامس: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

بين الله تعالى معنى ﴿وَهُدًى﴾ أي: أن القرآن الكريم بيان يرشد لمن جهل سبيل الحق الذي هو إليه فاهتدى به من الضلالة ومعنى: ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: لمن آمن به وعمل بما فيه[2].

السادس: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

ووصف الله تعالى القرآن بكونه ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [3] يعني كونه معجز العقل كذلك في حق الكل وإنما خص المؤمنين بالذكر من حيث إنهم القابلون المنتفعون[4].

السابع: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٧٧].

أي: وإن القرآن لهادٍ ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وخص المؤمنين لأنهم المنتفعون به دون سائرهم من آمن من بني إسرائيل[5].

الثامن: قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ٣].

لما ذكر الله سبحانه أن القرآن هدى ولم يذكر حاله آخر في سورة البقرة فقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

أي: يهتدي به من يتقي الشرك والعناد والتعصب ... من غير عناد ولما قال في هذه الآية: ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: المتقين الشرك والعناد الذين الإحسان فالمحسن هو الآتي بالإيمان والمتقي هو التارك للكفر لمن يجتنب الكفر كان متمسكا بالحبل المتين ومن أتى بحقيقة الإيمان كان مستمسكا بالعروة الوثقى لقوله تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾

---

[1] انظر المصدر السابق ...

[2] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ...

[3] انظر جامع البيان للطبري ١٤/ ٦٦١.

[4] انظر مفاتيح الغيب للرازي ٢٠/ ...

[5] انظر فتح القدير للشوكاني ٤/ ...

[illegible] وقوله تعالى: ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ أي: إن رحمة الله قريب من المحسنين[1]

الثاني: قوله تعالى: ﴿هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ [الجاثية: 20].

أي: هذا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد ﴿بصائر﴾ يعني [illegible] ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ بحقيقة صحة هذا القرآن، وأنه تنزيل من العزيز الحكيم، وخص جل ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة؛ لأنهم الذين انتفعوا به[2]

وأما المواضع الثلاثة التي فيها وصف التوراة:

الأول: قوله تعالى: ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾ [الأنعام: 154].

يعني: الهدى: الدلالة، والرحمة: النعمة[3]، وذلك [illegible] ﴿وتفصيلا﴾ [illegible] ﴿وهدى﴾ [illegible] ﴿ورحمة﴾ [illegible] وهي القصص[3]

الثاني: قوله تعالى: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [الأعراف: 52].

المعنى: ﴿هدى﴾ أي: ما يهتدون به من الأحكام [illegible] ﴿ورحمة﴾ أي: ما يحصل لهم من الله عند عملهم بما فيه من الرحمة الواسعة[1]

الثالث: قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ [القصص: 43].

قال الإمام الرازي: الكتاب هو التوراة، ووصفه الله تعالى بأنه بصائر للناس من حيث يستبصر به في باب الدين، ﴿وهدى﴾ من حيث يستدل به [illegible] ﴿ورحمة﴾ لأنه من نعم الله تعالى على من تعبد به[2]

٣- القرآن الهداية والبشرى

اقترنت الهداية بالبشرى لوصفهما في ثلاثة مواضع، وكلها جاءت في وصف القرآن الكريم على النحو الآتي:

الأول: قوله تعالى: ﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله

---

[1] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، [illegible]

[2] انظر: فتح القدير، الشوكاني، [illegible]

[3] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، [illegible]

[1] جامع البيان، الطبري، [illegible]

[2] انظر: فتح القدير، الشوكاني، [illegible]

[3] مفاتيح الغيب، الرازي، [illegible]

[illegible] ﴾ [النمل: ١-٢]

جاء لفظ الهدى في الآية [illegible] القرآن بالمصدر لقصد المبالغة في حصول الهدى به والبشرى، لأجل حصول أثر [illegible] أو يترتب على حصول القرآن [illegible] المؤمنين بأنهم على هدى وكمال من الله تعالى، ويخبرهم بأن الله تعالى سيؤتيهم خيري الدنيا والآخرة.

فالقرآن الكريم مشتمل على أمرين: أحدهما: بيان ما يراد التكليف به من أعمال القلوب وأعمال الجوارح، وهو من هذا الوجه هدى، وثانيهما: بيان ثواب الذي يأتي بهذه الأعمال، وهو من هذا الوجه بشرى، ولما كان الأول مقدما على الثاني في الوجود لذلك قدم الله سبحانه الهدى على البشرى(٢).

الثاني: قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: [illegible]]

أي: إن القرآن يهديهم إلى حقائق الأشياء ويبين لهم الحق من الباطل والهدى من الضلال، ويبشرهم أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا [illegible] لهم [illegible] وبشارة لهم(٣).

الثالث: قوله تعالى: ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: ٢]

هذه الآية تبين أن آيات الكتاب من سورة بأنها هادية ومبشرة، والنظر في وجه تخصيص الهدى بالمؤمنين على وجهين: أولهما: [illegible] [illegible] [illegible] بالمؤمنين [illegible].

الثاني: أنه خص بالمؤمنين؛ لأنه [illegible] الهدى بالبشرى [illegible] المؤمنين.

والثالث: أن وجه الاختصاص كونهم [illegible] به لتخصيص بالذكر كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾ [النازعات: [illegible]]

والثالث: الغرض من كونها هدى للمؤمنين أنها زائدة في هدايتهم.

قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦](٤)

وورد لفظ الرحمة والبشرى بعد الهداية في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]

فالكتاب هو القرآن فيه بيان كل شيء

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: [illegible]٢٢٣

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي: [illegible]

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي: ص[illegible]

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي: [illegible]

ودلالة إلى الحق ورحمة لمن صدقوا به وبشارة لهم بالجنة[1]، والمعنى: أن القرآن هدى من الضلالة ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه من أوامر ونواه فأحل حلاله وحرم حرامه وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد وأذعن له بالطاعة بأن له جزيل الثواب والكرامة في الآخرة[2].

٣- القرآن الهداية بالموعظة.

وربط القرآن الهداية بالموعظة في موضعين.

أولهما: قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

أي: إنما هو بيان وموعظة التي يعظ قوله: هدى وموعظة للمتقين إنما هو الترغيب مقصود أثره بالمتقين الصائرين إلى التقوى[3].

ويعني البيان الإيضاح وكشف المسائل الواضحة، والهدى الإرشاد إلى ما فيه خير الناس في العمل أو الاعتقاد، والموعظة هي الكلام الذي يلين القلب ويزجر عن فعل المنهيات وفيه التحذير والتخويف والإثارة بالترغيب والترهيب[4].

والمعنى: أن القرآن بيان وتبيين للمكلفين، ومن أهداه للمتقين وموعظة للمتقين الخلص من المؤمنين[5].

فالقرآن الكريم جعله الله تعالى بيانا للناس عامة، وهدى وموعظة للمتقين خاصة[6].

والموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ... وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

أي: أن الله سبحانه وتعالى جعل الإنجيل هدى وموعظة، وإنما أتى فيه من الزواجر والنهي والقصص، أما الأحكام فالأغلب مستمدة من التوراة، والموعظة ما اتصل به القلوب وهي الأخبار المقرونة بالترغيب والترهيب، وفي الآية دلالة على أن في الإنجيل قبل تحريفه من العلم والموعظة ما ينتفع به المتقون[7].

٤- القرآن الهداية بالنور.

اقترنت الهداية بالنور في موضعين.

الأول: في وصف التوراة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا

---

[1] انظر: معالم التنزيل، البغوي ١/ ٢٢٢.

[2] انظر: جامع البيان، الطبري ٦/ ٤٣٥.

[3] انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢/ ٩٣.

[4] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤/ ٩٨ بتصرف.

[5] انظر: التفسير الوسيط، [illegible] ٢/ ٣٧٣ بتصرف.

[6] انظر: جامع البيان، الطبري ٣/ ١٨٨٨.

[7] انظر: تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، تفسير سورة المائدة ١/ ٤٠٠ بتصرف.

وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44].

معنى الهدى: أي: الشيء الذي يُهتدى به، والنور: أي: ما يُستضاء به من ظلمة الشبهات[1] وعلى هذا يعني أن هناك فرقاً بين الهدى والنور، فالهدى محمول على بيان الأحكام والشرائع والتكاليف، والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد. وقيل: إن التوراة فيها بيان الحكم الذي جاؤوا يستفتون فيه النبي صلى الله عليه وسلم، والنور بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم حق[2].

الثاني: في وصف الإنجيل.

قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 46].

أي: أن الإنجيل هدى بمعنى أنه اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوة وعلى المعاد، وأما كونه نوراً فالمراد به كونه بياناً للأحكام الشرعية ولتفاصيل التكاليف[3].

وجاءت الذكرى بعد الهداية في قوله تعالى: ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [غافر: 54].

والمعنى: أن التوراة اشتملت على الهدى والعلم بالأحكام الشرعية وفروعها والذكر بالخير والرغبة فيه والذكر أيضاً بالخير والرغبة فيه وليس ذلك لكل أحد وإنما هو لأولي الألباب[4].

4- اقتران الهداية بالشفاء.

اقترنت الهداية بالشفاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: 44].

فالقرآن كتاب هداية لأنه يدل على الصواب ويرشد إلى السعادة، وهو أيضاً شفاء لأنه يشفي الإنسان [illegible] من مرض الكفر والجهل[5].

5- اقتران الهداية بالنور.

اقترنت الهداية بالنور في موضعين:

الأول: في وصف القرآن.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ [المائدة: 15-16].

والمعنى: أن الكتاب هو النور المبين؛ لأنه نور في ظلمات الضلال، ويهدي من الضلالات ويدعو إلى الصراط المستقيم، وسبل السلام وهو الكتاب الذي شاع وذاع وملأ طرق القلوب والأسماع[6].

الثاني: في وصف التوراة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى

---

[1] انظر: المصدر السابق، [illegible] بتصرف.

[2] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، [illegible].

[3] انظر: المصدر السابق، [illegible].

[4] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص[illegible] بتصرف.

[5] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، [illegible].

[6] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص[illegible].

[illegible] ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق [illegible] [illegible] ﴾ [يوسف: ١١١]

أي: جعلنا الروح الذي أوحيناه إليك يا محمد نوراً ودليلاً على التوحيد والإيمان نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا ونرشد إلى الدين الحق[٣]

٣- القرآن المهيمن والمصدق

جاءت الهيمنة مقترنة بالمصداقية في مواضع عديدة ومنها قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: ٣]

يقول الله تعالى [illegible] [illegible] اليهود الذي [illegible] الله في الأرض [illegible] [illegible] من البركات وأنواع [illegible] للمسلمين وأن له آيات [illegible] الذي من [illegible] على [illegible] الله تعالى [illegible] ومن آيات القرآن حيث كانت [illegible] لكل زمان ومكانه ولا يمكن الصلاح [illegible] من [illegible] المسلمين [illegible] من [illegible] [illegible]

وخلاصة القول أن الهيمنة والتأكيد التي توصف بها في القرآن الكريم جاءت لرسالة الكتب السماوية [illegible] القرآن الكريم [illegible] الكتب السابقة من [illegible] [illegible] والقرآن مشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السابقة غير [illegible] في كل ما جاءت به الكتب [illegible] عليه وأكثر من [illegible] إليه ومن الكتب التي [illegible] الأولين والآخرين [illegible] الله تعالى به الشرائع [illegible] الحكم والحكمة والأحكام.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [السجدة: ٢٣][٥]

فالكتب السماوية جاءت بالهداية والإرشاد [illegible] والموعظة والتذكير [illegible] على [illegible] من كل [illegible] والقرآن الكريم [illegible] الكتب السابقة [illegible] بالهدى ورحمة عليها ومصدقاً لها وكل ذلك من تمام [illegible] [illegible] لا [illegible] ولا [illegible]

---

[٣] انظر: [illegible]

[٤] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible]

[٥] انظر: المصدر السابق، ص [illegible]

الهداية الفطرية

الفطرة: بكسر الفاء الخلقة، وقيل: معناها الدين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]

وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة)(٢).

وقيل: إن معنى الفطرة: الجبلة المتهيئة لقبول الدين(٣)، وقيل: معناها: الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه.

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٧]

أي: خلقني.

ويؤيد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة)(٤).

ومنه: الخلقة التي فطر عليها في الرحم من سعادة أو شقاوة(٥)، وقيل: هي الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته(٦).

ويظهر في التعريفات السابقة يتبين أن التعريف الأخير للفطرة هو الراجح؛ لأنه شامل لجميع المخلوقات، وأما المعاني الأخرى التي وردت في معنى الآيتين والحديث فإنها تطلق على الإنسان فقط، والصحيح أن الفطرة تشمل كل موجود ومن ذلك الإلهام الفطري للحيوانات.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]

أي: إن النحل بفطرته يتخذ من الجبال والشجر بيوتاً، وليس ذلك فحسب بل إنها تقوم بعمل خلية تتناسب مع الرحيق الذي تمتصه من الأزهار، كل ذلك بفطرتها، والنملة بفطرتها تحسب أمورها؛ فلا يكون النمل عرضة للهلاك والتحطيم عند مرور سليمان عليه السلام وجنوده، قال سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنعام: [illegible]]

أي: إن الله تعالى ليهدي كل إنسان [illegible]

---

(١) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص[illegible].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب [illegible] رقم [illegible].

(٣) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص[illegible].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، رقم [illegible].

(٥) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري، [illegible].

(٦) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص[illegible].

الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلى بيتها، أفكان وصولها إلى غاياتها ومصالحها التي لا يهتدي البشر إلى مثلها ومصالحهم؟ أليست هي الهداية الفطرية؟!

ويلاحظ مما سبق أن الهداية الفطرية هداية عامة خلق الله سبحانه وتعالى المخلوقات عليها وهداها إلى ما يصلحها، قال عز وجل: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50].

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7].

أي: كل مخلوق خلقه الله، وأحسن خلقه، وخلقه خلقًا يليق به ويوافقه، فهذا عام[2]. أي: ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به الدال على حسن صنعه من خلقه من كبر الجسم وصغره وتوسطه وجميع صفاته، وهدى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات، فكل مخلوق يسعى لما خلق له من المنافع وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل ما يتمكن به على ذلك[3].

وقد أشار ابن عطية بمعنى الهداية الفطرية في التفسير، وأنها عامة في جميع الحيوانات، فقالت فرقة: [illegible] والأنثى [illegible] إلى وطء الذكور الإناث، وقيل: هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدي، وكذلك معايشه: هدى الإنسان للخير والشر، والبهائم للمراعي، ثم قال ابن عطية: وهذه الأقوال مثالات، والعموم في الآية أصوب في كل شيء، وفي كل حالة[4].

قال ابن القيم: الهداية العامة وهي هداية كل مخلوق من الحيوانات والآدمي لمصالحه التي بها قام أمره، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: 1-3].

فذكر الله عز وجل أمورًا أربعة: الخلق والتسوية والتقدير والهداية، فسوى خلقه وأتقنه وأحكمه، ثم قدر له أسباب مصالحه في معاشه ومعاده وتقلباته، وهداه إليها، والهداية تعليم، فذكر أنه الذي خلق وعلم[5].

وبهذا يتبين أن الله تعالى قد قدر [illegible] لجميع المخلوقات، وهذه الهداية العامة التي فطرها الله عليها كل مخلوق لمصلحته، والأمر فيها اتباع الفطرة[6].

---

(1) انظر: [illegible] ج3/ 326.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible].

(3) انظر: المصدر السابق، ص [illegible].

(4) المحرر الوجيز، ج4/ [illegible].

(5) شفاء العليل، [illegible].

(6) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible].

وخلاصة القول أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى أجناس الأشياء والأنواع وصفاتها والحيوانات والنباتات [illegible] وهدى كل واحد منها إلى ما يصلح شأنه [illegible] خلق له، وأرشده إلى أمر فيه [illegible] تهدي الطائر [illegible] وتهدي الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وتهدي [illegible] بالعلامات وتهدي الأنعام لمراعيها.

وكل علم أن النحل [illegible] لمعاشهم إنما كانوا بهدايته وإلهامه إذ كانوا [illegible] ما يصلحه ومعاشه.

وكل [illegible] في الأشياء وتهدي الإنسان إلى وجوه استخراجها منها.

وكل [illegible] في الرحم [illegible] ثم [illegible] من الرحم.

فهذه الأنواع [illegible] في [illegible] الأشياء والأولى [illegible] من علم الهداية التي [illegible] في الهداية [illegible]

أنواع الهداية

إن للهداية أنواعاً متعددة [illegible] جاءت في كتاب الله تعالى، منها هداية البيان والدلالة، ومنها هداية التوفيق والإلهام، ويقتصر الكلام على هذه الأنواع فيما يلي:

أولاً: هداية البيان والدلالة

وهي هداية الدلالة والإرشاد على الخير والحق مع بيان ما يجب [illegible] من السعادة [illegible] والفلاح، وهي مما تفضل الله بها على عباده [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم الذي [illegible] وإرشادهم [illegible] إلى الطريق المستقيم

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢](٢)

فيدخل في هذا النوع من أنواع الهداية الدلالة على الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك.

قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]

وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام فإنها سبب وشرط لا موجب، ولهذا ينفي الهدى معها كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ [illegible]

---

(١) انظر: ابن القيم [illegible] بتصرف.

(٢) انظر [illegible] ٣٦

أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ [النحل: ١٧].

أي: بينا لهم وأرشدناهم ومنحناهم ثم خالفوه واختاروا العمى، وتركوا الهدى.

وتقتضي هداية الأسباب والقرائن وهي هداية لابد منها لمن تحركت الأهواء عنده واستسلمت نفسه للشهوات وسلك مسالك الغرور والآثام وجعلها على أي حجاب وحالت بينه وبين المطالب والمطامح العليا فيحصل الرشاد إذا غابت الأهواء العارضة وتهيأت النفس للهدى والقرائن لتظهر عندئذ ويكثر أثرهما وإتيانهما[١].

والمعنى أن هداية القرين هي الهداية التي لا تتطلب بالحسم الذي لا يحول دون تعطيل العقل، والتصرف الذهني مع الشهوات والهوات حتى تورثها سوابق الهدايات فيحتاج الإنسان إلى مقوم يرشده هذا لا يكون بالأهواء فتسلط هداية الدين لإرشاده إلى الطريق الأقوم إنما يحتاج الرادع في العقلاء أو أيامه ويكمل هذه الهداية هي الحارس الأمين الذي يأوي إليه الإنسان المريد بمطامح العمر والمصالح بمطالب العمر الآخر الذي يحسن السلوك ويحرسه بمطاوعة ما يحب[٢].

ومن خلال ما تقدم يتضح أن هداية البيان والدلالة هي هداية الدين والشرائع ويحتاج إلى العلم والإرشاد والبيان والدعوة. فالإنسان يحتاج إلى هداية الدين التي تدل الله بها عليه ويهديه إليها حتى يسلك طريق الحق ويبتعد عن طريق الشر.

ثالثًا: هداية التوفيق والإلهام.

فالتوفيق: اللطف والإلهام في كل عمل صالح يرضي حسن ويحصل ذلك بتوفيقه على كسب الفاعل وطلبه من الطريق الموصل إليه وتيسير الأسباب التي يحصل منها الحصول عليه وذلك إنما يكون من الله وحده[٤].

إن هداية التوفيق هي التي أمر الله عز وجل بطلبها في قوله سبحانه: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦].

وهي هداية تصحبها معونة القدرة على طاعة الله، وامتثال أمره والسير في طريق الخير وترك الشر.

والمراد بطلب الهداية في الآية السابقة أن يطلب الله سبحانه وتعالى منه هداية تصحبها من الله معونة غيبية تمنعه من الزيغ في العقائد والضلالات وهذه الهداية خاصة بالله سبحانه وتعالى لم يعطها أحدًا من خلقه[٥].

فالهداية مراتب: هداية البيان، وهداية

---

(١) انظر: بدائع التفسير، لابن القيم ١/ ٢٢٧ بتصرف.

(٢) انظر: معالم الدين [illegible] ٢٩٠.

(٣) انظر: التفسير المنير، للزحيلي ١/ ٥٩.

(٤) انظر: تفسير المراغي ١/ ٣٦.

(٥) انظر: المصدر السابق ١/ ٣٦.

التوفيق، فالمطيع حصلت لهم الهدايتان، والعاصي لم تحصل لهم هداية التوفيق، وهداية البيان حجة لزوم العمل بها ليست هداية موجبة له[1].

وهداية التوفيق والإلهام لا تكون إلا بعد هداية البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق، وجعل الإيمان في القلب وتحبيبه إليه وتزيينه في القلب وجعله مؤثرًا له راضيًا به راغبًا فيه[2].

وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨].

وفي قوله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له)[3].

والمتأمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

يجد أن الله تعالى نفى عن النبي هداية التوفيق، وكأنه يقول: يا محمد لا تقدر على هداية من أحببت هداية التوفيق، إنما عليك هداية البلاغ، والله هو الذي يملك هداية من يشاء هداية توفيق، وفي مقابل ذلك أثبتها في آية أخرى لنبيه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢][1].

والله سبحانه وتعالى أثبت لنبيه هداية الدعوة والبيان في قوله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٤٤][2].

ولا تعارض بين الآيتين؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقدر على أن يهدي أحدًا هداية توفيق، ولكنه يقدر على هداية الدعوة والبيان، والله سبحانه يهدي من يشاء بفضله.

وقد منح الله سبحانه وتعالى الإنسان خمس هدايات يتوصل بها إلى مصالحه[3]، وهي:

هداية الإلهام الفطري، وهداية العقل

---

[1] انظر: تفسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible].

[2] انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، [illegible].

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم ٨٦٨.

[1] انظر: التفسير المنير، الزحيلي، [illegible].

[2] انظر: [illegible]، ابن القيم، [illegible]، بتصرف.

[3] انظر: التفسير المنير، الزحيلي، [illegible].

مثل ولادته، فهو يسعى بالهداية إلى الطعام والشراب ليصرخ طالبًا له إذا قل عنه رضاعه.

٢- هداية الحواس، وهي متممة الهداية الأولى، وهاتان الهدايتان يشترك فيهما الإنسان والحيوانات بل هما في الهداية أكمل في الحيوانات من الإنسان، إذ إلهام الحيوان يكمل بعد ولادته بقليل، ويكمل في الإنسان تدريجيًا.

٣- هداية العقل، وهي أسمى من الهدايتين السابقتين، فالإنسان خلق مدنيًا بطبعه ليعيش مع غيره، ولا تكفي الحس الظاهر للحياة الاجتماعية، فلا بد له من العقل الذي يوجهه إلى مسالك الحياة، ويعصمه من الخطأ والانحراف، ويصحح له أغلاط الحواس والإدراك في الهدايات الأخرى.

٤- هداية الأديان والشرائع.

٥- هداية المعونة والتوفيق للسير في طريق الخير والنجاة، وهي أسمى من هداية الأديان، وهذه الهداية خاصة به سبحانه وتعالى.

ويلاحظ أن أنواع الهداية التي عرضت لا تخرج عن هداية الإلهام والحواس والعقل والدين، كلها هدايات تندرج تحت الهداية العامة، والهداية الخاصة هي هداية المعونة والتوفيق.

وقد جعل ابن القيم أنواع الهداية أربعة(١):

النوع الأول: الهداية العامة، وهي من الهداية الفطرية المشتركة بين الخلق.

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة.

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام.

النوع الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

وقال الله تعالى على لسان أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال تعالى عن أهل النار: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

وبالنظر إلى أنواع الهداية التي ذكرها ابن القيم يتبين أن النوع الأول منها هداية عامة فطرية، وأما النوع الثالث فهو هداية خاصة، وتحتاج إلى التوفيق من الله عز وجل، ولا يكون ذلك إلا بالنوع الثاني وهو هداية البيان والدلالة، وعليها الهدايتان النوع الرابع؛ لأن المعاني هي التي يتقدم

---

(١) انظر: بدائع الفوائد ٢/ ٢٧٧ بتصرف.

الله تعالى إلى دخول الجنة بعد طاعتهم وإرشادهم ومن الأدلة السابقة الدالة على هداية التوفيق لدخول الجنة.

ويدل على ذلك أيضاً ما جاء في صحيح مسلم: (أن أعرابياً عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال: يا رسول الله أو يا محمد أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار، قال: فكف النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظر في أصحابه ثم قال: لقد وفق أو لقد هدي، قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم دع الناقة)(١).

والشاهد من الرواية السابقة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لقد وفق أو لقد هدي) وفي ذلك دليل على هداية التوفيق من الله عز وجل لدخول الجنة، والله أعلم.

والهدايات الربانية نوعان: هداية عامة وهي الدلالة إلى مصالح العبد في معاشه ومعاده، مثل ملكة الإدراك والحواس والعقل والدين، وهداية خاصة، وهي الإرشاد والتوفيق للسير في طريق الخير والصلاح والفلاح إلى الهداية الدلالية(٢).

أسباب الهداية

إن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد يرشد الناس إلى الأسباب التي توصلهم إلى الطريق المستقيم الذي عليه التوفيق، ومن تلك الأسباب:

أولاً: الاعتصام بالله تعالى

لقد حث القرآن الكريم المسلمين على الاعتصام بالله تعالى، ورغب في ذلك، وأن ذلك سبب في تحصيل الفضائل، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥].

أي: إن المؤمنين جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم، وقال ابن السعدي: أي الذين آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن سيرحمهم الله عز وجل، ويدخلهم الجنة، ويزيدهم ثواباً ومضاعفة ورفعاً في درجاتهم من فضله عليهم وإحسانه إليهم، ويهديهم طريقاً واضحاً قصداً قواماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة، وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة، رقم [illegible].

(٢) انظر تفسير المنار لرشيد رضا [illegible].

المفضي إلى روضات الجنات.

والله سبحانه وتعالى جعل الهداية للذي يعتصم به جل وعلا، قال: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

والمعنى: أن من اعتصم بالله وتوكل عليه واستمسك بدينه وبالقرآن الكريم فقد هدي ووفق إلى الطريق القويم الذي يوصله إلى الجنة.

قال ابن كثير: أي ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد(١).

وقد أمر الله بالاعتصام بالقرآن والتمسك بالدين وعدم الفرقة في قوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والمتأمل في هذه الآية يجد أنها تتحدث [illegible] [illegible] وهذا يعني أن الله تعالى وضع آلية ومنهجًا [illegible] الهداية لمن تمسك بتوحيد الله واهتدى بهدي القرآن الكريم.

قال الشيخ السعدي: (إن الله تعالى [illegible] لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال، أحكامه ومعرفة مراده الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدلك على أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته عليهم، والنعم ليزدادوا شكرًا له ومحبة ولزيادة من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها)(١).

وجاء هذا المعنى في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه)(٢).

يتبين مما سبق أن الاعتصام بالله والتمسك بالقرآن الكريم وبهدي النبي صلى الله عليه وسلم طريق إلى الهداية بإذن الله تعالى.

ثانيًا: التدبر القرآني والتأمل

إن التمسك بكتاب الله يكون بتلاوته وتدبره والعمل بما جاء فيه، والمتدبر لسورة البقرة يجد في أولها قول الله سبحانه:

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٨٨) بتصرف.

(٢) المصدر السابق (٢/ ٨).

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٤١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي، رقم ٢٤٠٨.

وتعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ٢].

وبعد ذلك ذكر صفات المتقين الذين [illegible] القرآن [illegible] بما جاء به أنهم على هدى من ربهم، ومما يدل على أن القرآن الكريم سبب من أسباب الهداية قوله سبحانه وتعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾ [الإسراء: ٩].

قال الشنقيطي: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهداً برب العالمين جل وعلا يهدي للتي هي أقوم، أي الطريقة التي هي أسد وأعدل وأصوب [illegible] والمعنى: أن القرآن يهدي للحال التي هي أقوم الحالات وهي توحيد الله والإيمان برسله، وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة(١).

ولا شك أن الهداية إلى خيري الدنيا والآخرة يكون بهدي آيات الله سبحانه وتعالى والعمل بما جاء فيها، وفي ذلك طرق الاستقامة والصلاح والسعادة؛ لأن القرآن الكريم كتاب هدى ونور، ويهدي إلى الطريق القويم الذي لا اعوجاج فيه، قال الله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٥٢].

وقد ورد ما يدل على أن آيات الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ [ص: ٢٩].

وهذا لأن في كتاب الله تعالى العقيدة الصحيحة، والتشريع، والأخلاق، والتاريخ وهو كتاب الهداية والنور من تمسك به وبهدي النبي صلى الله عليه وسلم خرج من الظلمات إلى النور، وكان إلى صراط مستقيم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ⑮ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ [المائدة: [illegible]].

يلاحظ مما تقدم أن من أسباب الهداية إلى الطريق المستقيم التمسك بالقرآن الكريم، واتباع آياته، وأنه الذي يوصل إلى الهداية من تمسك بهدي القرآن في الدنيا

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٣٧٣.

حتى يقال السعادة في الأمر [illegible]

ثانياً: اتباع الرسول عليه السلام

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى هذه الأمة الإسلامية بأن أرسل إليها خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وأمر بطاعته وجعل اتباعه سبباً من أسباب الهداية.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54].

وليس ذلك فحسب بل إن طاعة الرسول طاعة لله تعالى.

قال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80].

والله عز وجل قرن طاعة الرسول بطاعته، وأن في ذلك الفوز العظيم، وجعلها في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 71].

حتى إن الله جعل الهداية منحة لمن يشاء من عباده وكذلك الهداية للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

واتباعه صلى الله عليه وسلم علامة من علامات حب الله تعالى للعبد وغفرانه الذنوب، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

والذي يطيع الله والرسول صلى الله عليه وسلم يكون من الذين أنعم الله عليهم: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

حتى إن أعمال العبد لا تقبل إلا باتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[1].

واتباعه صلى الله عليه وسلم سبب في دخول الجنة، قال عليه الصلاة والسلام: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[2].

والحاصل أن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه من أسباب الهداية التي إنما هي منحة الله عز وجل للعبد وإنها حقاً

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم 1718.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم 7280.

القلوب، وإزالة الأحقاد والغل والفلاح ودخول الجنة.

رابعًا: الدعاء

لقد أرشد الحق سبحانه وتعالى عباده إلى طلب الهداية والتوفيق منه جل وعلا وجعل ذلك في أول سورة من سور القرآن الكريم في قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦].

قال السعدي أي: دلنا وأرشدنا ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط، فالهداية إلى الصراط لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علمًا وعملًا، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته لضرورته إلى ذلك(١).

والله سبحانه وتعالى أمرنا بطلب الهداية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم(٢).

وقد جاء في صحيح مسلم أن الداعي يسأل الله عز وجل الهداية فيستجيب له ويعطيه مسألته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: فإذا قال العبد: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، قال الله تعالى: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل(٣).

ولا بد من طلب الدعاء من الله سبحانه وتعالى من أجل تحقيق معاني التوكل والاعتماد والصبر على تحري الحق والعدل والالتزام بطريق الاستقامة والنجاة في الدنيا والآخرة.

ومن أدعية الهداية في الطلب النبي صلى الله عليه وسلم حيث إنه كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»(٤).

وقد أرشدنا الله تعالى إلى طلب الهداية حتى نكون على بصيرة على أمورنا وشؤوننا بعد أن نبذل ما نستطيع من الجهد في معرفة أحكام الشريعة واتباع الصراط السوي على منهاج لنحصل على خيري الدنيا والآخرة(٥).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي ص٣٩.

(٢) الجامع الصغير وزيادته، للألباني ٣٣ ـ ه

رقم ٣٢٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، برقم ٣٩٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل برقم ٢٧٢١.

(٥) الفكر [illegible] ٣٦.

والمسلم عليه إرادة الله سبحانه وتعالى بالعبادة والاستقامة والتجرد والإخلاص وطلب ثمرة الوصول إلى الهداية وإلى الدين الحق والصراط المستقيم.

ويكون أمر بدعوة الله عز وجل وسؤاله الهداية فإنه إذا أعطوها عبدا ندعو عز وجل أن ينعم عليهم ويسلمهم من الزيغ والضلالة قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

ويتبين من الآية السابقة أن الدعاء سبب من أسباب الهداية فلا بد من طلبها وسؤال الله تعالى الثبات على الهداية التي تحمي صاحبها من الزيغ والضلالة والتي لا يعلمها إلا هو.

خامسًا: الجهاد

لقد شرع الجهاد في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)(٢).

قال النووي في شرح هذا الحديث: فيه بيان أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحة، وأن الفضل الذي ورد في المجاهدين في سبيل الله يختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا(٣).

ومن فضائل الجهاد في سبيل الله أنه سبب في الهداية، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال ابن عطية في تفسير الآية: «والذين جاهدوا في العموم لنهدينهم سبل الخير على الإطلاق.

والسبل هاهنا يحتمل أن تكون طرق الجنة ومسالكها ويحتمل أن تكون سبل الأعمال المؤدية إلى الجنة والطاعة المرضية»(٤).

قيل: إن معنى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ أي: من جاهد في الطاعة هداه سبل الجنة، وقيل: تفكروا في دلائله ليحصل لهم العلم بها(٥)، والمعنى لنعرفهم سبلنا أي: طرقنا في الدنيا والآخرة(٦).

وقال الشوكاني: «أي: جاهدوا في

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٤/٢٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله رقم [illegible].

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي [illegible].

(٤) التفسير المحرر لابن عطية [illegible].

(٥) انظر: مفاتيح الغيب للرازي [illegible].

(٦) انظر: فتح القدير للشوكاني [illegible].

دلالة الله للطالب مرضاته بحسب ما عنده من العلم ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي الطرق الموصلة إلينا[1].

وقيل: الذين جاهدوا لنا بالطاعة على الاستقامة لنهدينهم إلى ما لم يعلموا[2] وقيل: لنهدينهم سبل الجنة بالرحمة إلى جناته أو لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير[3].

وقال ابن عطية: والآية هي جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته[4] وهذا يدل على أن الجهاد في الآية لا يقتصر على القتال.

وقال القرطبي: [illegible] قال أبو سليمان الداراني: ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، وعظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر[5].

وهذا يعني أن الذين جاهدوا وثبتوا على الاستقامة سيهديهم الله تعالى سبل الخير إليه، أي: إنه سبحانه سيهديهم إلى سبيل كل خير، ومن ذلك الهداية، وبدوام الجهاد تدوم الهداية. قال سبحانه: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ④ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ⑤ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ⑥﴾ [محمد: ٤-٦].

ومنه في سورة الفتح ما يدل على أن الجهاد سبب من الأسباب الموصلة إلى الهداية.

وهذه الهداية للذين جاهدوا سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا، ويشمل قراءة (قاتلوا) وقراءة (قُتلوا) بألف بعد القاف [illegible] وهي قراءة سبعية متواترة[6].

والفتح المبين لمكة المكرمة وما فيه من فتوحات البلاد بالجهاد، ويذكر الله تعالى من أهدافه أنه يغفر ذنوبه، ويتمم النعمة، ومن أسباب الهداية والنصر العزيز. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ② وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ③﴾ [الفتح: ١-٣].

أي: إن الله تعالى أتم النعمة بإعلاء الدين، وانتشار الإسلام، وفتح البلاد قرية وقرية، ويدفع ذلك النبي صلى الله

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]
[2] انظر: تفسير [illegible] [illegible]
[3] انظر: [illegible] [illegible]
[4] المحرر الوجيز لابن عطية [illegible]
[5] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible]
[6] انظر: الحجة في القراءات [illegible] ص ٩.

عليه وسلم في الدنيا والآخرة، وأرشده إلى الطريق القويم بما شرعه له من الشرع المطهر، ونصره على أعدائه، ونصره الله على أعدائه نصرًا مؤزرًا حتى لا يبقى عليه أثر من جور الضلال [illegible] [1]

من خلال ما سبق يظهر أن الهداية في سبيل الله [illegible] الله من خلالها سبب من الأسباب الموصلة إلى سبل الخير، ومنها الهداية [illegible].

سادسًا: الاقتداء بأهل الهدى:

لقد حث الإسلام الاقتداء بأهل الإيمان والصلاح والتقوى، والله عز وجل أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بالأنبياء قبله ويعمل في ذلك الهداية.

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1] [الأنعام: ٩٠].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: الظاهر في الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ إلى المذكورين قبل من الأنبياء ومن معهم من المؤمنين المهتدين، ومعنى الاقتداء اتباع الأثر في القول والفعل والسيرة، وإنما يصح اقتداء النبي صلى الله عليه وسلم بجميعهم في العقيدة والإيمان والتوحيد الذي ليس بينهم فيه اختلاف، وأما أصول الشرائع مختلفة، وقال الله عز وجل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

والمعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو وقومه مخاطب بشرع من قبله في العقيدة والإيمان والتوحيد فإنه أمر عليه السلام أن يقتدي بهم [illegible] إلى توحيد الله عز وجل [illegible][2]

وقد دل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى﴾ على إبطال الشرك وإثبات التوحيد، كما دل قوله: ﴿آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ على وجوب جمع جميع الأنبياء الشرائع، وهو أصل التوحيد وعبادة الله والتخلق بالأخلاق الشريفة ومحاسن الصفات الحميدة، واستنبط العلماء بهذه الآية على أن رسولنا صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأن الله أمره بأن يقتدي بهم بالمرسلين[3]

والمعنى أن الله تعالى يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بالأنبياء والسير على طريقهم في الإيمان بالله وتوحيده والأخلاق الحميدة والأفعال المرضية والصفات الرفيعة[4]

وقال الشوكاني في معنى الآية: إنه الإشارة إلى الأنبياء المذكورين لا إلى المهاجرين والأنصار إذ لا يصح أن يؤمر

---

[1] انظر: التفسير المنير، الزحيلي ج[illegible]

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج[illegible]

[3] الجواهر الحسان، الثعالبي ج[illegible]

[4] انظر: التفسير المنير، الزحيلي ج[illegible]

[5] انظر: معالم التنزيل، البغوي ج[illegible]

النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ﴿[illegible]﴾ على [illegible] [illegible] في [illegible] وقال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]

وقال [illegible] في [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] في [illegible] الله تعالى [illegible]

[illegible] من [illegible] أن الله تعالى [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الله تعالى [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

والله سبحانه وتعالى أمر [illegible]

صلى الله عليه وسلم [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

هذا أمر من الله تعالى بالأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله [illegible] [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الله [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

وما [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] من [illegible] في [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] روح المعاني، الألوسي [illegible]

[3] انظر [illegible]

[illegible] ٢/ ٣٦٣

فقال: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فاعهد إلينا، فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًا، وسترون من بعدي اختلافًا شديدًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات فإن كل بدعة ضلالة"[1].

وخلاصة القول: إن الاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، والاقتداء بهديهم سبب من الأسباب التي تحقق السعادة في سعي العبد للوصول إليها.

سابعًا: التفكر في الكون:

إن في خلق السماوات والأرض وما بث الله سبحانه وتعالى فيهما من الآيات الكونية والمعجزات الباهرة من اختلاف الليل والنهار دليل على وجود الله تعالى ووحدانيته وكمال قدرته وعظيم سلطانه، ولم يخلق الله ذلك إلا لحكمة ومصلحة للإنسان، وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات الكونية مثل: رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض وجعل الجبال الرواسي فيها وتسخير الشمس والقمر وما بينهما من آيات. وهذه الآيات وغيرها فيها دلالات قاطعة على أن الله تبارك وتعالى خالقها وهو الرب المدبر وحده، وفي معرفة الله عظمة للإنسان، وصلاح أموره في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ② وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: 2-3].

لقد دعا الله سبحانه وتعالى في الآيتين السابقتين من الآيات الكونية ما يدعو الإنسان للتدبر والتفكر، والتأمل حتى يميز الحق من الباطل، وأن الذي يتفكر في هذه المخلوقات يعلم أن الله عز وجل خالقها، ولا يكون ذلك إلا من أصحاب العقول السليمة التي لا تحيد عن الحق. قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 190-191].

وهذه الآيات الكونية وغيرها فيها الهداية. قال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ

---

[1] أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ([illegible]) رقم ([illegible]). وصححه الألباني في صحيح الجامع، ([illegible]) رقم ([illegible]).

﴿رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل: ١٥-١٦)

والمعنى أن ما على سطح الأرض من المسطحات العظيمة التي في وجودها [illegible] وحاجة الإنسان ومنه المسطحات لما كانت مسخرة كالأوتاد للأرض ومرتفعة على ظاهر سطحها عن عاليها ويربطها بالأرض التي هي في سطح الأرض [illegible] من خلق الأرض إذ تمثل الجبال [illegible] بالاضطرابات الأرضية كالزلازل العظيمة لم [illegible] الأنهار ويجعل للأنهار وكما السبل والعلامات ظاهر وجودها على ظاهر الأرض والرواسي والأنهار والسبل [illegible] والعلامات الإشارات التي ألهم الله تعالى أن يهتدوا [illegible] على المسافات والمسالك المتعددة في البر والبحر [illegible]

والله سبحانه وتعالى علم الإنسان بالنجوم وجعله بالاهتداء في الليل لأن السبل والعلامات إنما تهدي في النهار، والله يعلم السالك إلى السير ليلاً فسراج النجوم علامات لاهتداء الناس السالكين ليلاً تعرف بها [illegible] من يهتدي بها البحارة الذين لا يستطيعون [illegible] في كل ليلة فهم مضطرون إلى السير ليلاً، وهي حاجة عليها في [illegible] على السالك والمسافر بذلك النجوم التي يعرفها الناس للاهتداء لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام ٩٧)[١]

والله سبحانه وتعالى ألقى في الأرض الجبال العظيمة لأجل [illegible] لئلا تميد وتضطرب بالخلق [illegible] من [illegible] الأرض [illegible] عليها، ومن رحمته تعالى أن جعل فيها أنهاراً على وجه الأرض يسيرها من أرض بعيدة إلى أرض مضطرة إليها لسقيهم وسقي مزارعهم ومواشيهم، وجعل أيضاً أنهاراً في باطنها [illegible] الماء منها [illegible] بما سخر الله لهم من الأسباب والآلات [illegible]، ومن رحمته أن جعل في الأرض سبلاً، أي طرقاً توصل إلى البلاد المتنائية حتى إنك تجد أرضاً مشتبكة بالجبال مسلسلة فيها وقد جعل الله فيها بينها فجاجاً وسبلاً للسالكين وهذا كله من لطف الله ورحمته[٢]

والآيات القرآنية في [illegible] كثيرة [illegible] في مخلوقات الله يجد أنها كلها

---

[١] [illegible] الكريم [illegible] ٨٣ بتصرف.

[٢] تيسير الكريم الرحمن [illegible] بتصرف.

على الخلائق [illegible] [illegible] [illegible] علم الأولين [illegible] أصحاب العقول السليمة التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الهداية

إن العبد إذا من [illegible] الكريم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] لأن الهداية لا نهاية لها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الهداية.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الهداية [illegible] [illegible] على [illegible] لأن الهداية لا نهاية لها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هداية أخرى [illegible] [illegible] الهداية هداية أخرى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هداية أخرى [illegible] [illegible] مزيد هداية [illegible] [illegible] مزيد من التقوى [illegible] [illegible] [illegible] من التقوى [illegible] [illegible] من الهداية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ ([illegible])

وقال تعالى: ﴿ [illegible] وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى: ١٣)

وقال: ﴿ [illegible] ﴾ (الأعلى: [illegible])

وقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: 17].

وقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: 124].

ونظير ذلك قوله: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: 76]⁽¹⁾.

ويبين من كلام ابن القيم أن الهداية تزيد بالرجوع إلى القرآن الكريم تلاوة وتدبرا، والذكر، والأعمال الصالحة، وفي المقابل إنما تنقص مع نقص الإيمان والتقوى.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: 76]، أي: يزيدهم الله هداية على هدايتهم⁽²⁾.

وقال السعدي في تفسير هذه الآية: "لما ذكر أنه يمد للظالمين في ضلالهم، ذكر أنه يزيد المهتدين هداية من فضله عليهم ورحمته، والهدى يشمل العلم النافع، والعمل الصالح، فكل من سلك طريقا في العلم والإيمان والعمل الصالح زاده الله منه، وسهله عليه، ويسره له، ووهب له أمورا أخر لا تدخل تحت كسبه، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه، كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: 31].

وقوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22].

ويدل عليه أيضا الواقع، فإن الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور أعظم التفاوت"⁽³⁾.

والآيات السابقة تدل على أن الإيمان يزيد وينقص.

قال النووي: "مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. قال ابن بطال: فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص. قال: فإن قيل: الإيمان في اللغة التصديق، فالجواب: أن التصديق يكمل بالطاعات كلها، فما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل، وبهذه الجملة يزيد الإيمان، وبنقصانها ينقص، فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان، ومتى زادت زاد الإيمان كمالا، هذا توسط القول في الإيمان، وأما التصديق بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فلا ينقص"⁽⁴⁾.

ويبين مما تقدم أن الإيمان سبب في زيادة الهداية، وإذا نقص الإيمان نقصت الهداية، ولهذا ما أكثر ما أمر به القرآن أيضا في

---

(1) الفوائد، ابن القيم، ص ٩٨.

(2) معالم التنزيل، البغوي ٣/[illegible].

(3) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٤٩٣.

(4) شرح صحيح مسلم، النووي ١/[illegible].

قصة أصحاب الكهف.

قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13].

قال ابن جرير الطبري في معنى هذه الآية: نحن يا محمد نقص عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف بالحق، يعني: بالصدق واليقين الذي لا شك فيه ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾، يقول: إن الفتية الذين أووا إلى الكهف الذين سألك عن نبئهم الملأ من مشركي قومك فتية آمنوا بربهم ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾، يقول: وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيماناً وبصيرة بدينهم حتى صبروا على هجران دار قومهم والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه إلى خشونة المكث في كهف الجبل(1).

ونستفيد من هذا أن أصحاب الكهف عندهم إيمان صحيح، وإيمانهم المتمثل باليقين، وزيادة الإيمان، والصبر مما جعلهم يفرون بدينهم خوفاً من الطاغية صاحب القيم الزائفة من أجل ذلك زادهم الله هدى بالتوفيق والثبات والصبر.

وحول هذا المعنى، قال الزمخشري: زادهم الله هدى بالتوفيق والتثبيت، وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الأوطان والنعيم والفرار بالدين إلى بعض الغيران، وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام إذ قاموا بين يدي الطاغية الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(2).

وهذا يدل على إيمانهم بالله وحده، وأنهم [illegible] من الموحدين لله سبحانه، إذ هؤلاء الفتية آمنوا بالله وحده لا شريك له من دون قومهم، فشكر الله لهم إيمانهم، فزادهم هدى، أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان، زادهم الله من الهدى الذي هو العلم النافع، والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: 76](3).

ومما يوافق هذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 17].

أي: من أهل الإيمان زادهم الله هدى، وقيل: زادهم النبي صلى الله عليه وسلم هدى، وقيل: زادهم ما يسمعونه من القرآن هدى أي: علماً، [illegible]، وقيل: زادهم إعراض المنافقين واستهزاؤهم هدى، وقيل: زادهم نزول الناسخ هدى، وقيل

---

(1) جامع البيان للطبري، [illegible]

(2) الكشاف للزمخشري، [illegible]

(3) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص [illegible]

الهدى الذي زادهم أربعة أقوال: أحدها زادهم علمًا، والثاني أنهم علموا ما سمعوه وعملوا بما علموا، والثالث زادهم بصيرة في دينهم وتصديقًا لنبيهم صلى الله عليه وسلم، والرابع شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان»[1].

وعلى كل تقدير فالمراد أنه سبحانه وتعالى زادهم إيمانًا وعلمًا وبصيرة في الدين، وهذه الأقوال كلها تؤيد الهداية بمعناها[2].

ويؤيد هذا المعنى قول ابن كثير: «إن الذين قصدوا الهداية وفقهم الله لها فهداهم إليه وثبتهم عليه وزادهم منه»[3].

وقد يكون معنى زيادة الهداية زيادة التفصيل والأدلة أو ورود الشرائع والنواهي والأحكام.

قال ابن عطية: «قوله تعالى: ﴿زادهم هدى﴾ يحتمل أن يكون الفاعل في ﴿زادهم﴾ الله تعالى، والزيادة في هذا المعنى تكون إما بزيادة التفسير والأدلة، وإما بورود الشرائع والنواهي والأحكام تزيد الأحكام على ذلك كله والإيمان به، وذلك بفضل الله تعالى، ويحتمل أن يكون الفاعل في ﴿زادهم﴾ قول المنافقين واضطرابهم؛ لأن ذلك مما يعجب المؤمن منه ويحمد الله على إيمانه ويزيد بصيرة في دينه، فكان ذلك كالمعجزة والموعظة زادتهم، قال هؤلاء المفسرون: معناه أي كانت الزيادة بسبب تأمل القول وتدبره والآية، وقالت فرقة: هذه الآية نزلت في قوم من النصارى آمنوا بمحمد فالفاعل في ﴿زادهم﴾ محمد عليه السلام، كأنه سبب الزيادة تأمل القول إليه وتركه على هذا القول ﴿زادهم﴾ ربه في إيمانهم بعيسى عليه السلام، ثم زادهم محمد هدى حين آمنوا به، والفاعل في ﴿وآتاهم﴾ يحسب بحسب الأقوال المذكورة، وقولنا أنه الفاعل الله تعالى ﴿وآتاهم﴾ معناه أعطاهم، أي جعلهم متقين له»[1].

والراجح أن الفاعل في ﴿زادهم﴾ الله سبحانه وتعالى؛ لأن الهداية المذكورة هداية التوفيق التي أعطاها الله عز وجل من النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك هداية التوفيق وغيره لا يملكها من باب أولى.

والملاحظ مما سبق أن الهداية تزيد بزيادة الإيمان والأعمال الصالحة، والثبات على الدين، واجتناب الفتن.

---

[1] انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج[illegible] ص[illegible] بتصرف يسير.
[2] انظر فتح القدير، الشوكاني، ج[illegible] ص[illegible].
[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج[illegible] ص[illegible].

---

[1] المحرر الوجيز، ابن عطية، ج[illegible].

سنن الله في الهداية

إن الهداية لها أسباب تحصل من التوجه وإليه عليها ويحصل على مطالبها والظفر من جزء منها، فمن اهتدى من طرق بابها ولكن لا يوصل إليها بذلك الوجود موانع تمنعه من الحصول.

فمن أسباب الحرمان من الهداية:

أولاً: الكفر

لقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل على أن الله عز وجل يحرم الكافرين نصيبهم من التوفيق للهداية.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 264]

قال القرطبي في معنى الآية: «إن المصرين على كفرهم السابقين عليه لا يهديهم الله عز وجل إلى ... الكافرين. وأما الهداية بمعنى الدلالة على الحق والإرشاد إليه فقد عمها الله سبحانه الجميع عليه»[1]

والمعنى: إن الذين استحبوا الكفر والتكذيب في الدنيا وأصبحت الشبهة مطبوع عليها محرومون الهداية حتى لو جاءتهم كل آية لم يهتدوا.

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 86]

قال السعدي في معنى الآية: «هذا من باب الاستبعاد، أي: من الأمر البعيد أن يهدي الله قوماً اختاروا الكفر والضلال بعدما آمنوا وشهدوا أن الرسول حق بما جاءهم به من الآيات البينات والبراهين القاطعات»[2]

فالذي يكفر الكفر الأكبر المخرج من الملة يحرم عليه محروم الهداية، والذي لا يحرمه بالكفر الأصغر فقد يجر صاحبه إلى الكفر الأكبر والعياذ بالله إن لم يتب منه.

ثانياً: الظلم

إن الظلم مانع من موانع الهداية وسبب من أسبابها، والظلم الذي يحرم صاحبه الهداية هو الظلم الأكبر المخرج من الملة.

ومن شواهد القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 5]

فهذه الآية تدل دلالة واضحة على تحريم هداية اليهود والنصارى، والظالمين يشمل كل ظالم والله تعالى لا يهدي الظالمين، والهداية المنفية في هذه الآية هي هداية التوفيق لتحريمها كل من

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

[2] تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص [illegible]

بأن اليهود والنصارى الأمم أعداء الله من دونه والمؤمنين.

والمعنى: إنه في الآية تعليل النهي الذين يوالون اليهود والنصارى لا يصحبهم إلى الإيمان بل بطغيانهم وتكذيبهم للحق في الكفر والضلالات وإنما وضع الظالم موضع ضميرهم تنبيهاً على أنه توليهم ظلم لما أنه تعريض لأنفسهم للعذاب الخالد ووضع للشيء في غير موضعه وهذا سبب من حرمانهم الهداية[1].

والظلم بالمعنى العام الانحراف الشرعي من الشرك ومن أحكام الله عز وجل وكونه قد ارتكب معصية ليحرم الهداية من الله تعالى، وقد فسر القرآن الكريم الظلم بالشرك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].

وهذا يعني أن الشرك سبب من أسباب الحرمان من الهداية.

ثانياً: الفسق.

الخروج عن طاعة الله [illegible] والميل [illegible] إلى زيغ القلوب وحرمان الهداية.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5].

أي: الذين لم يزل الفسق وصفاً لهم ليس لهم قصد في الهداية وهذه الآية كالتوطئة تفيد أن إزاغة الله لقلوبهم ليس ظلماً منه ولا حجة لهم عليه وإنما ذلك بسبب منهم فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعدما عرفوه فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه وتقليب القلوب عقوبة لهم وعدلاً منه بهم فهؤلاء يحرمون الهداية[2].

والمعنى الأخير: إن بني إسرائيل لم يؤمنوا بنبيهم موسى عليه السلام، وتركوا الحق الذي جاءهم به، وأكثروا بعد ذلك أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الحيرة والشك، وصرفها عن الحق، فكان ذلك سبباً في حرمانهم من الهداية، وكل من فعل فعلهم يحرمونها؛ لأن الله تعالى لا يوفق الفاسق ولا يرشد للهداية القوم الفاسقين الفسق الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

والمثال من القرآن ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: 6].

فالآية تدل على أن الفاسق [illegible] التوفيق [illegible] مطلقاً من دواعي الهداية [illegible] من

---

[1] انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج[illegible]

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص[illegible]

أصحابها.

رابعاً: الكذب

إن الله عز وجل لا يرشد ولا يوفق للهداية كل من افترى عليه الكذب وقال حسب رغبته. إن الله [illegible] الآية تشير أن [illegible] إلى الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

والمعنى: إن الله لا يوفق للدين الذي ارتضاه ومن من الإسلام ولا يعطي هداية التوفيق من كذب على الله وافترى عليه والحد كافر بآياته وحججه وبراهينه[1] وليس ذلك فحسب بل إنه يمنع من هدايته.

وجاء هذا المعنى في آيات أخرى من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

خامساً: التكبر

إن التكبر حرمة الطبع على القلوب فيكون من المسرفين.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

فالآية تدل على أن هذا الطبع إنما حصل من الله لأنه كان في نفسه متكبراً جباراً، والمعنى أن الله تعالى يختم مواضع الفكر والرياسة في القلب فتصير تلك المواضع مانعة من حصول ما يدعوه إلى الطاعة والانقياد لأمر الله[2].

ومعنى ذلك أن الله تعالى يطبع على قلوب المسرفين والمتكبرين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم فيحرمون الهداية لأن القلب المطبوع عليه لا يصل إليه خير بسبب الكبر.

سادساً: الخيانة

الخيانة صفة ذميمة تحرم صاحبها الهداية ويدل ذلك ما ورد في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

قال الألوسي في معنى الآية: «أي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه فالهداية مجاز عن تنفيذه ويجوز أن يكون المراد لا يهدي الخائنين بسبب كيدهم فأوقع الهداية المنفية على الكيد وهي

---

[1] انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٣/ ٢٤١، بتصرف.

[2] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، [illegible].

[illegible] عليهم [illegible] إلا [illegible] السبب عليه [illegible] سببه [illegible] الأول؟

والآية تدل على أن الله تعالى نفى عن الظالمين الهداية بسبب ظلمهم وحرمانهم منها بسبب الظلم.

سادساً: الضلال.

الضلال عكس الهداية، ولا يمكن للضال أن يجمع بين الهداية والضلالة في آن واحد، فالجمع بين النقيضين مستحيل، وقد دلت على ذلك آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (الملك: 9).

قال العلامة [illegible] في تفسير هذه الآية: [illegible] من قبل هذه [illegible] له من [illegible] إلى الرشد [illegible] من الضلالة(1).

قال السعدي: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ أي: [illegible] إلا [illegible] على [illegible] لم يحصل [illegible] سبيل إلى الهداية، وما هو إلا الضلال البعيد والعناد(2).

نستنتج من الآية أن الضلال لا يؤدي إلى المطلوب، ويكون محروماً من الهداية، وليس له سبيل إلى الهدى.

ثالثاً: اتباع خطوات الشيطان.

إن الشيطان يزين للإنسان عمله حتى يرى السيئ حسناً، وليس ذلك فحسب بل إنه يصده عن سبيل الهداية.

قال تعالى: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (النمل: 24).

والمعنى: أن الهدهد وجد ملكة سبأ وقومها يسجدون للشمس من دون الله، والسبب في ذلك أن الشيطان زين لهم سوء أعمالهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ أي: وجد هذه الملكة وقومها يعبدون الشمس من دون الله، ولذلك زين لهم الشيطان أسوأ أعمالهم فصاروا يرون السيئ حسناً، ومنعهم الشيطان عن طريق الحق وعبادة الله الواحد الأحد فأصبحوا لا يهتدون، وهذا يعني أنهم حرموا الهداية(4).

نفهم من ذلك أن الشيطان يغوي الإنسان ويزين له سوء عمله ويصده عن [illegible] الهداية، وخطوات الشيطان مانعاً في منع الهداية.

قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: 60).

---

(1) روح المعاني، الآلوسي: [illegible]
(2) فتح القدير، الشوكاني: [illegible]
(3) تيسير الكريم الرحمن، السعدي: ص
(4) ظلال التفسير [illegible]

أثر الهدى في الدنيا والآخرة

إن للهدى آثاراً عظيمة لمن التزمها، فالمهتدي يجد صلاح الحال والسعادة والأمن في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه ١٢٣].

والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى أرسل إلى بني آدم [illegible] الطريق المستقيم الموصلة إليه [illegible] ويحذرونهم من هذا الطريق [illegible] في وقت حاجتهم ذلك الهدى الذي هو الكتب والرسل، فإن من اتبع الهدى ما أمر به واجتنب ما نهي عنه فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يشقى فيهما، بل قد هدي إلى صراط مستقيم في الدنيا والآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة[2].

والله سبحانه وتعالى نفى الخوف والحزن عمن اتبع الهدى، فقال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة ٣٨].

قال السعدي: (نفى الله الخوف والحزن عمن اتبع هداه، وإذا انتفيا حصل ضدهما وهو الأمن التام، وكذلك نفى الضلال والشقاء عمن اتبع هداه، وإذا انتفيا ثبت ضدهما وهو الهدى والسعادة، فمن اتبع هداه حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى)[3].

والآية كذلك تدل على أن الله تعالى نفى عمن اتبع هداه الخوف والحزن، وأثبت له الأمن والهدى والسعادة في الدنيا والآخرة.

والله تعالى يجعل من المهتدين أئمة من أجل هداية غيرهم إلى الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة ٢٤].

أي: أن الله تعالى جعل منهم أئمة يقتدى بهم علماء بالشرع وطرق الهداية مهتدين في أنفسهم يهدون غيرهم بذلك الهدى، فالكتاب الذي أنزل إليهم هدى، والمؤمنون به منهم على قسمين: أئمة يهدون بأمر الله، وأتباع مهتدون بهم[4].

والله عز وجل يجعل العاقبة للمهتدين في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ⑩﴾ [الشمس ٩-١٠].

والآية تعني أن الفلاح على الاهتداء يكون لمن [illegible] نفسه بالطاعة، وقال ابن عطية: (الفلاح [illegible] الفوز بما فيه غاية النفس والظفر بها)[5].

وأهل الجنة بطاعتهم يسلم الله

---

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص[illegible].

[3] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص[illegible].

[4] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص[illegible].

[5] المحرر الوجيز، ابن عطية، [illegible].

صدورهم من الغل، ويحمدون الله على الهدى، وجاء في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: 43].

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾: أي لهذا الجزاء العظيم وهو الخلود في الجنة ونزع الغل من صدورهم، والهداية هي الهداية لسبب من الإيمان والعمل الصالح، وما كنا نطيق أن نهتدي لهذا الأمر لولا هداية الله لنا، أي: لولا هداية الله لنا ما كنا لنهتدي(1).

وجاء في سورة محمد ما يدل على أن المهتدين يصلح الله بالهم ويدخلهم الجنة، قال تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: 5-6].

فبينت الهداية قبل صلاح البال ودخول الجنة، والمعنى كما قال الزحيلي: أي سيهديهم الله تعالى للعمل بما يحبه ويرضاه، ويرشدهم إلى طريق الجنة، ويصلح شأنهم وأمرهم وحالهم في الآخرة، أي تسعد أحوالهم وتطيب أنفسهم، ويدخلهم برضوانه الجنات ويعرفها لهم، وذلك من تيسيرها لهم بأنهم [illegible] من أهل الضلالات، حيث إنه أهلها محصنة في [illegible] وعقولهم من غير مرشد ولا دليل(2).

ومما سبق يتضح أن للهداية أثراً على من اهتدى في الدنيا والآخرة، وذلك الهدى [illegible] والهادي إلى سواء السبيل.

[illegible]

الإصلاح [illegible] طريق الهداية الصحيحة

---

(1) فتح القدير، الشوكاني.

(2) التفسير المنير للزحيلي [illegible].

الموسوعة الصغيرة
المشروع الثقافي
العدد ٢٧٣

الهرمية

فاكس المجموع

١ - مفهوم الهرمية	(٣)
٢ - الهرمية في الاستعمال اللغوي	(٤)
٣ - الهرمية : نشأتها	(٦)
٤ - أنواع الهرمية	(٨)
٥ - أمثلة الهرمية	(١٠)
٦ - نقد الهرمية	(١٢)

المشروع القومي للترجمة

[illegible]

أولاً: المعنى اللغوي:

[illegible] منها:

أولاً: [illegible] وأصل (الرمز) [illegible]

ثانياً: الرمز بمعنى [illegible][1]

ثالثاً: الرمز بمعنى [illegible][2]

رابعاً: الرمز بمعنى [illegible][3]

خامساً: الرمز بمعنى [illegible][4]

[illegible]

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي [illegible] المعنى اللغوي [illegible]

---

[1] ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس [illegible]، لسان العرب لابن منظور [illegible]

[2] المحيط في اللغة للصاحب بن عباد [illegible]، الصحاح للجوهري [illegible]

[3] ينظر: [illegible]، القاموس المحيط للفيروزآبادي [illegible]، تاج العروس للزبيدي [illegible]

[4] [illegible]، القاموس المحيط للفيروزآبادي [illegible]، المحيط في اللغة للصاحب بن عباد [illegible]

[illegible] في الاستعمال القرآني

وردت مادة ([illegible]) في القرآن الكريم (٣) مرات [illegible]

[illegible] التي وردت فيها

[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفعل الماضي		﴿ [illegible] ﴾ (البقرة [illegible])
الفعل المضارع	١	﴿ [illegible] ﴾ (القمر [illegible])
[illegible]	١	﴿ [illegible] ﴾ ([illegible])

وحملت [illegible] في الاستعمال القرآني [illegible] والمطر [illegible] وصارت [illegible] [2]

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص [illegible]، [illegible] باب الهاء، ص [illegible]

[2] انظر: [illegible] ٢٥١

[illegible]

التولي

التولي لغة

[illegible][1]

[illegible][2]

التولي اصطلاحا

[illegible][3]

[illegible]

الصلة بين التولي والهزيمة

[illegible][4]

الطلب

الطلب لغة

[illegible][5]

الطلب اصطلاحا

[illegible]

الصلة بين الطلب والهزيمة

[illegible]

---

[1] انظر: لسان العرب لابن منظور [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[4] [illegible]

[5] [illegible]

[6] [illegible]

تفسير قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ [illegible] ۝﴾ [الفجر: ١-٥].

القرار

القرار لغة

ورد في الصحاح[1]: [illegible] ﴿[illegible]﴾ [المرسلات: [illegible]].

وعند صاحب اللسان[2]: القرار: [illegible]

[illegible] ابن سيده [illegible] القرار [illegible][3]، وفي موضع آخر [illegible] القرار [illegible] في المخصص[4].

القرار اصطلاحًا

لا يخرج عن معناه اللغوي وهو [illegible].

الصلة بين القرار و[illegible]

وقد عبّر القرآن الكريم عن القرار في بعض الآيات [illegible] على [illegible][5].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

---

[1] الصحاح للجوهري [illegible]

[2] لسان العرب لابن منظور [illegible]

[3] المخصص لابن سيده [illegible]

[4] المصدر السابق [illegible]

[5] التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible]

عوامل الكوارث

وإذا نظرنا إلى عوامل ومسببات هذه الكوارث في القرآن الكريم نرى بعض عوامل أخرى منها:

أولاً: الذنوب والمعاصي

المعاصي من عوامل الضلالات للمؤمنين والكفار على السواء ويجرهم إلى طريق الشرك أو ما يشابهه والطاعة والقربات والاستقامة من أسباب الخير والبركة.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام: ٦]

في هذه الآية وعيد لأهل مكة وتنبيه لهم بإهلاكهم كما أهلك من قبلهم من القرون بسبب ذنوبهم التي كانوا يعملون [illegible] وفي هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الأمم السالفة والقرون الخالية الذين مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الأتباع أهلكهم الله لما كفروا وعصوا [illegible] بسبب الآثام [illegible](١)

والمصائب في الدنيا التي تنزل بالناس كالمرض والفقر والقحط وسائر النكبات بسبب معاصيهم إنما هي عقوبة من الله لهم بما ارتكبوا من موبقات [illegible](٢)

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]

[illegible] الأمم الماضية التي كفرت وكذبت وظلمت في الأرض [illegible] الأمم [illegible]

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠]

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، [illegible]

(٢) انظر: [illegible]

فكل من سبق من الهالكين من الأمم الذين كفروا برسلهم أهلكهم الله بما اقترفوا من ظلم وفساد وأعمال سوء، بذنوبهم لا بذنب غيرهم.

وإن اتباع الشيطان هو سبب الذنوب والمعاصي التي يقع فيها الإنسان ويستحق [illegible] [illegible] [illegible] للمؤمنين ليغويهم ويزلهم [illegible] [illegible] والعصيان.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ [الأنفال: ٤٨].

يروي في تفسير الآية ابن هشام أنه [illegible] [illegible] الكفار وقتاله لهم بصورة [illegible] ابن مالك بن جعشم حين ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب، فقال لهم: لا غالب لكم اليوم من المؤمنين، [illegible] لهم إني لكم مجير، [illegible] فلما تراءى الجمعان ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة الذين أيد الله بهم رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوهم، [illegible] ما لا [illegible] [illegible] إلى أعداء الله [illegible] [illegible] في [illegible] سراقة لا يكذبونه، حتى إذا التقى الجمعان نكص على عقبيه فأوردهم ثم أسلمهم[2].

ويعتبر التولي من أهم الأسباب [illegible] التي جرت يوم أحد [illegible] ما قد يكتسبه بعض المؤمنين من الذنوب التي [illegible] في السيرة أو [illegible]، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

[illegible] الله [illegible] بالتولية [illegible] [illegible] بالمعصية والعجب، إذ المؤمنين الذين انهزموا وولوا ظهورهم يوم التقاء الجمعين من المسلمين والمشركين في أحد، إنما أزلهم الشيطان [illegible] في الزلل والخطأ بسبب ما كسبوا من ذنوبهم [illegible] يوم أحد، [illegible] السبب في الإدبار [illegible] للشيطان [illegible] لهم [illegible] العزائم، واستجابوا لما وسوس لهم من الهزيمة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والتوبة القلبية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][3].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما شعرت [illegible]

---

[1] انظر: تفسير [illegible] [illegible]، [illegible] القرآني للقرآن، [illegible]

[2] السيرة النبوية لابن هشام [illegible]

[3] انظر: [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد، فلما أرادوا طلب رغبة في الغنيمة تركوا في القتال وعصوا، ولم يفوا بالعهد الذي عهده النبي وخالفوا إلى غير ما أمرهم به، وتركوا ما أمروا به من المقاعد التي عليها ترتب الأمر(١)، وذلك قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وهذا تمام العبر من في الرماة [illegible] في الأوامر.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران: ١٥٢].

بعد أن أنعم الله عليهم يوم أحد أول الأمر لم [illegible] حالهم التي عهد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ألا يتركوه [illegible] والخلاف وعصوا الرسول [illegible] الطمع في الغنيمة فمن خالف أمر الرسول في الغزو فقد عصى الرسول(١).

المعاصي تجلب الهزائم

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥].

لا تحسبوا أيها المؤمنون مما حل بكم في أحد، فإن ما أصابكم فيها لم يبلغ مبلغ ظفركم في بدر، فقد كان ظفركم في بدر ضعفي انتصارهم في أحد، فقد قتل منكم سبعون رجلا في أحد، وقتلتم من المشركين سبعين رجلا في بدر وأسرتم سبعين رجلا، ولكن الله [illegible] فكيف حدث هذا؟ ولكن الهزيمة من الإسلام وهي الهزيمة من الشرك [illegible] من أسباب [illegible] أنفسكم [illegible] من عند الله [illegible] من [illegible] الرسول [illegible] إذا ما حدث ذلك من عند أنفسكم بمخالفتكم حيث [illegible] لما كان سببه التنازع والاختلاف في الأمر وعصيانكم أمر رسولكم وحبكم المال(٢).

وقد كانت أسباب الهزيمة كثيرة منها:

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ٣/٢٨٦، تفسير ابن أبي حاتم ٣/٧٨٨، الكشاف [illegible] التفسير المنير للزحيلي ٤/ [illegible]

(٢) انظر: تفسير القرآن لابن المنذر [illegible] المحرر الوجيز لابن عطية [illegible] أحكام القرآن لابن العربي ١/٢٧٥

(٣) انظر: أيسر التفاسير [illegible]

وضوح قلة الجيش الإسلامي مع عدد المنافقين أبي بن سلول.

ثم الرسول الرماة بلزوم أماكنهم وعدم تركها مهما كانت نتيجة المعركة فتركوها عندما لاحت بشائر النصر للمسلمين وطالعت أنفسهم إلى الغنائم ليحصلوا عليها وتركوا المعركة.

٣- فرارهم عن رسول الله في ساحة القتال والعسرة.

تلك المخالفات التي نبعت من أنفسهم أصابهم ما أصابهم في أحد فكان هجوم فرسان المشركين من الخلف فبدل نصر المسلمين إلى هزيمة فكان سبب انهزام المؤمنين يوم أحد أثر الشيطان بالوسوسة ببعض ما اقترفوه من الذنوب والمعاصي(١).

هذا أسلوب القرآن في كل زمان ومكان إلى الأبد يهذب العرب فإذا كانوا منهم مقصرين في حق الله وفي حق أنفسهم ولا يأخذون بالأسباب التي شرعها الله للوصول إلى النصر فإنما أصابهم هو نتيجة قصور منهم في الطاعة والعمل ثم تلاوة آي علانية وما نسوا أنفسهم أن الله قد جعل لكل شيء سببا فمن يأخذ أسباب النجاح ويعمل لها فاز به ومن أعرض عنها حرمه الله من عند ربهم وعلمه(٢).

ويختم بقوله تعالى عن المخلصين الصادقين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ آل عمران: ١٤٧.

في قولهم ﴿ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ هنا إيماء إلى أن الذنوب والإسراف في الأمور من عوامل الخذلان(٣).

ثانيًا: الاغترار بالكثرة

الكثرة في القرآن الكريم ترد أحيانًا في مواضع المدح، وفي الأعم الأغلب فإنها ترد في مواضع الذم.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (يونس: ٩٢).

يخبر القرآن الكريم أن هذه الكثرة هي شيمة معظم الناس لا أهل مكة وحدهم(٤) وقد أخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من حيث أنهم أهل الضلال(٥).

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾

---

(١) انظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي ٤/ ١٣٣.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ٢/ ٢٩٣.

(٣) انظر: محاسن التأويل ٤/ ٢٨٥.

(٤) الكشاف، الزمخشري ٤/ ٣٧، لباب التأويل، الخازن ٣/ ٣٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٢٢٢.

[illegible].

وانتقد القرآن طوائف بني إسرائيل حيث إن أكثرهم يوالون المشركين من دون المؤمنين(١)

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ... لَكَاذِبُونَ ⑪﴾ [الحشر: ١١].

وبعضها يصف القرآن الكريم من المؤمنين بقلوبهم مرضا بالنفاق.

قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠].

وفي كل مرة يؤكد الله التجاهل ويبين ظاهر القلة من المؤمنين(٢) ويكثر هم الكافرون من حيث العدد مقارنة بالمؤمنين(٣) حيث قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

وأكد ربع القرآن الكريم الدليل على انقطاعه بكثرة المال وسعة الرزق والأسباب المادية ليس سببا صحيحا عن حب الله منه جملة وتفصيلا(٤)

قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ⑥⓪﴾ [القصص: ٦٠].

وفي قصة طالوت وجنوده ما يؤكد أن الكثرة قوة مغلوبة إذا افتقدت أسباب النصر بالمدد من التأييد الإلهي والتوكل على الله.

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ②④⑨﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فلما رأوا كثرة العدو أيقنوا بهلاك أنفسهم واستقلوا أنفسهم من قلة عددهم فقال المؤمنون الثلاثة والعالمون منهم: كم من فئة قليلة وعدة قليلة غلبت فئة كثيرة إذا صبروا بإذن الله وتيسيره وأمره(٥)

ويؤكد التاريخ كون أن الفئة القليلة تغلب الكثيرة مثل غزوة بدر والخندق ويؤكد ذلك ما روي عن البراء بن عازب قال: (كنا نتحدث أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وبضعة عشر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن)(٦)

ولو بحثنا عن كلمة (الأكثر) مثلا في

---

(١) جامع البيان للطبري [illegible]/١٩٩.

(٢) التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب [illegible]/٣٣٣.

(٣) أنوار التنزيل البيضاوي ١/ [illegible].

(٤) البحر المحيط لأبي حيان [illegible]/٢٩٦.

(٥) تفسير السعدي ١/ ١٠٨.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر ٥/ [illegible] رقم [illegible].

الفرقة الرابعة يعذبون ٢٠ ... لا يعذبون ٢١ ... ٢٢
وقال تعالى ﴿ ... ﴾ ٢٣ ... ٢٤
وقال تعالى ﴿ ... ﴾ ٢٥ ... ٢٦
وقال تعالى ﴿ ... ﴾ ٢٧ ... ٢٨
وقال تعالى ﴿ ... ﴾ ٢٩ ... ٣٠
وقال تعالى ﴿ ... ﴾

بهوازن في وادي حنين قرب مكة حتى ولوا مدبرين [illegible] سوى قلة قليلة [illegible] ولم يثبت معه إلا قليل [illegible] على المسلمين [illegible] [illegible] [illegible] الأولى أن تسمع هذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على الله وطلب النصرة والمدد منه تعالى [illegible] [illegible] [illegible][1]

وفي قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (آل عمران:[illegible]).

في هذا إيحاء للمؤمنين بالنصر من الله مع قلة عددهم [illegible] على كثرة العدد [illegible] والعدة [illegible] من الله [illegible]

[illegible] الإنسان إلى [illegible] عند [illegible] الشديد بسبب [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة:[illegible]).

[illegible] على [illegible] الإنسان على نفسه واعتداده بما [illegible] كما في حنين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على الأسباب ولا [illegible] المسلمين إلى الأسباب [illegible] [illegible] [illegible][2]

٣-٣-٣ البطر والرياء

البطر: هو [illegible] والأشر [illegible] عند النعمة [illegible] من سعة الله عز وجل [illegible] الأمم [illegible]

قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ (القصص:٥٨).

فقد كفروا نعمة الله عليهم [illegible] في [illegible] حيث [illegible] بنعمة الله [illegible] الإسلام[3]

---

[1] انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ([illegible]).

[2] تفسير [illegible] ([illegible]).

[3] انظر: [illegible] [illegible] [illegible]؛ تفسير الشعراوي ([illegible]).

[4] انظر: [illegible] [illegible] [illegible]؛ الوسيط للزحيلي ([illegible]).

وتعرض القصة القرآنية نموذج البطر والاختيال على الناس في زينته والتفاخر على قومه بالعزة والملك والعلم الشخصي للزينة والترف بالذهب والآلات، وذلك تحقيقًا لسنة الله على المتكبرين وأهل البطر.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦). فالله لا يحب الفرحين الأشرين البطرين المتكبرين الذين لا يشكرون الله سبحانه على ما أعطاهم على حسب الصحيح ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص: ٧٨) فأنكر الله منه ونسبه من الفرح.

قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ⑧١﴾ (القصص: ٨١).

فكانت سنة الإهلاك والخسف والزوال، وذلك جزاء المتكبرين الذين يصيبهم البطر والترف(١).

والنموذج الثاني من الأمثال على قوم أسرفوا في المعاصي على الأنفس وكذبوا أنبياء الله وكذبوا في [illegible] دعوة الرسول فلما عم البطر والترف عن الإيمان الجميل لرؤية الناس، فكان قريش حين [illegible] إلى حين كانت ليس لهم [illegible].

قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا [illegible] وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥٨).

وذلك أن أبا سفيان لما أحرز عيره بعث إلى قريش وقال: إن الله قد سلّم عيركم ورجالكم فارجعوا، فأبى [illegible] في الجماعة على ذلك، وخالف أبو جهل وقال: والله لا نقفل حتى نأتي بدرًا فنشرب عليها الخمور ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فيهابنا الناس، وذلك لبطرهم وغفلتهم بالشجاعة والسماحة، فلما سافروا بدرًا ما انتصروا وما [illegible] بل سقوا كأس المنايا بدل الخمور ونادت عليهم النوائح بدل القيان، وكانت أعراضهم [illegible] من بطرها في الأعراف والقرى، فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم في طلب الرياء والسمعة وبأن يشكروا الله [illegible] ويكونوا مخلصين في أمر جهادهم ولا يظهروا غيره، ويكونوا أهل التقوى والإخلاص(٣).

فسنة الله في الناس أن يقصم ظهور المتكبرين وكذلك المتجبرين الذين يتطاولون المتكبرين على الناس بأموالهم وثرواتهم فيجعل الله نهايتهم الهلاك والموت والهزيمة جزاء لهم على بطرهم وكفرهم بالنعم.

رابعًا: العلاقة بين المعالم [illegible]

[illegible] من كتاب الله ما عليه المعاصرون

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٣، ٤٠١.

(٢) انظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، ج٣.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، المجلد ٢، ٢٧٤، وروح المعاني، الألوسي، ج٢، ٢٢.

من صفاتهم وكيف وما يلوحون به من الشبه [illegible] وبث روح الهزيمة في النفوس المؤمنين [illegible] الحرب من أول وأسلحته الفتاكة من [illegible] الذي [illegible] له [illegible] إلا طالب من [illegible] حرب من الأمر [illegible] في الإسلام [illegible] على [illegible] التي [illegible] الكفر وأظهر الإسلام والدين [illegible] والباطل وأهل [illegible] والشرك [illegible] [illegible] [illegible][1]

ومن صفات المنافقين التي ذكرها القرآن الكريم كثيرا [illegible] وبين [illegible] وكشف عوراتهم وأسرارهم من [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] المسلمين إلى [illegible] [illegible] من هؤلاء الذين [illegible] [illegible] [illegible] سورة [illegible].

ومن صفات المنافقين أنهم يكرهون القتال.

قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٧-١٦٨).

[illegible] هذه الآيات الكريمة [illegible] [illegible] فريق من المنافقين الذين أشاعوا التخاذل على المؤمنين من أول لحظة في يوم أحد [illegible] الرجل كان يتزعمه المنافق الشهير عبد الله بن أبي بن سلول الذي [illegible] رسول الله الذي كان [illegible] من [illegible] [illegible] وهم لا يزال في أثناء الطريق بين المدينة وأحد [illegible] [illegible] الركب ممن [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكان فريق من المؤمنين لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المنافقين [illegible] منه من المنافقين إذا لم يكن [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] من [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أو على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible] من المسلمين أن [illegible] [illegible] من أنفسهم ومن أموالهم وأولادهم [illegible] [illegible] المنافقين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رسول الله.

[illegible] زعيم المنافقين ابن أبي ابن سلول [illegible] [illegible] به من [illegible] [illegible] [illegible] ما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]، التفسير [illegible] [illegible] الكتب العلمية [illegible]

[illegible] [illegible] عند الأزمات تظهر كوامن النفس وتتكشف لتظهرهم على حقيقة سيئة وعيوب إذ أن نصر المسلمين في بدر فتح الطريق أمام المنافقين للتظاهر باعتناق الإسلام وعدم [illegible] في أحد كشف عن هؤلاء المنافقين وأظهرهم على حقيقتهم فإن من شأن الشدائد أنها تكشف عن معادن النفوس و[illegible] القلوب[1]

موقف المنافقين في القتال [illegible] من [illegible] المجاهدين [illegible] [illegible] ومن ما يدل على هذه الآيات [illegible] [illegible] [illegible] للمسلمين، [illegible] ما [illegible] [illegible] إلا [illegible] وأكثر [illegible] من [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible] إنما هو [illegible] [illegible] إلى [illegible] هذا هو موقف المنافقين في غزوة أحد وهو موقف يدل على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من هذه الأحداث.

[illegible] بعد انتهاء المعركة [illegible] [illegible] هؤلاء المنافقون لم يكتفوا بما [illegible] من [illegible] قبل غزوة أحد [illegible] بل إنهم بعد انتهاء المعركة [illegible] [illegible] [illegible] لو أنه هؤلاء [illegible] [illegible] في أحد [illegible] [illegible] [illegible] في المدينة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حضورهم إلى القتال [illegible] القرآن عليهم بما [illegible] أمرهم من طريق الحس والمشاهدة وذلك ببيان أن الخروج من الجهاد لا يطيل العمر كما أن الخروج إلى ساحات القتال لا ينقص شيئا من الأجل فكم من مجاهد عاد من جهاده سالما، وكم من قاعد أتاه الموت وهو في عقر داره[2]

وبالمقارنة بسورة [illegible] نجد في [illegible] المسلمين بمشاركة [illegible] تلك [illegible] عند [illegible] [illegible] بالانسحاب [illegible] الجيش [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في صفوف المسلمين [illegible] [illegible] [illegible] المعنوية أمام المشركين [illegible] [illegible] هذه [illegible] [illegible] [illegible] الأمر كما [illegible] [illegible] [illegible] هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من المسلمين من [illegible] في هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المسلمين.

[illegible] الله عليهم [illegible] الأجل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible]

---

[1] انظر: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[2] انظر: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

والعمل لا يمنع الغنى والأمر كله بيد الله [illegible] ولقد أنزل الله ما أنزل من [illegible] بالمسلمين في غزوة أحد ليمحص ما في صدور المؤمنين من الإخلاص والإيمان ويمحق ما في القلوب من أمراض ووساوس الشيطان(1)

فلولا [illegible] لما [illegible] إلى الله في سبيل الله أو [illegible] من النفس والأهل والوطن [illegible] لم [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مع أن جميع [illegible] في [illegible] المسلمين [illegible] على [illegible](2)

ومن مظاهر [illegible] [illegible] في قوله تعالى: ﴿ [illegible] مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: [illegible]]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] دليل على إيمانهم [illegible] [illegible] ولقد [illegible] الله في [illegible] [illegible] [illegible] القرآن الكريم [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الأسلحة [illegible] [illegible] [illegible] والعمل.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ [illegible]﴾ [التوبة: 16].

وفي قوله: ﴿وَلِيجَةً﴾ تحذير من [illegible] [illegible] [illegible](3)

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

والمحاربة ومحاربة والعداء [illegible] بالسحر والأذى [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] أنه [illegible] في السر [illegible] ولا [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible] أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ [illegible]﴾ [illegible]

ومن صفة [illegible] رياؤهم [illegible] قال تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: [illegible]]

[illegible] في الحديث عن أنس [illegible] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الأنصار [illegible] [illegible] [illegible] يا رسول الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] مستأثرة من نصر المسلمين [illegible] أوليائهم

قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠﴾ [التوبة: ٥٠]

فالحسد هنا في النكبة [illegible] [illegible] في الهزيمة [illegible] [illegible] [illegible] أنه إذا أصابكم نعمة من الله بنصر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يوم أحد من [illegible] والهزيمة قالوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قد [illegible] وأخذنا أمرنا من قبل المصيبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المسلمين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][3]

ومن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا [illegible]﴾ [illegible]

[illegible] في [illegible] والمحاربة

---

[1] [illegible]

[2] أسباب النزول [illegible] ص[illegible]

[3] انظر التفسير الوسيط، سيد طنطاوي [illegible]

بمعانيها ولا بأصولها على الظاهر عند هذه الطائفة، ويعتقدون أن لها معاني أخرى باطنية لا يعلمها إلا الله، ولا يعلمها أحد من الناس، ولا حتى الرسول نفسه.

يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7].

وهذه الآية تبين أن القرآن منه آيات محكمات، وهي الأصل في الكتاب، ومنه آيات متشابهات، وهي التي يتبع فيها الذين في قلوبهم زيغ ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الألباب.

وقد اختلف العلماء في الوقف على لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ هل هو وقف تام أو وقف حسن؟ فذهب بعضهم إلى أن الوقف تام على لفظ الجلالة، وأن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه، وإنما يؤمنون به ويسلمون أمره لله.

وذهب آخرون إلى أن الوقف حسن على لفظ الجلالة، وأن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، ويؤمنون به ويسلمون أمره لله.

وقد ذكر الإمام النووي في شرح صحيح مسلم أن هذا هو الصحيح من المذهبين، وهو الذي عليه جماهير العلماء من السلف والخلف.

---

(1) تفسير الطبري: 3/ 174.

(2) تفسير ابن كثير: 1/ 357.

(3) شرح صحيح مسلم للنووي: 16/ 219.

المعركة والقائد ترامى إليه الهزيمة من وحركة لا يدرك ما يستحقه الهزيمة التي يعاني مكر اتباعه ويحسه من ظلمه وإن أنهم استمسكوا بطاعته وكانوا مع أمته وكانوا على من مواقعهم لما قدر عليهم عدو ولم يتقدم عسى المسلمين لرجوا مقاتلين في مواضعهم من القتال مولاه⁽¹⁾

ويتضح أن أسباب المقاتلين في مواقعهم خلفا أمرهم في أمر القتال وكانوا في الأموال كثرة الغنائم وكانوا في غير التربص وأكثر انشغالهم في أموال الغنيمة كما أنهم جعلوا وتركوا الأماكن التي أوقفهم فيها ومنهم من لم يشهد في الأموال والأسلاب حين جاء به القرآن ولا سعة المسلمين في هذه الهزيمة الكاملة [illegible] وقائع القائد أحد.

خامساً: التنازع والفرقة

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فالآية الكريمة تخبر المؤمنين بأن الله قد صدق وعده معهم في أول المعركة بأن سلطهم على المشركين فقتلوهم وعليه يرجعون الكل غنيمة، وأولهم من النصر والظفر بالمشركين ما وعدهم حتى إذا تنازعوا واختلفوا في أمر الله تخلف عليهم نصره، وانهزمت خيل المشركين عليهم من وراء ظهورهم بعد أن نزل الرماة من مكانهم طلبا للغنيمة فحصل ما كان الأمر ومن الغنيمة الكاملة القتل والجراح والهزيمة، والله تعالى على ما أنزلهم وبعد ما أراهم ما يحبون حتى إذا ضعفتم من ملازمة أمر الله وتنازعتم فيما يجب عليكم فيه حكم رسوله وانحرفتم عن الرأي الذي رسمه لكم قائدكم وما تحبون من الظفر⁽²⁾

ولهذا فمن بعد الهزيمة [illegible] تنزل المشركين بأسلوب النصر والهزيمة لديه تعيد الأولى المشتركة التي وصلوا الرماة بما خالوا من القتال ومن ركبوا الرماة ورأوا الموانع المسلمين بعدوا فيها نحيلة من [illegible] والأسرى لما يفيض ولعلهم أهل المسلمين من المشركين إلى الهزيمة والجنود منهم من القتال والأسلحة والقوا نحوهم القوى والجبال ومن كانت الرماة عليهم بعد أن

---

(١) [illegible] ٣٤٨/١٨

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٢٨٩/٣، [illegible] للطبري ٢٨٩/٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣٤/٤، التفسير الوسيط للطنطاوي ١٢٩/٢.

كافة لهم(١)

ثم أمرهم بالطاعة ونهاهم عن التنازع الذي هو أبرز أسباب الفشل وذهاب الريح.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ [الأنفال: ٤٦].

والتنازع غالبا يكون بسبب الأغراض الشخصية وتقديم الأغراض والمصالح الدنيوية على المصالح العامة وذلك أبرز أسباب النزاع وهو منشأ التفرق الذي يأتي من ورائها الشر للمسلمين لأنه يضعف شوكة المسلمين لكونه الضاربة علة الفشل والفرقة من أبرز أسباب الضعف والخور وعدم النظام الكامل وعلة النزاع والفرقة والاختلاف من مشكلة عظمى في أمة الإسلام لأن من شوكة بأس المسلمين وإن بأسهم بينهم شديد وهذا ما يعرضهم للهلاك عن الأمر القائد وطاعة أوامره ونواهيه يصير الأمر إلى فوضى وهذه وصايا سماوية، والناس من حب المسلمين عظيمة من أحاديثهم الشريفة لوقاية الفشل وذهاب ريحهم لا فرق(٢)

ونحن نرى اليوم في عالمنا الإسلامي ما يمكر به الأعداء لأمة الإسلامية من الفتن على الاختلاف بين أبنائها وما يقوم من محاولات توصل إلى النزاع والاختلاف والفرقة وذلك المخطط وما وضعوا من حدود وهمية بين البلاد الإسلامية وافتعلوا حولها المشكلات الطائفية وخطورتها إلى أقصى درجات ومصالح وهمية لا تقدم ولا تؤخر في أرض الواقع حتى لا تجتمع كلمتهم على مقاتلة الأعداء والتحرير الكامل.

سادسا: مخالفة أوامر القيادة

إن طاعة القائد شرط أساسي للنصر وفي قصة طالوت ظهرت معنى عظيم بالعيان من حيث الطاعة، قال لهم: إن الله مختبركم ويمتحن صبركم في هذا النهر واستجابتكم لأوامر قائدكم على تنفيذ الأوامر والقرب منه فمن شرب من هذا النهر فليس من أتباعي لأنه إذا عصاني اليوم في أمر أهون فإنه يعصي أمري في أثناء الحرب، ومن لم يطعمه فإنه مني ما عصى أمري ولم يخالف أمري في هذا النهر(٣)

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

هذه الآية تشير إلى أن النصر الكامل في طاعة القيادة العليا وامتثال أوامرها الرشيدة

---

(١) انظر: تيسير التفسير، إبراهيم القطان: ٢/ ٢٢٩.

(٢) انظر: الصدر السابق، التفسير من سطحي للقطان: ٢/ التفسير ٢/

(٣) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي: ١/ ٥٦٣.

منه الرماة ولا اعتراض عليها من حيث الشجاعة والصبر في مختلف المعارك وفي مختلف العصور، فالمحارب الذي اقتحم على النور وشرب من ماء حتى يطوي وهو في طريقه مباشرا إلى الشيطان [illegible] عليه سببا بالهزيمة والخسران إنما هو محارب فقد الصبر عن الصبر على الأحداث [illegible] العقل وليقينا به القيادة، وقد أخطأ الدليل على دخول المعركة وهو في طريقه إليها على أنه لا يعي الأوامر القائد الأعلى التي اتخذت بل إنه يعصي هذه الأوامر منه الرماة ولا استجاب لقول محمد على حال هذا في الحصول على الغنى، ثم أن عامل أساسي من عوامل الهزيمة [illegible] المحاربين [illegible] الأخلاق والطاعة [illegible] من الذين [illegible] سبب المعركة وهو من الأسباب المباشرة في كل هزيمة لحقت المسلمين، مثل أحد والأحزاب والمعارك التي بعدها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (آل عمران: [illegible])

فحقيقة الهزيمة من أين جاءت هذه المخالفة والرسول [illegible] في

ثم إن هذا الانكسار والهزيمة بسبب مخالفتكم [illegible] الذين خالفتم أمر قائدكم حين أمرتم ألا تخرجوا من الشعب مع أنه النبي صلى الله عليه وسلم أنكر عليكم [illegible] الذين خالفتم وصيته أيها الرماة [illegible] الذي [illegible] بالإيمان [illegible] الذين [illegible] [illegible] الذين [illegible] رسول الله في [illegible] [illegible] من [illegible] في أحد [illegible] [illegible]⁽²⁾

إن الذين [illegible] النصر [illegible] في جانب المسلمين [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمركم ألا [illegible] [illegible] الله الذي [illegible]

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: [illegible])

[illegible] رسول الله صلى الله عليه

---

(١) انظر التفسير في [illegible] [illegible] [illegible]

(٢) انظر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ٣٨٣

وسلم بمقالة أخرى فيذيقهم الله بإذلال لهم القتل والهزيمة عقوبة لهم على مخالفتهم فتحكم بالله الشديد قد يجعل الله المسببات تابعة للأسباب، فقل مكر [illegible] الله ويكشف [illegible] أعلم بما [illegible] ما أصيبوا[1]

[illegible] سورة

التوكل على الرحمن

أولاً: الهزيمة العسكرية.

وإن من سنن الله في خلقه أن جعل الحياة صراعًا دائمًا بين الحق والباطل، ونزاعًا موصولاً بين الأخيار والأشرار، فالحرب سنة طبيعية في التنازع من يوم أن قتل ابنا آدم وهي على ما فيها من شرور ومخاطر لا تخلو من نفع وخير، إذ لولا أن الله يدفع الناس بعضهم ببعض لبسط جبابرتها على جنبات الأرض وسادت الفوضى وعلا الظلم وتمكن الطغاة وأهل المعاصي ولانتشر الظلم وهدمت أماكن العبادة التي يذكر فيها اسم الله كثيرًا فالأشرار من غير أن يقاتلوا ويحاربوا لنشروا أضرارهم وشرورهم وطغيانهم في الأرض، ولكن الله ذو فضل على الناس جميعًا حيث سلط على الظالم من يهده ويهلكه ثم [illegible] ظالم آخر أرسل له من يهلك به وهكذا ينصر الله رسله والمؤمنين وفي قصة المؤمنين من بني إسرائيل مع طالوت ما يدل على تجلي حكمة الله وقدرته بأجلى مظهره فقد هزمت الفئة القليلة الفئة الكثيرة بإذن الله وإرادته هزيمة عسكرية بالقتال.

قال تعالى: ﴿ فهزموهم بإذن الله

---

[1] انظر: كتاب [illegible] ١٤٢٨ [illegible] [illegible] [illegible]

وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ [البقرة ٢٥١].

فالنصر عليهم تم كرامة، وقتل رأس الطغيان وقائد الجبابرة، وانصر جنوده، ثم قل منهم إن لم ولا عجب ففي ذلك ترغيب المؤمنين في الجهاد وتحذير من التخاذل والفرار عند الزحف(١).

والهزيمة هنا تدل على فرار الجند والعسكر خوفًا من القتال عند كسرهم كسرًا أدت بقلبهم من المعركة، وهزيمتهم منها مقهورين مغلوبين، ولا تعني الهزيمة موت كل الجنود بل يعني أصابة الفرار لهم، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم﴾ وهو كسرهم حتى انكسر الذي حربه بطالبه طرد وقتله(٢).

وقال تعالى: ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾﴾ [ص ١١].

أي: هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عز وشقاق سيهزمون ويطردون ويكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين، أخبر الله نبيه وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين، وأسمع الأخبار بدله على مصارعهم في بدر لكفار مكة وأعوانهم سيهزمون، ولا تخلف وعد الله هزيمة وانتقاما(٣).

وقال تعالى: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر ٤٥].

وكان ذلك يوم بدر، والمعنى: هؤلاء الجمع المكذبون سيهزمون ويطاردون ويكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب الذين تحزبوا على الرسل، فذاقوا الهزيمة والهوان وطاردوه، ولأن أهل مكة الذين كانوا والذين يشاركهم نحن جماعة أمرنا منتصر، وأمن جماعة منتصرين، سيهزمون يقينًا فيتطلب منهم هذا بين مجموعهم وصفوف المؤمنين، وهذا من أخبار الغيب، ودلائل النبوة حيث هزمت جموعهم وولوا الأدبار، وأهلكوا من أمام جيش المسلمين، فالله أوجعهم بقتل صناديدهم وبأسر قادتهم من الحرب منهزمين.

وفي الإشارة في قوله: ﴿سَيُهۡزَمُ﴾ إشعار إلى أنهم في الحركة والهزيمة كالشيء الواحد فلا يفلت أحد من الهزيمة ولا يشذ أحد

---

(١) انظر: لطائف الإشارات، القشيري ١/ ١٨١، التفسير الواضح، محمد محمود حجازي ١/ ١٨١، التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ١/ ٥٧٧.

(٢) انظر: المنار، محمد رشيد رضا ٢/ ٣٨٨، تفسير الشعراوي ٢/ ١٠٣٣.

(٣) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٤/ [illegible]، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ [illegible]، التفسير الواضح، محمد محمود حجازي ٣/ ٢٢٠.

أي: الطهر الحلال الطاهر الطيب وقيل: هو الذي يقرب من الله تعالى ويثني عليه ويرضاه ويثيب عليه ويقبله منه، فالله تعالى طيب ولا يقبل إلا طيبا، وقيل: هو الذي لا يخالطه شيء من الأدناس والآفات مما نهى الله عنه، وقيل: هو الذي لا يشوبه رياء ولا سمعة ولا يعجب به صاحبه، وقيل: هو الذي لا يكون فيه شبهة ولا حرام، وقيل: هو الذي لا يكون فيه خبث ولا ريبة، وقيل: هو الذي لا يكون فيه إثم ولا عدوان، وقيل: هو الذي لا يكون فيه ظلم لأحد من الناس، وقيل: هو الذي لا يكون فيه ضرر على أحد، وقيل: هو الذي لا يكون فيه فساد، وقيل: هو الذي لا يكون فيه كسل ولا فتور، وقيل: هو الذي لا يكون فيه غفلة ولا نسيان، وقيل: هو الذي لا يكون فيه ذل ولا خضوع لغير الله تعالى، وقيل: هو الذي لا يكون فيه خوف ولا رجاء لغير الله تعالى، وقيل: هو الذي لا يكون فيه محبة ولا تعلق بغير الله تعالى، وقيل: هو الذي لا يكون فيه شك ولا شرك، وقيل: هو الذي لا يكون فيه كفر ولا نفاق، وقيل: هو الذي لا يكون فيه بدعة ولا ضلالة، وقيل: هو الذي لا يكون فيه معصية ولا فسوق، وقيل: هو الذي لا يكون فيه جهل ولا سفه، وقيل: هو الذي لا يكون فيه بخل ولا شح، وقيل: هو الذي لا يكون فيه كبر ولا عجب، وقيل: هو الذي لا يكون فيه حسد ولا بغضاء، وقيل: هو الذي لا يكون فيه قطيعة رحم ولا عقوق والدين، وقيل: هو الذي لا يكون فيه غيبة ولا نميمة، وقيل: هو الذي لا يكون فيه كذب ولا زور، وقيل: هو الذي لا يكون فيه فحش ولا بذاء، وقيل: هو الذي لا يكون فيه لعن ولا سب، وقيل: هو الذي لا يكون فيه ظلم ولا جور، وقيل: هو الذي لا يكون فيه ريبة ولا شك

عليه وسلم كتاب الله بالتفكر من بين أنواع القوة الخيل، وإنه كانت الخيل في الحروب الماضية تمثل شكلاً يرهب الأعداء ويقهر (الخيل) هو إنما ورد على وجه التشبيه مثلاً؛ لأن الخيل كانت في العهد الإسلامي الأول أهم شيء في الحروب والآن هي وليس للمسلمين عليها قدرة ويستمر في مستقبل الأيام بكل ما يستجد ويجد من أنواع القوى ووسائل الجهاد الفعالة الآن والأمر إنما هو بإعداد القوة التي لا تنتهي والاستعداد التام للمعركة على الدوام[1].

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

ثانياً: القوة النفسية

كتاب الله عندما يتحدث عن القوة ويدعو المسلمين إلى إعدادها بكل الوسائل لا يقصد بذلك القوة بمعناها المادي المجرد وحصره فقط في الآلات والأدوات الحربية، وإنما يقصد بمعناها الشامل الذي هي في كل جوانبه بل إن القوة الروحية مثله بالنسبة إلى القوة المادية تعتبر كالجوهر بالنسبة للعرض، والروح بالنسبة للجسد، فالقوة الروحية في نظر الدين والأخلاق والروح المعنوية العالية في نظر المختصين من رجال الدراسات النفسية والأبحاث العسكرية هي سر كل قوة وأساس كل نصر. وبدونها تضطرب القلوب وتنهار الأعصاب وتصبح الهزيمة من كل جيش قاب قوسين أو أدنى. ولكن إذا كانت قوة الإيمان بالله وتقوى الله هي عماد الإسلام في نظر القرآن فالأمة التي تتصف بهذه بالشجاعة والصبر والتماسك، ويوفقها ما وعد الله بالغلبة على الكافرين[2].

وإن الأسلحة وحدها ولو كثرت لا تغني الأمر شيئاً، ولكن بالنفس فلا تضعف ولا تخور أمام المستقبل على ... الحرب والأعداء وبسالة وتضحية وثبات على الحق والمؤمن قوي ... ما أورده القرآن الكريم في قصة طالوت وجالوت فهذه مقارنة بين الهزيمة النفسية والمعنوية العالية بين أصحاب الإيمان والمؤمنين الصابرين.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: 249)

---

[1] انظر التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (1/ 21).

[2] انظر: المصدر السابق (1/ 21).

لما ابتعد [illegible] العير مع [illegible] مسرعاً على الساحل بالعير، ولما أصبحوا على مقربة من جيش المسلمين كان قرارهم [illegible] القتال.

فلما رأوا [illegible] الذي [illegible] اطمأنوا لكثرة عددهم والعتاد، والمطر [illegible] [illegible] الغنائم، [illegible] [illegible] حسب من الذين [illegible] [illegible] الأمر [illegible] لا [illegible] [illegible] ولا [illegible] إلا بمحقية الأعداء، ومقاتلتهم فضلاً عن الغنائم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولم [illegible][١]

[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأمر [illegible] من [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][٢]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الأمر إليهم [illegible] [illegible] [illegible] على الدنيا [illegible] [illegible] بما عند الله، فلا [illegible] إلى ما [illegible] من أمل [illegible] [illegible] ولم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكان [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] أكثر من [illegible] الذي لا [illegible] [illegible] على [illegible] ولا [illegible] إلا [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible][٤]

[illegible] الشوكة: القوة، الأسنة، السلاح.

[illegible] [illegible] [illegible] الشوكة إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible] غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]

أي: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] ما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

[١] تفسير [illegible] بن سليمان [illegible]

[٢] انظر: التفسير الواضح، محمد محمود حجازي [illegible]

[٣] انظر: الكشف والبيان للثعلبي ٣/٣، وأيسر التفاسير للجزائري [illegible] ٢٢٨

[٤] انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب [illegible]

لزمهم أن يصل الذين يراسلهم بهذه الدعوة مكتوبة مختومة بختمه وكتابا يأمرهم أصحابهم الكرام، وليهيئ لكل الذين من عادتهم ومطاويهم أن يصيبهم ما أصابهم وعليه من تراك التطاولات والجفوة الشرعية على الصحابي كما سبب الإرشاد من ثم يصل الصحابي ولا يزعر لين ما كان أن لا يطيعوها[1]

فالمطلوب أنه لمنعهم بلوا ويعينه خالدا حتى لا يفكر في [illegible] من [illegible] ممن هو على حال بأسهم في العالم الإسلام كله بعضهم أو [illegible] يطوف بينهم في [illegible] ولا تصادمهم التسليم في أنه يستعينا في التحرك وبذلك في الدولة [illegible] بتحرك السياسة ولا يفكروا مرة [illegible] في حرب خلقا لأنهم سوف بالتربية ما [illegible] لهم ولكنهم ليتحجوا عن مواضيعهم ولا يحصر عليك يجمعهم أسس [illegible] والعالم بعطائهم[2] وبهذا الإرشاد الشرعي في استعمال القسوة مع المسلمين والكافرين لعموم [illegible] على عن تراك الحروب في هذا العصر أي أرق بهذا الذي ألمتهم به من بلاء وبذلك كل مجتمع الضلالات رجل من بيت [illegible] المسلمين كل من [illegible] الله بطريقة عهد المسلمين من بعد تلك القرية التي ترك [illegible] الطاغي [illegible] الآية [illegible] من بلاء [illegible] بها على الآية الكريمة لمن أحكم الإنسانية التي [illegible] إلى وجوب أنها المسلمين على [illegible] والمعهم العبيد أمثاله [illegible] حتى يأتي المجتمع الإسلامي كله بالعادل [illegible] العلم [illegible] الآية الكريمة ترسم صورا بليغة للأعمال الصريح [illegible] الترهيب الذي يلقى [illegible] به الحروب [illegible] علما بأن من يصل به هذا الأطفال [illegible] تالي لمن الله عنه وسطوته[3]

[illegible] أمر بالعدالة المطرقين كلا في ساحات المعركة من [illegible] وأهله وذلك لكونه [illegible] المسلمين [illegible] المعركة التي [illegible] حرب بالترهيب عن التأثير على [illegible] الأعداء [illegible] الصحيحة وذلك يظهر من قوله تعالى ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ [الأنفال: ٦٧].

فالإرهاب هنا القتالي وذلك حتى العظمى في الحرب والتمادي، فلا تعود به

---

[1] انظر: [illegible] الرحيمي [illegible] ص ٢٢٢.

[2] انظر: [illegible] الحكيم الشيخ محمد رشيد رضا [illegible] المنار ج٢ ص ٢٣٢.

[3] انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب [illegible]، التفسير الوسيط، سيد طنطاوي [illegible].

كبيرا على نفوسهم أو يفتح الثغرة لهم الثقة الأعداء والسيطرة الكاملة تصير لهم في مواقع القوة المطلق على الأعداء ثم يستطيع هؤلاء الأعداء النيل والنصر في القتال إلا [illegible] لأن الجبناء والمرء إنما يقوى وأشد بالقتال ويكون أقوى القتال برعبه الرعب وشدة النهاية ولذلك يمنع الأعداء من الجرأة والإقدام على حرب المسلمين الآمنين الذين لا [illegible] في رعب الأعداء(١)

لذلك ربى القرآن المؤمنين السعي في إضعاف الرعب في قلوب الأعداء لأن ذلك سيدخلهم انسحابا وهروبا إلى الهزيمة العسكرية التي يصنعونها والمعارك الحسم والمواجهة.

قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ⓵⓹⓵﴾ [آل عمران: ١٥١].

قال البيضاوي في تفسير هذه الآية: (يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب فلما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم فألقى الله الرعب في قلوبهم حتى لا أحد يخاف من الإسلام إلا بقي في قلبه خوف ورعب)(٢)

ولذلك نرى القرآن الكريم أن التربية النفسية تورث أصحابها الثقة والشجاعة والصبر عن مواجهة الأعداء وهذا يظهر كما قال تعالى على لسان أصحاب موسى الذين أحسوا من القوم الجبارين: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ⓶⓸﴾ [المائدة: ٢٤].

فلا غرابة في إحساسهم من الشعب لأنه قوم لم يروا في أنفسهم الثقة والإحساس بالقوة العددية ولا بالقوة النفسية والمعنوية(٣)

وهذا يظهر الفارق بين سائر الأمم وأمة محمد صلى الله عليه وسلم التي تربت على الثقة الإسلامية وتربوا من لدن القرآن الكريم حيث قال الصحابة له حين شاورهم في القتال يوم بدر: يا رسول الله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك وما تخلف منا أحد ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما

---

(١) انظر: فخر الدين [illegible]، [illegible]، في ظلال القرآن، سيد قطب، [illegible]

(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي، [illegible]

(٣) انظر: التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، [illegible]

مخاطرها.

خامساً: لقد تناول القرآن الكريم موضوع الإشاعة وخطورتها.

قال تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ الأحزاب: ٦٠.

والإرجاف من الرجف بمعنى الزلزلة وسمي بذلك لإحداثه الاضطراب والزلزلة في المجتمع وفي الحرب النفسي والمعنوية: هم الذين يثيرون الشائعات الكاذبة ويطلقون الأراجيف المصطنعة [illegible] ويقال أن أناساً منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله يوقعون في الناس أنهم قتلوا وهزموا ومن الغالب الذي كان يلجأ أهل النفاق [illegible] ومحاولة بوجوده من الأعداء ويحاولون بإثارتهم وإرجافهم وإضعاف المسلمين وتكثيرهم بذلك الرعب الروحي لإضعاف عزيمتهم ويزلزلوا بصورة أن يأخذوا الأخبار (١).

ويمثل الإشاعة طريقاً خطيراً لتسلل الحرب النفسية لأنها سريعة الانتشار [illegible] أكثر سرعة وتترك بصمة وتعطيها بعد الفكرة النفسية كل طابع وتجلب للعقل بمصطلحه الأخبار سريعاً في أوساط جانب المسلمين، وإظهار الفرقة المشركين وظهورهم عليهم، والإشاعة التي تقتل بالخوف والاضطراب، وتصطف من مجريات الجماعة ما يسهل عليهم وانتصار الأعداء عليهم، وتقتل فيهم روح الإقدام(٣).

كما يقوم [illegible] المنافقين ويستعملوا أسلوب الحرب والتشكيك والإرجاف، والأخبار في ظل الأمم المتحدة التي لا تعرف الرحمة مع الجواسيس والمخربين على الدولة التي يقطعونها من الطاعات ويحاولون مع [illegible] الله مع المنافقين وأصحاب الإشاعات في كل زمان(٤).

سادساً: ضرب القرآن المثل بأن الله [illegible] والبيان ووعد الله على البرهنة النفسية، وقد حدثت القرآن عن بأنه في قصة موسى مع بني إسرائيل حيث ومثل قلوبهم ونفوسهم إلى حد لم يقدموا معه القتال، واستجابوا للحرب، وأثاره السامعين مصرحة مكرراً بالحرية والشك

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، السعدي ص ٦٦٨

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/٣١٤٤)، [illegible]

(٣) انظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي ٢٢/١٧

(٤) انظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي ١١/٢٤

قال تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩].

فقد استعظموا الصبر والرضى حتى يكرهوا ما وعدهم به موسى من زوال ما حل لهم العذاب ولم يصبروا على هذه الفترة التي أطمعهم فرعون بعد وأكثر اللوم والسخط على موسى(٣).

وهذه هي طبيعة الإسرائيليين، فقد كان دعمهم يدلّ على سخطهم لهذه [illegible] [illegible] لم [illegible] من رسالته [illegible] التي حتى تصبح تلك المصالح التي لا يحترمون ورائها(٢).

[illegible] القرآن حقّاً [illegible] يعالج مشكلة الهزيمة النفسية [illegible] على الشعور بروح الثقة بالله والاستعانة به على ما يجري للإنسان من عوامل نفسية [illegible] إلى [illegible] المؤمنين الذين [illegible] إلى ما عند الله وإلى الدار الآخرة لا تكسر نفسياتهم ولا تقتل فيهم الروح.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

فهذا الإرشاد إلى ما أرشدنا به غاية ما يكون في هذه الحياة [illegible] [illegible] ما نسعى أن نحكم به ونقضي بوزنك ولا [illegible] الله ولا [illegible] لنا في الحياة [illegible] بخلاف [illegible] الله لمن استمر على كفر [illegible] [illegible] [illegible] ورسالته في هذه الحياة الدنيا [illegible] من [illegible] ونحن [illegible] في [illegible] القدر [illegible] بسبب [illegible] على الإسلام وذلك من الحرص على الإسلام والدين والإيمان بالله ورسوله [illegible] [illegible] أيما عند الله(١).

استخدام الصحافة والإذاعة في الحرب النفسية التي يشنها الأعداء على الأمة العربية فهي لها أثر كبير في تشكيل الهزيمة [illegible] [illegible] في الأرواح والمعنويات [illegible] الحرب [illegible] من أشد ما كان [illegible] الإذاعة الكاذبة التي استهدفت [illegible] الفكر والقلب والعواطف التي تحطم الروح المعنوية [illegible] [illegible] [illegible] من أثر الحرب النفسية لكن كثيرا من الأمم استسلمت لأعدائها قبل أن تخوض حروبها [illegible] والعدة ومن أعظم الدروس التي نستخلصها من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صراعه مع الأعداء هو استخدام العامل النفسي في الصراع [illegible] الأحداث [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأعداء [illegible] [illegible] مواجهة قوة المسلمين.

---

(٣) انظر: الكشاف والعرفان المبين، ٢/ ٥٢٥، لباب التأويل في معاني التنزيل، ٢/ ٢٢٨، [illegible] البيضاوي، ٣/ ٥٥.

(٢) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ١/ ٢.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٤٢٣، تفسير القرآن [illegible]، ١/ ١٢٣.

أولاً: الهزيمة

الهزيمة لغة في [illegible] طلب [illegible] نؤكد أنها ما يحدث من الآثار المترتبة على نفوسهم ومعنوياتهم ونفسياتهم فالهزيمة العسكرية لا بد أن تترك أثرا نفسياً يصاحبه شعور داخلي بالإحباط في سهولة في المستقبل وتعتبر هذه الهزيمة عبارة عن نوع من التراجع النفسي وصولاً إلى الشعور بالعجز أما إذا كانت هزيمة مكثفة بالعجز من الأرض ومن النفس الإنسانية وهذه هي الشدة أكثر والعظيم وتؤدي إلى الذلة والاستسلام وتؤدي إلى مقابلات المستقبلية الآتية والتحرج والتوقف وعدم الشعور الأخرى.

تناول القرآن الكريم معنى وأثر الهزيمة بالمسلمين أراد لهم العلم والاستفادة من المواقف التي واجهوا فيها وسكونهم من حالة الركود إلى اليأس والقنوط من تحقيق وعد الله لهم وهذا ما سنظهره من خلال دراستنا هذه المبسطة التي تبين آثار الهزيمة في القرآن وما هي معالجات القرآن لها بشكل موجز ومقتبس من الآيات القرآنية.

ومن هذه الآثار:

١- الشعور بالعجز خلال المعركة وبعدها:

قال تعالى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: ١٥٣)(١).

فالغم الأول هو أنهم عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة أمره فعاقبهم الله بذلك الغم الثاني وهو القتل والهزيمة جزاءاً لهم على عصيانهم فصاروا مغمومين بعد ذلك إما لعجزهم عن القتال والهزيمة والفرصة الضائعة منهم.

٢- الشعور بالتحسر في الإحباطات المقابلة للهزيمة قبل المعركة أو بعدها

فالناس في كل زمان يعيشون في الأحلام والطموحات فهم يعتقدون النصر مسألة إلهية حاصلة للمؤمنين مهما كان تقصيرهم وتهاونهم ويهملوا ما تقتضيه متطلبات الحروب مع العدو، فهم متكاسلون عن القتال والجهاد وحمل السلاح فإذا ما جاهدوا وصبروا وإذا أيقنهم العناية الإلهية وأخطأ فهم النصر والتمكين من الله، حيث لما تحقق النصر للمؤمنين ما عقدوا على العمل الإلهي، وفي ميادين المعارك سيكونون متقاعسين منهزمين [illegible] طرائقهم وأما الجبن والضعف والخوف والتراجع والأطماع الشخصية هي أسباب الخذلان والهزيمة المنكرة وتؤدي بعد ذلك الشعور على ما تقدم وهذه صور القرآن الكريم ذلك في معركة أحد التي بداية المعركة صدق الله وعده للمؤمنين وأراهم

---

(١) [illegible] ٣٣

الكبير حين خرج صاحب لواء المشركين وقتل معه سبعة آخر، وولى العسكر الأدبار [illegible] فلما عصى المسلمون [illegible] أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالثبات على الجبل ومخالفتهم [illegible] والقتل والهزيمة والفرار فحصلوا على [illegible] بعد [illegible] درجة الشهادة.

٣- التمحيص

قال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤]

والتمحيص: الابتلاء [illegible] بالخير والشر [illegible][1]. قوله تعالى ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ يعني [illegible] لأن الله تعالى قد وعد المؤمنين على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أنه [illegible] الكفار [illegible] ما وعد لهم[2].

وقال الإمام الرازي في تفسيره: [illegible]

المؤمنين في أيدي المؤمنين [illegible] فلما حصل الظفر لهم بسبب [illegible] حصل النصر للمسلمين بسبب [illegible][1].

مناسبة [illegible] الربا لغزوة [illegible]

[illegible] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٠-١٣١]

ومن [illegible]

٤- [illegible]

من مناسبات [illegible] القرآن الكريم [illegible] في سورة آل عمران [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

[1] انظر: التفسير الكبير [illegible]

[2] انظر: [illegible] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]

[3] تفسير [illegible]

[1] مفاتيح الغيب، الرازي، [illegible]

عمران: ١٢٤]

وقوله: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ١٢٦]

فيها امتنان بالإمداد الأسمى وهو المدد الغيبي بالملائكة حتى يزداد [illegible] المقاتلة بالقلوب، فالإمداد [illegible] مسلمين بالكثرة المعلومة من أصحاب [illegible] وليس كما يظن البعض بالإمداد [illegible] من [illegible] الأعداء تدل على [illegible] أو [illegible] وجعلها من أسباب تحمل الله على وجه النصر في معركة [illegible] والشهادة في [illegible] العاجل[١]

٢- إنزال السكينة

من معطيات القرآن الكريم الأثر [illegible] الهزيمة في غزوة أحد بعد الفرار والتولي هو إنزال السكينة عليهم بعد الذي أصابهم [illegible] بعد الغم والترح في ساعاتهم [illegible] والاضطراب، وهذا الأمر يسلم إلى الهزيمة التي لا [illegible] مهما كانت [illegible] المسلمين أن يعرفوا أن [illegible] كانوا عليه [illegible] في [illegible] الهزيمة [illegible] لا يكون [illegible] يصح أن يقع من المسلمين في ميدان القتال.

والله، وقوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

فلم يسلم هذا الذي [illegible] بالفرار من المعركة، وهو يعلم حكم الله فيمن يفر يوم الزحف، [illegible] الذي حدث في أحد المسلمين [illegible] الأدبار، ومن ثم كان هذا الأمر منهم [illegible] ما كان [illegible] أن يكون في ميدان القتال، ولكن معطيات القرآن الكريم [illegible] إذ أنزل الله سكينته عليهم وأزاح ما كان قد استولى على قلوبهم من خوف وهلع، وأنفسهم [illegible] كانوا [illegible] قوة عالية [illegible] تكاد تهم النصر والظفر[٢]

٣- التطهير من الانتكاسات والإحباطات

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: [illegible]]

التصوير الأول ما حدث بعد معركة أحد من [illegible] في الأنظار، وما تخلف عن المعركة من المنافقين المتظاهرين بالإسلام واليهود [illegible]

---

(١) انظر: التفسير [illegible] ج٢ ص٢٢٦

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٦٣

ما أصاب المسلمين من هزيمة، وأظهر خطورة من [illegible] [illegible] [illegible] العهد مع محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مشركي قريش [illegible] [illegible] [illegible] في الأحزاب [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الهزيمة.

[illegible] إلى هذه الحكمة [illegible] في [illegible] من الإشاعات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الإشاعة [illegible].

والله [illegible] على [illegible] المؤمنين [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإشاعات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإشاعة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] الآية في [illegible] التي [illegible] [illegible] من المسلمين إثر الهزيمة [illegible] الإشاعات [illegible] هم الذين [illegible] [illegible] من [illegible] هذه الأخبار [illegible] [illegible] ولا [illegible].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣]

والمراد من هذه الآية [illegible] [illegible] أمر الأمن [illegible].

[illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible]

[illegible] التفسير الوسيط [illegible] [illegible]

الضعف والفرقة لدى المسلمين، ويكشف عن عيوبهم ومساوئهم في هذه الأحوال الصعبة، بغض النظر عن تهويله، لأن كثيرا للنصر قد يؤدي إلى التواكل والاسترخاء ولا يأخذ المسلمون حذرهم ويصبحوا [illegible] فريسة سهلة للأعداء، وأشير إلى غزوة [illegible] في [illegible] [illegible] الروح المعنوية [illegible] الجيش [illegible] الأعداء(1) [illegible] القرآن [illegible] ويساعدهم [illegible] ومرشدين.

قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ⑩﴾ (الأحزاب: 10)

2- الروح المعنوية المنخفضة:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ②﴾ (الحشر: 2)

فقد كانت غزوة أحد التي جرح فيها جيش المسلمين أثر عميق في النفوس المنافقين واليهود والكفار من قبائل العرب، ومنذ ذلك [illegible] على [illegible] [illegible] الرسول [illegible] [illegible] [illegible] من خيار الصحابة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، فقنت شهرا، وقد ذكر البخاري في صحيحه القصة كاملة(1) وكانت في سرية أولها قتل من المسلمين أربعون غيلة، ويوجد المشركون واليهود بها أصحاب المسلمين في بئر معونة وبالرجيع وقتلوا أشد ما استطاعوا على الآخرين من صحابة محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه، وهز النبي صلى الله عليه وسلم كثير في هذا الأمر فغضب أشد غضب في النفس وأبلغهم من المخبر [illegible] بذلك على الروح المعنوية للمسلمين حتى لا يكون هناك خلل في روحهم المعنوية وما سواها(2).

والمعنى أن الروح المعنوية [illegible] في [illegible] الضعف والانهزام [illegible] [illegible] القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ [محمد: 35].

وقال في موضع آخر: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة: 8).

حتى وإن كانت الموادعة بصيغة الصلح

---

(1) أثر القرآن التربوي، سيد قطب، [illegible]

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة، وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه، رقم 4088، 4/1499.

(2) أثر القرآن التربوي، محمد حسن سيد، ص 7.

الذين لم تحقق الحياة لهم الأمنيين.
قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

الجهر بالسوء

[illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] في الاستعمال القرآني [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible]

أولاً: المعنى اللغوي

الهاء والميم أصل صحيح يدل على ذوب وجريان ودبيب وما أشبه ذلك ثم يقاس عليه [illegible] وأما الهم الذي هو الحزن فمعناه من هذا القياس لأنه كأنه لشدته يهم أي يذيب، والهم ما هممت به وكذلك الهمة [illegible] الملك العظيم [illegible][1]

[illegible][2]

ثانياً: المعنى الاصطلاحي

الهم: عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر[3]

وقيل: الهم دواعي الإنسان إلى الفعل من خير أو شر[4]

[illegible]

فالمعنى الاصطلاحي راجع إلى أحد المعاني اللغوية وهو الإرادة.

---

[1] انظر: [illegible]

[2] انظر: [illegible]

[3] التعريفات للجرجاني ص[illegible]

[4] [illegible]

لفظ (عربي) في الاستعمال القرآني

ورد اللفظ (عربي) في القرآن الكريم (١١) مرة[1]

بالصيغ التي وردت في:

[illegible]	[illegible]	[illegible]
الحقل السياقي	٨	﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]

وجاءت العربية التي في القرآن بمعناها في اللغة ... [illegible] ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة: ٣٧] أي [illegible][2]

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص [illegible].

[2] انظر: [illegible]، ص [illegible].

[illegible]

القدرة

القدرة لغة:

القدرة: القوة على الشيء والتمكن منه، والغنى واليسار، يقال: رجل ذو قدرة أي يسار وغنى(1).

القدرة اصطلاحًا:

الصفة التي تمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة(2). والقدرة: صفة تؤثر على وفق الإرادة(3).

الصلة بين الهمة العالية والقدرة:

الهمة: إجماع النفس على الأمر والإزماع عليه، وتسبقه بكونه بالقدرة، وهي القوة على فعل الشيء، فقد يحصل الهم بالشيء، ويحتاج صاحبه إلى القدرة على تحقيقه.

العزم

العزم لغة:

العزم على الشيء: عقد ضميره على فعله، وعزم عزيمة: اجتهد وجد في أمره(4).

العزم اصطلاحًا:

العزم: عقد القلب على إمضاء الأمر(5).

الصلة بين الهمة العالية والعزم:

الهمة: إجماع النفس على الأمر والإزماع عليه، والعزم: عقد القلب على إمضاء الأمر(6).

فالهمة أقل من التصميم على الفعل بإرادة والوعد، والعزم: تصميم وإرادة لأداء الفعل.

---

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور (٥/٧٤)، مختار الصحاح للرازي ص ٢٤٨، المصباح المنير للفيومي ٢/٤٩٢.

(2) انظر: التعريفات للجرجاني ص ١٧٤، الكليات للكفوي ص ٧٠.

(3) التعريفات للجرجاني ص ١٧٤.

(4) المصباح المنير للفيومي ٢/٤٠٨.

(5) المفردات للراغب ص ٥٦٤.

(6) الكليات للكفوي ص ٩٥.

[illegible]

ورد في القرآن الكريم مثلاً [illegible] الهم والكرب يصيبهم في القتال وفي الأحداث، وفي مجابهة العدو، والهم يصيب الرسل والأنبياء ومن اتبعهم [illegible] أيضاً، كما يأتي:

أولاً: الهم في ميادين القتال:

إن ساحات القتال من أعظم المواطن التي يظهر فيها صدق الصادقين؛ حيث تتصل [illegible] والتطلع الرهيب، ولا يثبت إلا كل من يعرف الموت كما يعرف السلامة، ليظفر بجهادهم في سبيل الله، في هذا الموطن الصعب [illegible] النفوس بحرارتها، تمتلئ [illegible] من المخاوف والقلق والهم والكرب، أما الكافر والمنافق [illegible] السيئة، وأما المؤمن فعلى أمر استعانته بالله [illegible]، وفي يوم أحد كان [illegible] من المؤمنين [illegible] كما قال صاحب الظلال: «لم تكن معركة في الميدان وحده، إنما كانت معركة كذلك في النفس»[1].

قال تعالى: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [آل عمران: ١٢٢].

والطائفتان هم بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الأنصار، هموا بأمر فعصمهم الله من الفشل، وكان همهما الذي هما به من الفشل: الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، حين انصرف عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بمن معه[1]، [illegible] هذا الانصراف إلى ضعف القلب البشري أو لرهبة الناس والقتال.

والفشل في اللغة: الإخفاق، وفي العرف: الجبن والخور، وفي الرأي: العجز والفساد[2].

وهذا الهم إنما هو حركة قلب عند من [illegible] ولكن علم الله [illegible] أن همهم بالفشل حركة على الرجوع عن لقاء المشركين يوم أحد، وترك النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ثم لم يفعلا، أو كان همهم بالفشل مجرد حديث النفس خطر على الخاطر.

فظاهر الآية يدل على أن همهم هنا كان حركة على الفشل والترك، ولعل الصواب أن الهم هنا معناه العزم غير الجازم، [illegible] وحديث النفس، ولم [illegible] حركة على الفشل، ودليل ذلك [illegible]

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

[1] انظر أسباب النزول في بيان الأسباب، ابن حجر ٢/[illegible]، جامع البيان للطبري ٣/١٦٨، والمراد ببني [illegible] الأنصار [illegible] ابن عباس والحسن [illegible] والسدي [illegible] كما ما ورد أنه يوم الأحزاب [illegible] لا يعول على [illegible] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/٩٢.

[2] المعجم المفصل في [illegible] ٢

﴿[illegible]﴾ وإنما قاله لهما دلالة على عدم بلوغ العزم على ترك النبي صلى الله عليه وسلم والعزم معصية.

قال الرازي: الهم قد يراد به العزم ويراد به الفكر، ويراد به حديث النفس ويراد به ما يظهر من القول الدال على إرادة العزم وكثرة حديثها لأن أي شيء ظهر من هذا المعنى صح أن يوصف من ظهر ذلك منه بأنه هم بأن يفعل من حيث ظهر منه ما يوجب الضعف القلبي[1]

ويرى الشيخ الشنقيطي بأن معنى الهم يوسف عليه السلام الذي هو خاطر قلبي صرفه عنه وازع التقوى، لأن قوله ﴿إذ همت طائفتان﴾ يدل على أن ذلك الهم ليس معصية لأن اتباع المعصية بولاية الله لذلك العاصي إغراء على المعصية، والعرب تطلق الهم وتريد به المحبة والشهوة[2]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا. ولما الهم غير مؤاخذ به إذ ليس بمعصية إنما هو ترجيح من غير عزم، ولا شك أن النفس عند ملاقاة الحروب ومن [illegible] عليها [illegible] وأكره [illegible] بعض الضعف من [illegible] لم [illegible] على القتال [illegible] والشهادة[3]

﴿إذ همت طائفتان﴾ أي أضمرتا على الفشل الهم النفساني الذي [illegible] بسبب ما قاله المنافقون [illegible] الله [illegible] من قبل ما همتا به[4]

[illegible] في الآية على ما ذكر [illegible] حديث النبي [illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الصحابة والرعب لم [illegible] سبحانه [illegible] على أن الهموم [illegible] أعظم من [illegible] وهم الجبن والانصراف عن المعركة التي [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي موقف عظيم حسب للمسلمين في ساعة الحرب هم [illegible] الهم في موقف [illegible] عن [illegible] رضي الله عنه [illegible] الله عز وجل [illegible] في النبي الإسلام [illegible] على المواقف كلها على [illegible] النفس [illegible] في النبي في [illegible] التي خرج رسول الله إلى الصحابة [illegible] في قتل المشركين [illegible] رسول الله في أصحابه [illegible]

---

[1] مفاتيح الغيب، الرازي، ج٣، ٢٣٧.
[2] أضواء البيان، الشنقيطي، ج[illegible]، [illegible].
[3] المصدر السابق، ج٣، ٢٣٨.
[4] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج[illegible]، [illegible].

[illegible] أن يصلي بأصحابه الظهر [illegible] [illegible] لم [illegible] [illegible] في غزوة [illegible] على ما في [illegible] من [illegible] بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف [illegible] الرجل معترفا[1]

[illegible] لم [illegible] على الأمر [illegible] [illegible] في الصلاة [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] هذا الأمر [illegible] في الإسلام [illegible]

[illegible]

ثالثا: الهم في ميادين الأخلاق

إن تربية المسلم نفسه على التحلي من [illegible] ما يجب عليه [illegible] وتزكيتها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24].

همت امرأة العزيز بالمعصية [illegible] أما هم يوسف عليه السلام [illegible] المفسرون [illegible] [illegible] يوسف عليه السلام [illegible]

- إنه هم بها [illegible] [illegible]
- أن قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [illegible] ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [illegible][2] [illegible]

---

[1] أخرجه البخاري في [illegible] خالد بن الوليد رضي الله عنه [illegible] وانظر أسباب النزول [illegible] في أسباب نزول القرآن [illegible]

[2] [illegible]

فكذلك يؤيد هذا القول أن العرب لا تقدم جواب (لولا) قبلها لا تقول: لقد قمت لولا زيد، وهي تريد لولا زيد لقد قمت، هذا مع خلافها جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين عنهم يؤخذ تأويله(1).

● هم يوسف بالمرأة والذي عزم عليه لم يكن عزمًا ولا إرادة، وإنما كان ميلاً(2) بين الفعل والترك، ولا حرج في حديث النفس إذا لم يقترن به عزم ولا فعل، وأصل الهم: حديث النفس حتى يظهر فيصير فعلاً(3).

● أنه هم بمواقعتها وعزم عليها(4)، وقال ابن عباس: سئل عن هم يوسف ما بلغ؟ قال: حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن(5).

● أنه لم يقع منه هم بها ألبتة(6).

وظاهر الآية الكريمة قد يفهم منه أن يوسف عليه السلام هم بأن يفعل مع تلك المرأة مثل ما همت هي به منه، ولكن القرآن العظيم بين براءته -عليه الصلاة والسلام- من الوقوع فيما لا ينبغي، والقول هم يوسف بأنه الهم ولم يعزم بالفعل، كقول العرب: [illegible] أو لم [illegible] فيه، والقول الميل النفس [illegible] أو هم بضربها من [illegible] ذلك هو الظاهر بل يدل من الظاهر ولا دليل عليه(1).

والقول الراجح في ذلك هم عليه السلام على ما رجحه أهل العلم من وجهين:

الوجه الأول: إنه خطرة هم يوسف بها خطرة قلبية مع نوازع الطبيعة وذلك ناشئ عن الميل الطبيعي والشهوة الغريزية المزجورة بالتقوى، وهذا لا معصية فيه لأنه أمر جبلي لا يتعلق به التكليف كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك(2) يعني ميل القلب الطبيعي.

---

(1) جامع البيان للطبري [illegible].

(2) التسهيل لابن جزي [illegible] حديث أبي [illegible] الدليل عليه [illegible] العرب [illegible] لأنه [illegible] أنه [illegible] على أن [illegible] القرآن المرسد إلى الأصل من [illegible] الأجوبة [illegible] الفتح القدير [illegible].

(3) انظر: جامع البيان للطبري [illegible].

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible].

(5) انظر: جامع البيان للطبري [illegible].

(6) البحر المحيط [illegible].

(1) أضواء البيان [illegible].

(2) أخرجه الترمذي في سننه كتاب النكاح باب ما جاء في التسوية بين الضرائر رقم [illegible]، وأبو داود في سننه كتاب النكاح باب في القسم بين النساء رقم [illegible]، والنسائي في سننه كتاب عشرة النساء باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض رقم [illegible]، وابن ماجه في سننه كتاب النكاح رقم [illegible]، وأحمد في مسنده رقم [illegible].

وبذلك جاءت [illegible] السلام [illegible] إلى الله البارئ مع أن الهوى [illegible] من الحرب وهو صاحبه، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: «من هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة»(1) لأنه تركها لله [illegible] خوفًا من الله وعملاً(2) لأمره كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

قال شيخ الإسلام: «وأما قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فالهم اسم جنس تحته نوعان كما قال الإمام أحمد: الهم همان: هم خطرات وهم إصرار. وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد إذا هم بسيئة لم تكتب عليه وإذا تركها لله كتبت له حسنة وإن عملها كتبت له سيئة واحدة وإن تركها من غير أن يتركها لله لم تكتب له حسنة ولا تكتب عليه سيئة. ويوسف صلى الله عليه وسلم هم همًا تركه لله ولذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء لإخلاصه وذلك إنما يكون إذا قام المقتضي للذنب وهو الهم، وعارضه الإخلاص الموجب لانصراف القلب عن الذنب لله، فيوسف عليه السلام لم يصدر منه إلا حسنة يثاب عليها، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]»(3).

الوجه الثاني: وهو القول في سياق أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم البتة، بل هو منفي لوجود البرهان.

المسلك [illegible] قول [illegible] يقولون [illegible] العصمة [illegible] يوسف ما لا يجوز نسبته لأحد الصالحين، والقول [illegible]: أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: قد [illegible] لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إن جواب (لولا) مقدم عليها، ولذا [illegible] لا يجوز [illegible] على [illegible] بل [illegible] [illegible] شرط البلاغة [illegible] في سورة [illegible] عليه، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد بل قالوا: إن جواب (لولا) محذوف لدلالة ما قبله عليه كما يقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه: إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم بل هو مثبت على تقدير

والصحيح [illegible] بالإطلاق.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، رقم (٦٤٩١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، رقم (١٣١).

(2) [illegible]

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية [illegible]

وهو [illegible]، وكذلك [illegible] (لولا أن رأى برهان ربه [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] البرهان [illegible] البرهان [illegible] كذلك [illegible] على [illegible]. أما قوله: [illegible] لسان العرب [illegible] كما ذكر [illegible] من [illegible] في [illegible] في لسان العرب كقوله تعالى: ﴿إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ [القصص: ١٠].

فقوله: ﴿إن كادت لتبدي به﴾ إما أن يكون على أنه الجواب على ما [illegible] إليه [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] لولا أن ربطنا على قلبها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] بالمعصية[1].

وذكر أهل العلم [illegible] بالله [illegible] عدة أدلة على [illegible] من [illegible] يوسف عليه السلام، منها:

أن يوسف [illegible] من [illegible] ولا [illegible] [illegible] في الآية.

[illegible] الله ذكر عن أنبيائه عليهم السلام [illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible] الأولى [illegible] لم [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] منه [illegible] [illegible] بل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible].

[illegible] [illegible] لم يذكر الله عنه [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] بل قال: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ فأخبر أنه صرف عنه السوء والفحشاء، وهذا يدل على أنه لم يصدر منه سوء ولا فحشاء[2].

٣- أن الله عز وجل ذكر أنه صرف عنه السوء.

[illegible] في [illegible] الآية: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ [illegible] من المخلصين، وهي إما بكسر اللام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]!

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رب العالمين [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] مع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الآية تدل على [illegible] من

---

[1] انظر: البحر المحيط [illegible].

[2] التفسير الكبير، ابن تيمية [illegible].

وجه آخر: [illegible] [illegible] إلا [illegible]. هب أن هذه الآية لا تدل على أن هذه المعصية [illegible] إلا أنه لا شك أنها فيه المدح العظيم والثناء البالغ، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكي عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ثم إنه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح والأثنية عقيب أن يحكي عنه ذلك الذنب العظيم(١)

٣- أن القرآن أكد عصمته.

فقد أكد القول بـ [illegible] [illegible] القسم ليفيد أنها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فيما يليه لا محالة، والمقصود من [illegible] [illegible] به [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] القرآن بين [illegible] في [illegible] أنه معصوم(٢) [illegible] [illegible] [illegible] دلالة على التأويل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ومن لم يهم أصلاً.

٤- أن كل من كان له تعلق بتلك الواقعة شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية.

ومن له تعلق بهذه الواقعة: يوسف عليه السلام وتلك المرأة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب وإبليس أقر ببراءته أيضاً عن المعصية(٣) ولا شهادة بعد شهادة القرآن ليوسف عليه الصلاة والسلام.

ويعلق [illegible] [illegible] لعلم أن يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بريء من [illegible] فيما لا ينبغي [illegible] إذ أنه [illegible] ثم يقع منه [illegible] على أن الهم [illegible] [illegible] الأشياء التي هي [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المعنى [illegible] [illegible] [illegible] المعنى الذي هو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في كلام أبي حيان.

وإما أن يكون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كما سبق(١)

أما [illegible] الروايات [illegible] في [illegible] [illegible] الآلوسي في تفسيره عن الطيبي قوله [illegible] على [illegible] أولى [illegible] [illegible] على أن [illegible] [illegible] [illegible] ثم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الروايات [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] أهل [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الروايات التي [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] إليه

---

(١) مفاتيح الغيب [illegible] [illegible]

(٢) التحرير والتنوير [illegible]

(٣) مفاتيح الغيب [illegible] [illegible]

(١) [illegible] [illegible] [illegible]

عليه السلام الذي [illegible] [illegible] [illegible]
عليه وسلم الأخبار عنه [illegible] [illegible](١)

والذي أميل إليه وأرجحه أنه عليه السلام لم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا يحفظ الله [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

لأمري إلا [illegible] [illegible] أن [illegible] على [illegible]

والمهم في مسألة الأخلاق [illegible] [illegible] الأدب والتعامل التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن، وتكون علاقته [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] كل [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] لم يكن [illegible] [illegible] [illegible] من كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لم يكن [illegible] [illegible] عن الإمام الشافعي رحمه الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible](١)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة، فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء. قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي صلى الله عليه وسلم»(٢)

[illegible] [illegible] الله عنه عبد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أمرا سوء [illegible] [illegible] الأدب معه صلى الله عليه وسلم مع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سواء في [illegible] أو [illegible](٣)

[illegible] [illegible] [illegible]
وقال العلامة [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] لم [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]
[illegible] [illegible] عن [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] صلى الله عليه وسلم.

[illegible] [illegible] أنه لا [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي ٢/ ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل، رقم: ١١٣٥، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم: ٧٧٣، ١/ ٥٣٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي ٦/ ٦٢.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه [illegible] [illegible] لم يدع النبي صلى الله عليه وسلم يصطحب [illegible] المشقة في [illegible] وهكذا يأخذ المؤمن نفسه بكل مكرمة تزكيه عند الله عز وجل.

ثالثاً: الهم في محاولة [illegible]

حاول أعداء الله [illegible] [illegible] مرة بأساليب يصدون بها عن سبيل الله تارة ويجعلون عليهم [illegible] الرسالة وتارة يطعنون فيما جاء به [illegible] [illegible] ويصدون في [illegible] ويؤلبون الأعداء ويحاولون ترويج الباطل على النبي صلى الله عليه وسلم وإلباسه [illegible] إلى ذلك سبيل والله [illegible] على رسوله من [illegible] في [illegible].

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

لقد كشفت الآية لرسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر [illegible] [illegible] [illegible] ولولا فضل الله لأن [illegible] الحق ويبطل الباطل فهذه الآية نزلت في طعمة بن أبيرق[1] والسارق في سبب نزولها لما قال الحسن [illegible] كان سرق درعاً [illegible] [illegible] بأهله في سوائه وأنه نوع من الأفعال [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] في [illegible] فأنزل الله [illegible] فيهم هذه الآية إلى قوله: ﴿[illegible]﴾ [النساء: [illegible]]. يعني: الذي اتهمه السارق وألقى عليه السرقة[2].

﴿لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: [illegible]]، أي لولا أن الله تفضل عليك يا محمد بعصمته ورحمته [illegible] لك في [illegible] [illegible] طائفة من [illegible] [illegible] [illegible] الحق عن [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] [illegible] عن طريق الحق [illegible] [illegible] [illegible] على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible].

---

[1] طعمة بن أبيرق بن عمرو الأنصاري [illegible] [illegible] العسقلاني في الإصابة [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible].

انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر [illegible].

(2) [illegible] [illegible] المفسرين في سبب النزول [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أسباب النزول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] السبب الظاهر في نزولها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واعتماد المفسرين عليه في نزول الآيات والله أعلم.

بأنه يريد منها ما يعصي عليه وسائر همه إنما يطيعه وما يطيل هواه إلا القسم.

وقيل: ﴿وَهَمُّواْ﴾ معناه: أنهم حدثتهم أنفسهم وحاولوا حتى تتقلب والنفس، ولولا عصمة الله تعالى لأدركه من الناس من يشتغل بالعلائق بيده ما هو عليه كما قال مولاه: الذي العصمة تحفظ كريم[1].

والظاهر أن الهم هنا بمعنى العزم على الإغلاظ من القول في حقه أن الله لحكيم أن يفارقه لم يصاحبه حب مبالغته من النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى إلا أنه ما عاجزا عن من مع حزم من الشبه لم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع بمبالغته عنه بسبب الشرك إلى الذي تجاوزوا على الإثم والعدوان[2].

ومعنى قوله: ﴿لَمْ يَنَالُواْ﴾ أي: لم يكونوا يطلبونه بل كفى الله شرهم، وأنهم لم ينالوا[3] ما هموا به من مكرهم، وكيدهم الذي وراءهم من النبي صلى الله عليه وسلم المكاتبة عنه القوي، وأكثر سهلا عليهم وبطلانه.

فتبين أن همهم هنا عزم وإرادة منهم مما من علم أن من لم يعلم منهم أنه مولى الله كما قال ابن عطية: عصمه من مؤمنيهم، وهذا كافٍ عصمته من مكائدهم، عصمه الله ورسوله منها[4].

ثالثًا: الهم على ألسنة الرسل والصالحين

من حكمة الله سبحانه أن أرسل الرسل وأنزل الكتب، لئلا يكون للناس حجة فيسعوا في الأرض بالفساد حيث لا يرعوون أبدًا إلا بالقوة الماضية، ومع ذلك تجد من عصى الله على لسان رسوله للقول عنهم: فكذبوهم، وحاربوهم، وأخرجوهم، وأرادوا بهم سوءا لكنه لم يحصل لهم ذلك، فإنه لم يزل يعينه في العزم والصبر والمضي له والفرج به إلا الكذب، ومن الله على جانبه: ما ظلمهم من كيد أعدائهم ومكرهم السيء بهم.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

اختلف المفسرون في سبب نزول الآية، والمشهور ما ذكر في كثير من كتب السنة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمه، ومن ذلك ما روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم: زيارته قبر أمه واستئذانه ربه في الاستغفار لها فأذن له في الزيارة، فقال النبي صلى الله عليه

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري (١٤/٣٦٢).

[2] البحر المحيط.

[3] انظر: جامع البيان (١٤/ ٣١).

[4] انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/١٦٣).

[5] المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٨٣).

وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف - رضوان الله عليهم أجمعين - فدخل على كعب بن الأشرف(1) حتى النخل يستعينهم في مقتلهم العامرية يا أبا القاسم إن كان لك نعم وسألنا سلمك شيء حتى نقضي حاجتك وجلس النبي تحت جدار هو وأصحابه فيها يطعمهم وخلا اليهود بعضهم فقالوا إنكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب(2): أنا، فنهض إلى رحى عظيمة ليطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده وجاء جبريل عليه السلام وأخبره بالقدر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى هذه الآية(3).

ويروى أيضاً عن جابر - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلاً وتفرق الناس في العضاه يستظلون تحتها، فعلق النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فسله، ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من يمنعك مني؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: الله، الله(1)، فشام الأعرابي السيف، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه(2).

واسم هذا الأعرابي - غورث بن الحارث - كما في الصحيح(3).

ويجعل الطبري القول الأول أولى الأقوال

---

[1] كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان، شاعر جاهلي، كانت أمه من بني النضير، فدان باليهودية، كان سيداً في أخواله، أكثر من هجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، والتشبب بنسائهم، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه في ظاهر حصنه سنة ٣هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ٥/٢٢٥.

[2] عمرو بن جحاش بن كعب بن بسيل النضري، اليهودي النضيري.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٥٧.

[3] انظر: أسباب النزول، الواحدي، ص١٢٦، جامع البيان، الطبري ٦/١٤٦.

[1] الشيم: غمده، والشيم: السل، وكلاهما من باب الأضداد، إلا أنه هاهنا بمعنى الإغماد، والأمر يدل على ذلك، لأنه لم يعامل بالسيف سيادة، ولما شام السيف لم يقتله إليه.
انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٢٣٦.

[2] انظر: أسباب النزول، الواحدي، ص١٢٦، جامع البيان، الطبري ٦/١٤٦.

[3] غورث بن الحارث الذي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فرفع السيف من يده، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وعفا عنه، كما قال ابن حجر في الإصابة.
انظر: الإصابة، ابن حجر ٥/٢٨٨.
وقصته أخرجها البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، رقم ٤١٣٦، ٤١٣٧، ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس، رقم ٣، ٨٤٣.

بالصحة!

وهنا يرد ابن عاشور قلبه ويقول إن المراد ثنيُ صدورهم المعطوفة ويرى بعضهم أن ثنيه الصدر إلى جانب مشيرا إلى كونه من الريب إذ يدل على السوء[1]

وإذا كان سبب نزول الآية وبين المراد بهذه الجملة التي يصفه تعالى لما قصد قوم ومنهم يكلم الرسول صلى الله عليه وسلم أو أهل المسلمين، أو أن يظهروا بشيء لتحقيق الله وسخطه عليه المؤمنين.

وأيهم ما كان له سعة النفس والتخلي وطلبة أنهم يخفى وما في به إلى من به[2]

والذي يظهر لي أنهم قد سخطوا أنفسهم بالتخفي من النبي صلى الله عليه وسلم أو المؤمنين، ولكن لم يلقت عنهم هذا هذا الحد من إصدار العذر بالنبي صلى الله عليه وسلم في التسبب بل إنهم عزموا على التخفي منه وانطلقوا به عزوة تجاوزه إلى محاولة بعد فيها الغدر والخيانة إذ لم يقدروا على ذلك مجاهرة، فأظهر الله مكرهم وأبطل كيدهم وجعلهم أهل خاسرة.

والتعبير ببسط اليد وعي بالإشارة ليبسط اليد مجاز في البطش.

قال تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ﴾ [الممتحنة: ٢].

كما أنه كناية عن سبيل عن الإعراض عن السوء خاصة.

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: ٥][1]

فالمعنى أنهم يخفون الحقد والعداوة على إيقاع السوء به صلى الله عليه وسلم، ويذكر الآية والسنة الصحيحة الصريحة يدل على ذلك.

وحولا قوم عندهم الجهالة والغدر والمكر يلجئون إلى الله التسبب لا يجدي معهم إلا أن تسأل فالحب ويطلع على ما يدل عليه تعالى على المؤمنين بغلبة وهو مصارحة الله على جهة العداوة من المشركين ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

ألا إن هؤلاء المشركين الذين أظهروا العداء الذي يكنون صدورهم ويظهر في مكائدهم وظهرت عليكم أحقادهم وعدوا بإخراج الرسول من بين أظهرهم أظهر بهم[2]

والظاهر أن الكلمات يوجب كل واحد منها بالتراكم الثلاثة ما تصورها[3]

وهي:

---

[1] جامع البيان للطبري ٧/ [illegible]

[2] التحرير والتنوير ٦/ ١٢٩

[3] تفسير السعدي ٦/ [illegible]

[2] التحرير والتنوير ١١/ ٣١٨

[3] جامع البيان للطبري ١١/ ١٨٤

[illegible] حيث ظنوا [illegible] مكة أيمانهم بعد عهد الحديبية، وأعانوا بني بكر على خزاعة.

٢- همهم بإخراج الرسول [illegible] ما [illegible] من مكة حين [illegible] إلى المدينة لما [illegible] عليه من المشورة والاجتماع على [illegible] بالقتل أو [illegible] من حيث [illegible] على ما يدعوه إلى [illegible] ﴿[illegible]﴾ إما بالقتل وإما بالخروج عليه، ولكن لم [illegible]

٣- قوله: ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [illegible] يوم بدر [illegible] حين [illegible] لا [illegible] قال: ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ [illegible] على أن البادئ أظلم(١).

[illegible]

أن يقاتلوا [illegible] أئمة الكفر(٢).

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [التوبة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [التوبة: ١٦].

ثم [illegible] ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

وفي الآية [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].

فقد كان المنافقون قد همّ بعضهم إلى بعض سوء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال [illegible] علما أنهم حلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك، فأنزل الله الآية إعلاماً لهم.

وقيل في سبب نزولها: إنها [illegible] وذلك أنه اقتتل رجل من جهينة ورجل من غفار، فظهر الغفاري على الجهني، فنادى ابن أبي: يا بني الأوس، انصروا أخاكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك، فوالله ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

فسعى بها رجل من المسلمين فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأرسل إليه فجعل يحلف بالله ما قاله، فأنزل الله الآية[1].

وقيل: نزلت في الجلاس بن سويد[2] حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، قال: لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمير، فرفع عمير بن سعد ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف ما قاله، فأنزل الله الآية[3].

والآية تدل على أن المنافقين حلفوا بالله على كلمة الكفر أظهروا بها [illegible] ثم تولوا بأنها كانت عليه [illegible] من إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أو الطعن في دينهم وغير ذلك من صنوف من المنافقين.

ثم ترتب على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله عز وجل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] الذي لا [illegible].

وقيل: نزلت في [illegible] على [illegible] عبد الله بن أبي [illegible] [illegible] [illegible][4].

وربما كان منهم من أسر [illegible] بما [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] قال صاحب الظلال: لا تستقيم مع قوله: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ [التوبة: ٧٤][5].

وورد في سبب نزولها أنها [illegible]

---

[1] أسباب النزول، الواحدي ص ١٩٩.

[2] الجلاس بن سويد بن الصامت من بني عمرو بن عوف، كان متهماً بالنفاق، وهو ربيب عمير بن سعد زوج أمه، وهو ممن تخلف من المتخلفين في غزوة تبوك، [illegible] [illegible] تاب بعد ذلك وحسنت توبته.

[3] [illegible] الكشاف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ٢/ ١٧٠.

[4] لباب النقول، السيوطي ص [illegible].

[5] معالم التنزيل، البغوي ٢/ ٣٠٨.

[6] في ظلال القرآن ٣/ ١٦٧٦.

ليلة الهجرة وكانوا [illegible] على أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم معه [illegible] حتى [illegible] عليهم [illegible] في [illegible] عن [illegible] في [illegible] وكان [illegible] في الليلة [illegible] من [illegible] الأول [illegible] من يوم [illegible] الله [illegible] وصلى النبي عليه الصلاة والسلام حتى أول سورة التي [illegible] فأنزل الله تعالى قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible] فهذه الرواية تبين ما [illegible] له من رسول الله صلى الله عليه وسلم، [illegible] عليه من علم السر في ليل [illegible].

[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم أو [illegible] من الصحابة أو كل رجل من المسلمين [illegible] لم [illegible] عليه الأمر الأول.

والخلاصة [illegible] في [illegible] الله مع رسول الله وما هم به من أمور [illegible] وأهل الله لهم [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [فاطر: ٤٣].

فلم يكتفوا بالتكذيب والاستكبار والسير في الأرض بغير الحق حتى [illegible] برسلهم ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: ٥].

أي: [illegible] والأخذ [illegible] بمعنى الإهلاك كقوله: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤](٢)

ويحمل هذا النص (الأخذ) ما يحمل [illegible] ما همت به كل أمة برسولها من قتل أو غيره كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

والمعنى: إن الأمم السابقة من الكفرة لم يقتصروا على التكذيب لرسلهم بل تجاوزوا ذلك إلى [illegible] الأذى من قومهم بالقتل كما حكى الله عن ثمود ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: ٤٩].

ولقد تآمر كفار قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة ليقتلوه بأن يجمع [illegible] من [illegible] شبابهم [illegible] بالسيوف ضربة رجل واحد كي لا يستطيع

---

(١) أسباب النزول، الواحدي ص ٩٨

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

ليقولوا من بني هاشم الأمانة بظن[1] ولو حرصوا على قتله بكل ممكن ومن الأمر من قتل ومرام[2].

فأنزل الله الأمن عليهم أي على صحبهم ومناهم المتكبر الخائفين وانقلابهم، والقرآن يقول: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ على قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible] ولم المشركين لا يمنعهم قتل الرسول صلى الله عليه وسلم عن عزمهم أشد الإيمان فهب لهذا حصر المراع على [illegible] أظلهم الله كما أظل الأمم السابقة [illegible] من حسنة إلى أنه ومرام وأطلعوا على تلك أنه لهم أجل الرسول صلى الله عليه وسلم أظهر الله عليهم بالمعجزة لم أمكنه من أوامره في يوم[3].

فظهر الرجع من أحداث الله الأرائك من الرسول والصحابة لا يرب الله مزج همهم على الأخلاف فقيا ولا وتجريه.

خامسًا: الانشغال والعناية بالنفس الشاخصة للهم.

المؤمن الحق يرخص روحه في سبيل نصرة دين الله وصحابة ورسوله أما المنافق فهمه نفسه وصحابتها سليم غير أم لا غير منه وليس العمل صاحبه عزمًا وإنما المتطلعوا كلما قال ولي جهاد الآخرة حيث خالفة والروية والقرار ويمضي الله بإطلاعه القارئ ليظهر الفعل جليًا على بعض الفريق الثالث على الجاهلية ويحملوا على أمر الفتنة حتى ما هي مانعة حتى حل الأمر منها ما بحل الجزم.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

يخبر الله عز وجل في الآية السابقة عن [illegible] حيث أنزل على المؤمنين من بعد الغم الذي أصابهم أمنة وهي الأمان على أهل الإخلاص منهم باليقين دون أهل النفاق والشك.

وهذه الأمنة التي أنزلها عليهم هي النعاس وهذا ما أصابهم [illegible] السلام [illegible] لا هم لهم غير [illegible] من [illegible] على [illegible] [illegible] من [illegible] يظنون بالله الظنون [illegible] الجاهلية من أهل الشرك بالله [illegible] في أمر [illegible]

---

[1] التحرير والتنوير ٤/١٣٤.

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/١٤٢.

[3] التحرير والتنوير ٤/١٣٤.

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]؟ [illegible] أن الله تعالى [illegible]!

ومعنى ﴿أحكم الحاكمين﴾ [illegible] على [illegible] تعالى [illegible] من [illegible] (١) [illegible] لم [illegible] إلا [illegible] (٢)

وقد [illegible] بما [illegible] عليهم [illegible] على [illegible] على ما [illegible] لو [illegible] من [illegible] في [illegible] من [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] (٣) [illegible] من كل [illegible] من [illegible] ﴿أحكم الحاكمين﴾.

وقيل معنى ﴿أحكم الحاكمين﴾ [illegible] [illegible] (٤) [illegible] من [illegible] على [illegible] على [illegible] إلى [illegible] (٥)

[illegible] على [illegible] [illegible] على [illegible] على [illegible] على [illegible]

[illegible] في معنى [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] من [illegible] (٦) [illegible] لا [illegible] على

---

(١) [illegible] ج ٣ [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) التحرير والتنوير [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) التحرير والتنوير ج ١٢ [illegible]

(٧) انظر: التفسير [illegible] ٢٨/٣ [illegible]

(٨) [illegible]

يجد لها من محيص سوى الرجاء.

ويكون هذا [illegible] حبيب والحبيب يعلم الله بشفقة منهم لرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم برأفه لأصحابه ورقة منهم لأسباب أن الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ أي ليس لأحد شيء من خلقه قال ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ فالأسباب -وإن عظمت- إنما تنفع إذا لم يعارضها القدر والقضاء، فإذا عارضها القدر لم تنفع شيئا، بل لا بد أن يمضي الله ما كتب في اللوح المحفوظ من الموت والحياة(1)

وقد تجد القول كما أشرنا إلا أن كلا المعنيين وارد ولا تعارض بينهما

وعلى تفسير الظلال [illegible] -فيما يظهر- ألا ليس لهم في أنفسهم شيء، إنهم كلهم لله وإنهم حين يخرجون للجهاد في سبيله يخرجون له ويتحركون له ويقاتلون له بلا هدف آخر لذواتهم في هذا الجهاد، وإنهم يسلمون أنفسهم للقدر فيتلقون ما يأتيهم به هذا القدر في رضى وفي تسليم، أيا كان هذا القدر ما يكون. فأما الذين تهمهم أنفسهم [illegible] الأمر لهم والتدبير ويحسبون المصائر بالخطط [illegible] في الموضع وطيبة الإيمان(2)

ومن الاطمئنان بالقدر الشافي إلى الهم والحزن الذي [illegible] الموت والحياة [illegible] أن يكون معه الخوف من المستقبل وما يحصل له وما هو حاصل الآية، فالموت لا مفر منه قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (النساء: ٧٨)

وقد حدد الله الأجل والأعمار من لم يمت بالسيف مات بغيره.. فلماذا من الموت الأمر لله سبحانه الذي بيده كل شيء.

أما ما يحصل للمؤمن في هذه الحياة من الهم والغم الذي هو سنة ربانية لا ينفك عنها عبد، فإن المطلوب منه مجاهدة نفسه ولا يجد أسباب الفرح فهو إذا وقع ما لا يريد.. فإن ذلك يتذكر الله فتطمئن القلوب المضطربة وتسكن النفوس القلقة قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)

وأعظم ما تشرح به الصدور قراءة كلام الله عز وجل

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٥٧)

ولما ضاق صدر النبي صلى الله عليه وسلم بما يقوله المشركون أمره الله بذكر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص ١٥٤

(2) في ظلال القرآن ١/ ٤٩٢

[illegible] ﴿٩٤﴾ إنا كفيناك المستهزئين ﴿٩٥﴾ [illegible] ﴾ [الحجر ٩٤-٩٦].

كذلك نجد أن [illegible] الله أسباب الهموم التي استعيذ منها عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال»[1].

والمتأمل لسياق الحديث يرى أنه جمع صفات [illegible] [illegible] كثيرا [illegible] [illegible] [illegible] من خلال [illegible] [illegible] قريب.

وفي ختام هذا المقال يتضح من خلال ما تقدم أن القرآن الكريم قد [illegible] في استعمال الهم [illegible] في معرض الكلام في [illegible] [illegible] والله أعلم - لأن الإنسان حريص كل الحرص على إخفاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فضل الله عليه [illegible] في [illegible].

ورد الهم في الحديث على [illegible] في معرض [illegible] والغم [illegible] [illegible].

كذلك غلب استعمال الهم [illegible] في القرآن بمعنى الحزن [illegible] [illegible] [illegible] الهم [illegible] [illegible] الحزن على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في القلب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على الهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في معرض [illegible] [illegible] الحزن [illegible] الحزن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب الاستعاذة من الجبن والكسل، رقم [illegible] ٦ [illegible] ٢٣٤١.

[illegible]

تحدث القرآن الكريم عن [illegible] الهم [illegible] [illegible] [illegible]

أولاً: جزاء الظالمين على [illegible]

الأول: الهم النفسي من الآثار السلبية [illegible] [illegible] بكل سبل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الدنيا [illegible]

[illegible] في الدنيا

[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] ... [illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible] (البقرة ٢٤٣).

[illegible] على [illegible] [illegible] من مكة كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأنفال ٣٠)

[illegible] الهم [illegible] الرسول [illegible] في الدنيا [illegible] [illegible] ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت﴾ (البقرة ٢٤٣).

في هذا الكلام [illegible] من وجوه:

الأول: أن [illegible] [illegible]

الثاني: [illegible] [illegible]

الثالث: أن قوله ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

عليه السلام: أنا المحروم من الله المحجوب السعيد في [illegible] والظالم في الدنيا.

الرابع: أن قوله: ﴿وإذ تأذن ربكم﴾ معناه: اعلم إنه كلام موسى بالإضافة ويجب عليكم أن تقوموا على هذه الطاعات وحمد الله إنه لم يقدروا عليها ويجب أن لا تتركوا موجبين، حيث أن هذا الكلام مشتمل على أنواع من الأمور التي تستلزم على طاعة [illegible] الآثار [illegible] للتوحيد.

- معرفة النبي صلى الله عليه وسلم من [illegible] الكافرين به [illegible] كما حصل من [illegible] اليهود [illegible] ليلة الهجرة، كما حصل من قريش في [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible].
- معرفة النبي صلى الله عليه وسلم من [illegible] الكافرين [illegible] من القرآن، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].
- ذكر المؤمنين [illegible] الكافرين [illegible] وسط الله لهم ﴿[illegible]﴾

[illegible] اذكروا نعمة الله عليكم [illegible] ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ أي: [illegible] شكرتم [illegible] بالقبل والإخلاص [illegible] بالمجرور على المتعلق الصريح [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] النعمة [illegible] الأولى [illegible] المتعلق الصريح على الأصل [illegible] [illegible] بالله [illegible] [illegible]. [illegible]

- تأييد المؤمنين بإخوانهم والشد من عزمهم [illegible]

---

(1) انظر: [illegible] (3/ [illegible]).

(2) انظر: روح المعاني (3/ [illegible]).

(3) تيسير الكريم الرحمن (ص [illegible]).

فهو سبحانه الذي جعلهم [illegible] على الغيب يعرفون من الرسل عليه الا يعين، ولا يكفي بل ينزل عليهم العذاب [illegible] والعذاب [illegible] أما المذكورة الأحزاب فهم من الأمم [illegible] والمجتمعة من [illegible] إلى الماضين من قبل [illegible] مشاركون بأنفسهم لا يتركونه في أمر الحرب سوى تحزبهم الشديد في الله ورسوله. ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ الأحزاب: 22.

وأما التذكير فهم في [illegible] من [illegible] الشكل بالمؤمنين وقتل منهم بالاستهانة بالله [illegible] من آمن به [illegible].

٤ - المخاطب الأمم الأول هم الجمع منهم يوم القيامة.

فأهل الجمع [illegible] في الله ورسله [illegible] المؤمنين على [illegible] ظلمة من [illegible] عذابهم في الدنيا ويعاقب الله [illegible] يوم [illegible] والملائكة.

ثانيا: [illegible]

المتعلق [illegible] للمكذبين لرسلهم والأمم [illegible] في الدنيا بعد [illegible] ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ غافر: 5.

فالمقصود من الأحزاب هم الأمم السابقة من مكذبي الرسل، وأنهم [illegible] والجدال بالباطل، فظهر حال المشركين النازل فيهم قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: 4].

وحال الأمم السابقين سواء لتعليل الوعيد على حالهم الباطل النازل في قوله: ﴿فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾[1].

ومن هنا يكون السبب المقصود هو الأخذ الكائن في قوله: ﴿فَأَخَذۡتُهُمۡ﴾ فإن سبب التكذيب والهم بالأخذ والجدال بالباطل والعزم [illegible] أن أخذهم بالأخذ [illegible] ذلك لأن قوله تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ هو التكذيب [illegible] والأخذ بمقابل الأخذ [illegible] التكذيب [illegible] لاستحقاق العقاب الأخروي [illegible] ولا يكون [illegible] يقتضي [illegible] ملاحظة الأخذ [illegible] والتكذيب للعقاب الأخروي [illegible] على كمال الملاحظة[2].

ولا غرو أن يكون [illegible] ما [illegible] منهم من التكذيب وأنهم بالرسل والجدال

---

[1] التحرير والتنوير [illegible]

[2] روح المعاني [illegible]

[illegible] أن يكون [illegible] [illegible] [illegible] بالمعاصي [illegible] [illegible]

ثانياً: هم المؤمنين بالسوء

كما المؤمنين لهمهم بالسوء - كما ظهر من الآيات - قد يكون بعض الشهوات التي تستحكم أحيانًا وقد يكون سببه ما جبل عليه البشر من حب الشهوات [illegible] ثم [illegible] من [illegible] وتلك الهموم ربما هي مشاعر إنسانية [illegible] [illegible] والاستعانة بالله في مواجهتها.

الرد على [illegible] المؤمنين [illegible] من همهم:

فلجوؤهم إلى الله واستعانتهم به كان سببًا في [illegible] على [illegible] واستعاذتهم من الهم السيء [illegible] عنهم [illegible].

● [illegible] المؤمنين [illegible] بالسوء لم [illegible] على [illegible] من همهم

[illegible] من [illegible] ذلك من [illegible] [illegible] [illegible] عند [illegible]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

في قوله تعالى [illegible]: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢].

[illegible] إشارة لطيفة إلى [illegible] [illegible] ما لا [illegible] عليه [illegible] ولا [illegible] من [illegible] [1] [illegible] سبحانه لهم والعناية بهم [illegible] إلى السوء.

فعن جابر رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية فينا ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ بني سلمة وبني حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[2]

[illegible] الاستبشار بما حصل لهم من الشرف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من ولاية الله لهما[3] [illegible] الهم [illegible] الهمة.

● حفظ عباده المؤمنين مما لا يليق من الهم

فيوسف عليه السلام حفظه الله من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] البحر المحيط ٣/٣٤٤.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا، رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم، رقم [illegible].

[3] مفاتيح الغيب ٨/٣٤٧.

الذي استطاع [illegible] قبل الجماعة البشرية بأنه أمر العمل من طالب والمطالبة من الجانب الآخر في تحصيل الأرباح به والتمتع بالنعم [illegible] من حوله.

وفي هذا الكلام مراعاة لمعنى الخلافة بالعبادة وعمارة الأرض قبل الحديث عن التسخير.

وفي قوله: ﴿وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره﴾ [إبراهيم: 32]

التسخير: نقل الشيء من مكان إلى مكان، وهو هنا مجاز عن التمكن من تحويل الشيء والعمل الذي من شأنه أن يعمل فيه من به من الصعوبة من شيء به والعسر عن الصعوبة والصرف يشير إلى أن الشيء سهل الأمر والاستفادة [illegible] والتي لله سبحانه به[1]. وهذا غاية التحقيق [illegible] الذي أقيمت إليه العالم بأسره.

وفي السيرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله تعالى فيهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا، فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان، فقال: بلى، فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير، فقلت: ما هذا؟ فقيل: تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله تعالى على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئاً، ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة، ففعل، فدخلت، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة، فسألت، فقيل: فلان نكح فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت: لا شيء، ثم أخبرته الخبر، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته[2]

● هكذا الجود والأجر لمن هم بالخير وإن لم يعمله بعد ذلك.

وهذا من فضل الله وكرمه سبحانه حتى في حديث الهم والخطر القلبي، فإنه لم تظهر صورة العمل على أرض الواقع بعد [illegible] على الهم والخطر [illegible] ويكون العمل الذي العظيم من عمل الجوارح، وكم

---

[1] التحرير والتنوير [illegible]

[2] أخرجه البيهقي في دلائل النبوة 2/33، والبزار مختصراً في مسنده رقم [illegible]، وصححه الألباني في تعليقه على فقه السيرة ص73

من عمل صالح عظمه الله.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك؛ فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»(1).

فمن همّ بالحسنة وحدثته نفسه بفعل الخير كتبت له حسنة وإن لم يعمل لمانع حال بينه وبين فعلها. وإذا ترك السيئة خوفاً من الله عز وجل لا عجزاً عنها كتبها الله حسنة كاملة لم تنقص بسبب الهم والقصد إلى فعلها؛ لأنه إنما تركها لأمر عظيم قام في قلبه، وليس بعد هذا الفضل فضل.

٣ - مجاهدة هم المؤمن بالسوء:

الهم يقع في النفس من قصد المعصية على خمس مراتب: الأولى: الهاجس، وهو ما يلقى فيها، ثم جريانه فيها وهو الخاطر، ثم حديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل أو لا؟ ثم الهم وهو ترجيح قصد الفعل، ثم العزم وهو قوة ذلك القصد والجزم به(2).

والمراتب الثلاث الأولى لا يؤاخذ عليها العبد، ومتى قوي عليه [illegible] والأخيرتان [illegible] قبل أن يمسي [illegible] أو حركة على المعصية [illegible].

وفي [illegible] المؤمن [illegible] من الشيء الذي إذا لم يحسن منها يحسن [illegible] المعصية.

• التربية الإيمانية:

ليوسف [illegible] امرأة العزيز [illegible] أن [illegible] من خطبها ومراودتها له فقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

أي: [illegible] من [illegible] يوسف عليه السلام.

[illegible] عليه الصبر، والخواطر لا يمكن دفعها [illegible] كما يقال عن [illegible] على عجز [illegible](3).

[illegible] في امرأة العزيز حتى [illegible] هذا الأمر من غير [illegible] ولا [illegible] والسيل [illegible] الشرائط [illegible] الإيمان [illegible] الإيمان [illegible].

---

(1) متفق عليه.

(2) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٣٩.

(3) [illegible] لابن القيم ص ٢٣٩.

عليه السلام الله عز وجل:

● الثاني [illegible]

[illegible] عليه السلام [illegible] [illegible] الله عز وجل [illegible]

و﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ أي: أحسن [illegible] [illegible][1]

قال ابن عاشور: [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] على نعمة [illegible] بالنسبة إلى الله، ونعمة [illegible] بالنسبة إلى [illegible][2]

وهكذا ينبغي أن [illegible] [illegible] ويشكرها [illegible] الله عليه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [illegible] [illegible][3] [illegible]

[illegible] الله [illegible] ﴿إِنَّهُۥ﴾ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإنسان [illegible]

وكذلك [illegible] ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [illegible] من [illegible] الله [illegible] على [illegible] [illegible]

[illegible][4] لا [illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] الإنسان الذي [illegible] من ربه [illegible] النعمة في [illegible] [illegible] لا [illegible] النعمة [illegible] ولا [illegible] ربه [illegible] ولا يشكر على الفضل [illegible] نعمة الله [illegible] عليه من [illegible] في [illegible] على [illegible] [illegible][5]

■ [illegible] من [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] على [illegible] [illegible] على [illegible][6]

[illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] وكم [illegible] [illegible] [illegible] وكم [illegible] ومن [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] المصدر السابق [illegible]

[3] التحرير والتنوير [illegible]

[4] المصدر السابق [illegible]

(5) في ظلال القرآن [illegible]

(6) التحرير والتنوير [illegible]

تزل أركانه حتى ينهدم بنيانها.

وليحذر من المعصية جملة صغيرها فليس بينه وبين الله نسب ولقد أخرج آدم عليه السلام من الجنة بمعصية واحدة وطرد إبليس بمعصيته [illegible] في قربه.

ومما يحسن عمله التخلص من الوقوع في السوء، فيوسف عليه السلام استعاذ قولاً بالله الذي بيده العصمة، وبادر إلى ربه ثم نبه على أنه إحسان الله أن أحسن مثواه العزيز الذي سيده لا يحسن أن يجازيه بالإساءة ثم نفى الفلاح عن الظالمين وهم الشر والحرز بالجهة، ألا يحسب أن تكون هذه الأمور التي هي موضعه وأحسن ما سبحانه لعاقبة له.[2]

ومما يعين على التيسر في علاجها حسن أن يفكر طويلاً في حراسة الخواطر وحفظها إذ هي مبدأ الفعل ومنشؤه فلابد من حفظها والحذر من إهمالها والاسترسال معها لأن أصل الفساد كله من قبلها فهي بذر الشيطان والنفس في أرض القلب فإذا تمكن بذرها تعاهدها بسقيه حتى تصير إرادات ثم يسقيها بسقيه حتى تكون عزائم ثم لا يزال بها حتى تثمر الأعمال ولا ريب أن دفع الخواطر أيسر من دفع الإرادات والعزائم.

ولكي نحفظ الخواطر –كما ذكر– مهمات أمور منها الآتي:

١ - العلم الجازم باطلاع الرب سبحانه ونظره إلى القلب وعلمه بتفصيل خواطره سبحانه.
٢ - إجلاله لله أن يرى تلك الخواطر في بيته (القلب) الذي خلق لمعرفته ومحبته والخوف من السقوط من عينه.
٣ - إيثاره أن يساكن قلبه غير محبته.
٤ - الخشية من أن تتولد تلك الخواطر ويستعر شررها فتأكل ما في القلب من الإيمان ومحبة الله.
٥ - العلم أن تلك الخواطر بمنزلة الحب الذي يلقى للطائر ليصاد به.
٦ - العلم أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هي وخواطر الإيمان ودواعي المحبة والإنابة.
٧ - العلم أن تلك الخواطر هي وادي الحمقى وأماني الجاهلين فلا تثمر لصاحبها إلا الندامة والخزي وإذا غلبت على القلب أورثته الوساوس وعزلته عن سلطانه.[3]

وإذا تمكنت هذه الخواطر تحولت إلى التساهل معها إلى مرحلة تالية نتيجة من إهمال القلب والجسد والخوف منه وخشيته وذكر سبحانه ولا يصلح القلب إلا

---

[1] انظر الجواب الكافي لابن القيم ص[illegible]
[2] التفسير القيم ص ٣٢٧
[3] طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص ٢٧١

بالإضافة والحاشية إذا طلبها أو الطريق ونحو ذلك مما يرتبط لوجود حق الارتفاق فيها.

وقبل الحكم قرر أمين المكتبة في محاضر جلسات ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٣٠ و٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٠ و١٥ فبراير سنة ١٩٣١ أن الحائط يعارض في ارتفاعه ويطلب هدمه وإعادة بنائه بارتفاع معقول وتعويضه عن الضرر بمبلغ ١٠٠ جنيه تأسيساً على أنه الحائط الوحيد الذي يفصل بين الحديقة والمكتبة وأن الضرر الذي يلحقه من الشباك والشرفات المطلة على الحديقة أعظم بكثير من الضرر الذي يلحق المدعى عليه من الحائط.

هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عناصر الموضوع

التعريف بهود عليه السلام ٢٣٣
ذكر هود عليه السلام في القرآن الكريم ٢٣٩
مجمل ما ذكر من قصة هود ٢٤٠
مسائل مختارة في قصة هود ٢٤٣
لمحات في دعوة هود عليه السلام ٢٦١
مواقف هامة من قصة هود مع قومه ٢٦٩
خلاصة سيرة هود في سطور ٢٧٣

معرفات نبوة هود (عليه السلام)

أولاً: اسمه ونسبه

يقول الإمام الطبري - رحمه الله - معرفاً بنسب هود عليه السلام بأنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح[1]

وقال ابن قتيبة من ولد عاد هو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح[2]

ثم قال الطبري: ويزعم أهل الأنساب من يزعم أن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح[3] ويؤكد ابن قتيبة على أنه هو المرجح عنده.

والمرجح أن الأول والثاني أرجح من القول الثالث لأنه نسبه بما نسبه به القرآن الكريم إلى عاد، ولأن الثالث يدل على قرب عهد هود من نوح عليهما السلام، ومثل هذا القرب القريب يستبعد فيه انتشار الذرية وعودة الناس إلى الكفر إلى درجة أنهم نسوا ما كان عليه أسلافهم ولم يذكروا إلا أسلافاً قد انحسروا في الكفر، كما أن ذرية عاد كانت على مستوى من التمكين الذي يقتضي كثرة العدد ولا يعقل أن تكون قد وصلت هذا المبلغ في هذه الفترة الزمنية القصيرة. كما أن هذا القول يخرج نسب هود عليه السلام من إرم عاد ويجعله لا يلتقي معهم إلا في سام بن نوح، والمعلوم أن أخاهم منهم.

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: [illegible]]

أي: أخوهم في النسب لا في الدين، والأخ القوم واحد منهم، قال الرازي: «واعلم أنه تعالى وصف هوداً بأنه أخوهم، ومعلوم أن تلك الأخوة ما كانت في الدين، وإنما كانت في النسب لأن هوداً كان رجلاً من قبيلة عاد، وهذه القبيلة كانت قبيلة من العرب بناحية اليمن، ونظيره يقال للرجل يا أخا تميم ويا أخا سليم، والمراد رجل منهم»[4]

وبهذا الأمر يجمع بين القول الأول والثاني ولا اختلاف بينهما إلا في اسم الجد الثاني على حسب النطق أو المصادر، ولا يمكن الترجيح بينهما لعدم المصادر ولعلهما تصحيفات بتحريف نسب هود عليه السلام إلى عاد وهذا النسب هو الظاهر عند المؤرخين والمسلمين

---

[1] تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج[illegible]
[2] المعارف، ابن قتيبة، ص[illegible]
[3] تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج[illegible]
[4] مفاتيح الغيب، الرازي، [illegible]

وليس عليه دليل قطعي إلا أن المقطوع به أنه لا يخرج عن الأحقاب التي بين نوح عليه السلام [illegible] لقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] عليه السلام [illegible] من نوح[1]

وعاد قبيلة من قبائل العرب التي كانت [illegible] العرب قبل [illegible] من العرب البائدة ومنهم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجرهم والعماليق [illegible] لا يعلمهم إلا الله [illegible] قبل الخليل [illegible] إسماعيل عليهما الصلاة والسلام [illegible][1]

ويرجع نسب عاد [illegible] إلى عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح [illegible] وهي عاد الأولى[2] وأما قبائل [illegible] وطسم وجديس وأميم وجرهم والعماليق [illegible] إرم بن سام بن نوح[3] ومع أن هذه القبائل أقرب إلى نوح عليه السلام في سلسلة النسب إلا أن الأخباريين [illegible] الدكتور جواد علي [illegible] الأخباريين [illegible] على [illegible] [illegible] في القدم [illegible] الشعوب [illegible] هذه [illegible] من [illegible] عاد وثمود [illegible] من [illegible] عاد وثمود في القرآن الكريم [illegible] في [illegible] [illegible] على [illegible][4]

[illegible] على [illegible] [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] في [illegible] عند العرب في [illegible] في الجاهلية والإسلام [illegible] [illegible] الجاهلية [illegible] في [illegible][5]

[illegible] الأمم [illegible] من [illegible] العرب كانت [illegible] لقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الفجر: [illegible]) [illegible]

---

[1] المعارف، لابن قتيبة، ص [illegible]

[2] البداية والنهاية، لابن كثير ج١/ [illegible]

[3] انظر: تاريخ الرسل والملوك، للطبري [illegible]

[4] انظر: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي ج١/ [illegible]

[5] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي ١/ [illegible] بتصرف.

[6] تاريخ الرسل والملوك، للطبري ج١/ [illegible]

العلم لأن ذلك مما لا يصح أن يراه الرسول وإنما أطلق لفظ الرؤية هنا على العلم لأن أخبار عاد وثمود وفرعون كانت معروفة بالتواتر أما عاد وثمود فقد كانا في بلاد العرب وأما فرعون فقد كانوا يسمعونه من أهل الكتاب وبلاد فرعون أيضا متصلة بأرض العرب وخبر التواتر يفيد العلم الضروري والعلم الضروري يجري مجرى الرؤية في القوة والجلاء والبعد عن الشبهة فلذلك قال ﴿ألم تر﴾ بمعنى ألم تعلم[1]

ومما يؤكد علم أهل الكتاب بأخبار العرب أن المستشرقين جميعا [illegible] اليهود يسألونهم عن عاد [illegible] [illegible] وجود ذكرهم في التوراة والراجح أن التوراة لا [illegible] [illegible] [illegible] عاد وثمود [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولكن أهل الأخبار [illegible] مع ذلك [illegible] [illegible] التوراة [illegible] [illegible] [illegible][2] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرسل [illegible] [illegible][3]

مكانه وزمانه

المكان والزمان [illegible] من لوازم الأحداث التي تجري في عالم الإنسان لأن حياة الإنسان [illegible] بالزمان والمكان ولكن إهمال [illegible] [illegible] في القصة القرآنية يدور مع الغرض منه [illegible] القرآن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة

ولا سبيل إلى تحديد الفترة التي [illegible] عليه السلام ولا الزمن الذي [illegible] على عصر الأرض بلغة الأرقام [illegible] المصادر التاريخية من ذلك [illegible] القرآن [illegible] الأمم [illegible] [illegible] إلى [illegible] وأما مصادر أهل الكتاب مع علم [illegible] من التحريف والتبديل [illegible] [illegible] من الأمم التي لا [illegible] والمصدر الوحيد الذي [illegible] [illegible] تاريخ البشرية عبر [illegible] مع أنه ليس كتاب تاريخ [illegible] الأحداث [illegible] [illegible] [illegible]

ولكن [illegible] لا يمنع أن [illegible] الأحداث التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] علم [illegible] والقرآن الكريم لا [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] مفاتيح الغيب للرازي [illegible]

[2] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ١/٩٨ بتصرف

[3] المصدر السابق [illegible]

في ربط الأحداث والوقائع، فإنه يكرر ذلك كثيراً في القرآن[1].

ويلاحظ أن الأسلوب القرآني في عرض القصة لا يتقيد بالترتيب الزمني للأحداث، بل يبدأ القصة من حيث يريد، ويقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، وهذا يختلف عن الأسلوب الذي اعتاده الناس في عرض القصة، إذ يبدأ القصة من أولها ثم يسير فيها حتى آخرها، وهذا ما يسمى بالترتيب الزمني للأحداث[2].

ومن الأمثلة على ذلك: قصة آدم عليه السلام، فقد بدأ القرآن بذكر قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة، ثم ذكرها في سورة الأعراف، ثم في سورة الحجر، ثم في سورة الإسراء، ثم في سورة الكهف، ثم في سورة طه، ثم في سورة ص، ثم

بين عمان إلى حضرموت وهذه كانت للأحقاف وهي مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن وهذه الأقوال غير مختلفة في المعنى(1) أي أنها تعني بعض الرمال المعروفة بمنطقة الأحقاف.

وذهب كثير من المفسرين إلى أن ﴿إِرَمَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧﴾ [الفجر: 7] اسم موضع، فالمراد إرم مدينة [illegible] كانت على وجه الدهر باليمن، وقال محمد بن كعب هي الإسكندرية، وقال سعيد بن المسيب والمقبري هي دمشق، وكذا قال [illegible] أنها دمشق رواه عنه ابن وهب، وهذه الأقوال [illegible] المعنى الظاهر على أن المقصود ما جرى من قوم عاد، وليس كذلك دمشق ولا الإسكندرية(2) وإنما استند أصحاب هذا القول إلى قوله تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ الدال على وجود أعمدة وما في كل من المدينتين من أعمدة أثرية، ولا أرى هذا كافيا لتحديد المكان [illegible] الآثرية هي أكثر من الأعمدة، علما بأن [illegible] والمراد بالعماد الطول على تشبيه أجسامهم بالأعمدة(3) وأنها كانت مدينة عظيمة كانت في اليمن ولا تزال آثارها موجودة في هذا الوقت القريب من [illegible] الأحقاف وهو ما قرب من الرمال، ولكونه بين عمان وحضرموت على ما هو المشهور عند المفسرين، ويعزز ذلك [illegible] من المباني التي كانوا يستعملونها على ما عرف من الأرض [illegible] على [illegible] على ما جاء في قوله تعالى: ﴿[illegible] لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: 129].

وعلى ما ذهب إليه أكثر المفسرين من أن ﴿إِرَمَ﴾ [illegible](4) عن النسبة القبلية باسم جدهم، ولا تعارض بين ذلك وبين أن القرية إرم اسما لمكانهم على قول [illegible] إرم [illegible] عليها(5).

[illegible] أن القرية المعروفة [illegible] التي ذكرها ابن [illegible] في [illegible](6) [illegible] على [illegible] إلا أن [illegible] لها وجود على

معجم البلدان، ياقوت الحموي [illegible]

(2) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية [illegible]، إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس [illegible]

(3) روح المعاني، الآلوسي [illegible]

(4) مفاتيح الغيب، الرازي [illegible]، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

(6) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي [illegible]

وقد أعرض [illegible] عن عبد الله بن قلابة [illegible] على [illegible]

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

[illegible]

[illegible] [2]

وهذا القول يتوافق مع ما نسبه بعض المفسرين إلى ابن عباس والضحاك من القول بأنه [illegible] [3]

ولعل هذا القول هو الأقرب [illegible] لأسباب منها أن [illegible] في المعنى اللغوي [illegible] [illegible] عن ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] مع [illegible] في القرآن الكريم كما أن [illegible] ابن عباس [illegible] ابن [illegible] من [illegible]

---

[2] تفسير [illegible]

[3] انظر: جامع البيان، الطبري [illegible]، تفسير ابن أبي حاتم [illegible] رقم [illegible]، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]	[illegible]
الأعراف	[illegible]
هود	[illegible]
الشعراء	[illegible]

حديث القرآن عن قصة ثمود

لم يرد ذكر قصة القوم مفصلاً في سياقات متماثلة مع ذكر قوم عاد بعضها بالإشارات السريعة وبعضها بالتفصيلات المتنقلة من سورة إلى سورة وتكمل بعضها بعضاً [illegible] بعضها [illegible] في ملامح وعلامات أو إشارات وكل قسم منها جاء متلائماً مع سورته متسقاً في سياقه وإليك بيان ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: الآيات التي تحمل الإشارات

أما الإشارات السريعة وهي التي تعطي ملامح موجزة عن القوم وتبتعد عن التفصيل عن أخبارهم فقد جاءت في سور القمر والنجم والذاريات والفرقان والعنكبوت، ففي سورة القمر قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۝ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝﴾ [القمر: ٢٣-٢٥].

وفي سورة النجم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۝ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝﴾ [النجم: ٥٠-٥٢].

وفي سورة الذاريات قوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ۝ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ۝﴾ [الذاريات: ٤٣-٤٥].

وفي سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ۝ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۝ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ٣٥-٣٩].

وفي سورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝﴾ [العنكبوت: ٣٨].

ثانياً: الآيات التي تحمل التفصيلات

وهي الآيات التي حملت لنا قصصاً عن أخبار القوم، وجاءت تحمل الكثير من التفاصيل لأحداث القصة، ولقد وردت في سور عديدة تعطي بمجموعها الصورة المتكاملة لقصة القوم، مع ملاحظة أن كل قسم من هذه الآيات ورد في سورة متناسباً مع موضوعها متوافقاً مع سياقها، ونجد السور هي الأعراف وهود والشعراء والنمل [illegible] وفي سورة [illegible] على اختلاف أقوال المفسرين فيمن المقصود منهم كما سيأتي بيانه فيما يتعلق بآياته.

تسجل القصص لهداية القوم ومصير المكذبين الذي حل بهم في هذه [illegible] والغرق والعذاب.

ففي سورة الأعراف قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٤].

هذه السورة تطلع من مرحلة العقيدة من حيث سياق التاريخي في الحياة البشرية كلها مرحلة بالجنة والملأ الأعلى ومطالعة إلى الحياة التي انطلقت منها وإلى هذا المدى المتتالية لموكب من موكب الإيمان الكريم من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم ومن يحمل هذه العقيدة ويمضي بها على مدار التاريخ، وتعاني بها البشرية جيلا بعد جيل وقبيلا بعد قبيل.

ويرسم سياق السورة في الجديد كيف استقبلت البشرية هذا الموكب بما معه من الهدى؟ كيف حملها هذا الموكب وكيف جابهه؟ كيف وقف الملأ منها لهذا الموكب بالمرصاد، وكيف تنقل هذا الموكب أصحابه ومضى في طريقه إلى الله؟ وكيف كانت عاقبة المكذبين وعاقبة المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة"(١).

ويواجهنا هنا نوح عليه السلام مع قومه بعد [illegible] من آثار هذا نوح عليه السلام مع قومه وما حل بهم من العذاب، ثم تتبعها قصة كل من صالح ولوط وشعيب عليهم السلام مع أقوامهم مشكلة حلقة مهمة من حلقات [illegible] في التاريخ البشرية مع الدعاة كما وعد الله تعالى وإرسالهم إلى بني آدم [illegible] من مخاطبتهم وتحذيرهم [illegible]، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٣، [illegible] بتصرف.

(٢) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج٣.

⊙ وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ﴿١٣﴾﴾ [الآيات ١٢-١٣]

ولذا جاءت كل قصة منها بإجمال ليست فيها التفصيلات التي ترد في مواضع أخرى من القرآن في سياق يتطلب هذه التفصيلات، ذلك لأن الهدف هنا هو تصوير المعالم الأساسية لمسار القصة من حيث طريقة الدعوة وطبيعة استقبال القوم لها ورفضهم لها ومحاولة إيذاء الرسول وإهلاك القوم وعاقبة كل فريق، بحيث تعرض القصة في أدق عرضها وصورها في سورها.

وفي سورة القمر قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٣٣-٤٨].

موضوع هذه السورة الرئيسي هو موضوع السور المكية بصفة العقيدة متمثلة في محاورها الأساسية: توحيد الله والخوف من الآخرة واليوم ثم التخويف من عاقبة التكذيب إما بعذاب الدنيا الذي يلحق المكذبين وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين.

وأنها جاءت بأسلوب متميز يحمل من أسلوبها التعبيري وحسن الشعر والبلاغة ما يعجز فيه الفرسان من الشعراء والأصمعيين الذي تتحمل على الرعب والتهديد فإذا كان الشعر علامة الحب وحسنة عاطفة فإن الذي يقابل هذه السورة القرآنية يجد أنها من الخصائص التي تتحدى الشعراء وأرباب الإحساس بما لا يستطيعون الشعر[١].

ويهدف إلى تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيته من التكذيب المستمر له وللقرآن، وإلى تطمين قلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما يلاقون من عنت المشركين، وتثبيتهم على العقيدة مهما لاقوا في سبيلها من الظالمين كما ابتُلي من قبلهم من المؤمنين، وذلك بأسلوبها الذي يحمل في ثناياها من أولها إلى آخرها في

انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج [illegible]

[١] انظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص ٨٨

مواجهة الكفر والطغيان والظلم وأساليب هؤلاء المتكبرين ومآلهم في الدنيا والآخرة من مشاهد [illegible] يوم [illegible] النصر على الكافرين [illegible] [illegible] الرسل.

ويستمر السياق [illegible] القصص الذي يشتمل [illegible] [illegible] آية من مجموع آيات السورة تقريبا. والسورة في هذا القصص مع مقدمة والتعقيب، والقصص، والمقدمة، والتعقيب [illegible] وحدة متكاملة متناسقة [illegible] من موضوع السورة [illegible] في أسلوب [illegible] [illegible] [illegible] واحد [illegible] [illegible] [illegible] من كل قصة [illegible] أو الحلقات التي [illegible] على [illegible][1]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مجمعة من الكفر والطغيان ومظاهر القوة والجبروت مع الترف والتمكين [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] سورة هود قول الله تعالى: ﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾ [illegible]

وتأتي هذه السورة في مرحلة [illegible] بها [illegible] على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بعد وفاة أبي طالب [illegible] من أحرج الفترات وأشدها في تاريخ الدعوة بمكة، حيث بلغت [illegible] في تحدي قريش وعنتها [illegible] هذه السورة تعالج [illegible] وتثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه على الحق [illegible] ما [illegible] به السورة في قوله تعالى: ﴿[illegible]

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ سورة [illegible]

كما جاءت تسري عنه ما يعانيه من الوحشة والضيق والشدة في المجتمع المكي، وذلك من خلال القصص القرآني[1].

استعرضت السورة حركة العقيدة الإسلامية في التاريخ البشري كله من لدن نوح عليه السلام إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم وتقرير أنها قامت على حقائق أساسية واحدة هي العبودية لله وحده ولا شريك [illegible] في العبودية [illegible] في هذه العبودية والعبودية عن رسل الله، والحكم على [illegible] الطريق مع الاعتقاد بأن الحياة الدنيا إنما هي دار ابتلاء لا دار جزاء وأن الجزاء إنما يكون في الآخرة وأن حرية الاختيار التي أعطاها الله للإنسان ليختار الهدى أو الضلال هي مناط هذا الابتلاء، ولا شك أن قصة نوح عليه السلام تشكل حلقة مهمة من حلقات هذا التاريخ البشري.

ويبدو من سورة الأعراف في أغلب صور مواقفه مع الكفار.

عرض مواقف الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- وبمن يتقدم نوح عليه السلام وهو يكابد أشد ما يكابد من صور الإعراض والتكذيب والسخرية والاستهزاء والتهديد والإيذاء بالصبر والثقة والاطمئنان بما معهم من الحق ومن أمر الله [illegible] قد عرضت عليه السورة أشد ما لقيه نوح عليه السلام من قومه حيث أنكروا الرسالة ﴿[illegible]﴾ واستخدموا أشد صور الرفض والعناد والاستكبار [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] الأسلوب [illegible] ولم يكتفوا [illegible] بالمبالغة كما في سورة الأعراف بل زادوا [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] الصور إلى أشد صور [illegible][2]

توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والآمنين إلى مخاطبة المتكلمين من قومه كما فعل الرسل الكرام أقوامهم على [illegible] الأسلوب به والسيرة [illegible] بما أصحاب [illegible] الكرام [illegible] بما ألهمهم الله من [illegible] والصبر والرحمة.

---

[1] حيث يقدم من رأى أن هذه السورة التي نزلت في أواخر العهد المكي بعد سورة الإسراء [illegible] أنها نزلت في الفترة التي اشتد بها الحزن على النبي صلى الله عليه وسلم بعد [illegible] رضي الله عنها.
انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي [illegible] في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible] ٢/ ٨١.

[2] انظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص٣٧.

وفي سورة فصلت قال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ⑬ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ⑭ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ⑮ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ⑯﴾ (فصلت: ١٣-١٦).

وفي سورة الأحقاف قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ㉑ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ㉒ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ㉓ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ㉔ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ㉕ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ㉖﴾ (الأحقاف: ٢١-٢٦).

هذه السورة تعالج القضية العقدية الكلية الإيمان بوحدانية الله وربوبيته المطلقة لهذا الوجود ومن فيه وما فيه، والإيمان بالوحي والرسالة وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول سبقته الرسل.

والسياق القرآني يعرض القضية إلى القارئ على سبيل [illegible] ويعرضها على كل [illegible] في مجالات شتى متنوعة يسوق لها كل مؤثر نفسي وبشري وإيماني. كما أنها تستعمل القصة التي تعد مؤثراً قوياً في النفس ويخصص [illegible] طويلة من القصة التي مع هذا القرآن [illegible] أنواع الصد عنه من بني إسرائيل [illegible]. ويتم من القطوب السابقة الماضية كما اليم من بعض بني إسرائيل الماضية سوء مصيرهم.

ثم هي تطوف بهذه القلوب في آفاق السماوات والأرض، وفي مشاهد القيامة في الآخرة. كما تطوف بهم في مصارع قوم عاد، وفي مصارع القرى حول مكة. وتجعل من السماوات والأرض كائنا يحس ويتكلم كما يجعل هذا القرآن يحس على السواء.

ويمضي سياق السورة في أربعة أشواط مترابطة؛ كأنها شوط واحد ذو أربعة مقاطع(١).

وتتكرر قصة هذه القرى الهالكة من عاد في هذه السورة حيث ورد ذكر مصيرهم عندما كذبوا بالآيات وأعرضوا عن [illegible] من القصة حالة الريح

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، [illegible]

العذاب التي تعرضوا لها الريح والصيحة بما تحمل لهم الهلاك والدمار والعذاب الذي استحقوه بظلمهم.

وهذا الشرط يبرز في مشهد آخر يقدم القصة التي تعكسها الصورة ويأخذ القلب البشري من جانب من الجوانب التي عالجتها الوحدة الأولى متمثلة في مصرع عاد ومصارع غيرها [illegible] من رسولهم وأخيهم هود عليه السلام [illegible] من رسولهم وأخيهم محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] ثم [illegible] من العذاب [illegible]

وتطل السور [illegible] من صور العذاب التي حلت بعاد كما في سور القمر والذاريات والحاقة:

ففي سورة القمر قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ⑱ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ⑲ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ⑳ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ㉑﴾ [القمر: ١٨-٢١].

وفي سورة الذاريات قال سبحانه: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ㊶ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ㊷﴾ [الذاريات: ٤١-٤٢].

هذه الصورة التي حملت صورة تهاوي الباطل أمام صورة الحق مهما بدا متمكنا وظهر متحكما وطغى زمانه وطال أمده فاستحقت هذه الصورة بالذكر الريح العقيم التي جاءت بأمر الله فلا تذر شيئا أتت عليه إلا جعلته كالرميم[2]

وفي سورة الحاقة ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ⑥ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ⑦ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ⑧﴾ [الحاقة: ٦-٨].

ومن الملاحظ أن بعض هذه السور تذكر عادا في أمر مشترك مع ثمود وقبائل وأقوام كما في سورة إبراهيم والفجر والنجم ومن [illegible] وفي سياقات تذكر عادا منفصلة كما في سورة فصلت [illegible]

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، [illegible]

(٢) انظر قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص٢٣.

وفي [illegible] في المسألة كل منهما [illegible] [illegible] أنهم من العرب البائدة وأنه [illegible] بعد [illegible] قوم [illegible] كما [illegible] الأحقاف بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21].

وفي سور أخرى عديدة [illegible] بالتفصيل [illegible] في [illegible] كما في سور القمر والذاريات والحاقة.

هل الآيات في سورة المؤمنون تتحدث عن هود عليه السلام مع قومه؟

بعد الفراغ من الحديث عن قوم نوح عليه السلام في سورة المؤمنون قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿31﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿32﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿33﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿34﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿35﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿36﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿37﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿38﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿39﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿40﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿41﴾﴾ [المؤمنون: 31-41].

لم تذكر هذه الآيات اسم النبي ولا القوم الذين أرسل إليهم، وهذا يحتمل [illegible] أوجه:

الأول: أنهم عاد وإنهم هود عليه السلام، [illegible] لقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: 69].

وهؤلاء [illegible] بعد قوم نوح عليه السلام في مطلع هذه الآيات بعد الفراغ من الحديث عن قوم نوح بقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾، وكذا [illegible] قصة هود [illegible] قصة نوح في الأعراف وهود والشعراء، ونسب الزمخشري هذا الرأي لابن عباس، وهو قول أكثر المفسرين(1).

الثاني: أنهم صالح عليه السلام وثمود؛ لأن قومه الذين [illegible] هم الذين [illegible] بالصيحة [illegible] الطبري [illegible] بقوله [illegible] في هذا الموضع [illegible](2)، [illegible] ابن جزي، ورجحه ابن عاشور [illegible](3) بقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ ﴿41﴾﴾ [المؤمنون: 41].

مع قوله في سورة الحجر: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿83﴾﴾ [الحجر: 83].

---

(1) انظر: الكشاف للزمخشري [illegible]، مفاتيح الغيب للرازي [illegible].

(2) جامع البيان للطبري [illegible].

(3) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي [illegible]، انظر التحرير والتنوير [illegible].

[illegible] مساكنهم في الصخر [illegible] من [illegible] خصيص بالذكر [illegible] [illegible] بالذكر [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible] ما وقع من [illegible] في [illegible] من [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible]

وذكر القرطبي [illegible] [illegible] أن يكونوا [illegible] [illegible] من [illegible]

[illegible] أن يكونوا قوما آخرين غير عاد وثمود [illegible]

ويرجع أصحابها على الآخر [illegible] على وجوده [illegible] لم تذكر أسماؤها في القرآن [illegible] من لدن نوح عليه السلام إلى [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم [illegible]﴾ [إبراهيم: ٩].

قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ أي العلم بهم [illegible]

وقال: ﴿وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا ۝ وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا ۝﴾ [الفرقان: ٣٨-٣٩].

وفي قوله تعالى: ﴿وقرونا بين ذلك كثيرا﴾ [illegible] من الأقوام [illegible] الذين [illegible] بين قوم [illegible] وأصحاب الرس [illegible] من الرسل [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] في تلك [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[4] [illegible]

نوح ويمر على هود وصالح وأصحاب الرس وكذا حزب الأقوام لم يخلفه مواقفهم مع رسلهم من موقف هود وصالح وأصحاب الرس من رسلهم.

ويقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣].

سبحانه [illegible] لم [illegible] [illegible] وأمر [illegible] التفصيل [illegible] الثقة بما [illegible] التشابه [illegible] والمواقف في [illegible] الرسل وكذلك المواقف في دعوة إبراهيم والتاريخ.

وتأتي هذه السورة بعد موقف النبي على من الرسل من دعوة الرسل فيقول سيد قطب رحمه الله: «تنتقل في هذا الدرس من ظلال الإيمان في الأنفس والآفاق إلى حقيقة الإيمان التي جاء بها الرسل جميعا، فنرى كيف كان استقبال الناس لتلك الحقيقة الواحدة التي لا تتبدل على مدار الزمان واختلاف الرسالات، وتأتي الرسل من لدن نوح عليه السلام لهذا تبين اتحاد موكب الرسل أو أمة الرسل وهم يتجهون إلى البشرية بالحقيقة الواحدة تلك المحاولات الواحدة بالأمانة الواحدة حتى ليوحد توحيدها في التعبير [illegible] تلك يكون القائل التي أرسل بها الرسل إلى البشرية، تلك الكلمة التي قالها نوح عليه السلام هي ذاتها بنصها ولفظها كل من جاء بعده من المرسلين، فتجيب البشرية جوابا واحدا، كأنما تواطأت عليه على مر القرون»(٣).

ثم يؤكد ذلك استمرار قصص الرسل في هذه السورة ليس القصص والتفصيل إنما هو إبراز الكلمة الواحدة التي جاء بها الجميع، والاستقبال الواحد الذي تلقى من الجميع، ومن ثم يذكر نوح عليه السلام ليردد كلمة الحق، ويأتي بعده موسى وعيسى ليرددا الكلمة الأخيرة قبل الرسالة الأخيرة. ولم يذكر الأسماء في وسط السلسلة الطويلة كي يدل على تشابه حلقاتها بين البدء والنهاية، إنما ذكر الكلمة الواحدة في كل حلقة، والاستقبال الواحد لأن هذا هو المقصود»(٤).

وقد تتأكد الشبه بين هذه الآية وكل من هود وصالح وأصحاب الرس عند الحاضرين كأنما هذه الرسالات يسري الحاضر إلى [illegible] القرن الماضي لأن [illegible] أن يصدق هذه الآية على وجه التخصيص لتعجب من العلاقات ما [illegible] [illegible] القرشي من [illegible] لا يصدق إلا [illegible] كما أن هذه القصة [illegible] بالاختلاف من حيث

---

(٢) القصص القرآني [illegible]، عبد الكريم الخطيب، [illegible].

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، [illegible].

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، [illegible].

المعرضين عن دعوة الإصلاح، فإنه لم يرد التصريح به في قصة كل من عاد وثمود.

ثالثاً: الآيات التي تحمل التعقيبات

أما التعقيبات ففي سور إبراهيم والتوبة والحج.

ففي سورة إبراهيم قال: ﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد ۝ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ۝﴾ (إبراهيم: ٨-٩).

حيث يحذر موسى عليه السلام قومه من تكذيب الرسل وما يترتب عليه من عواقب وخيمة، جاعلاً ما حل بهذه الأقوام عبرة وعظة.

وفي سورة التوبة قال تعالى: ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ۝﴾ (التوبة: ٧٠).

حيث تعقب هذه الآية من السورة على مراتب المنافقين، وتحمل المنافقين مسؤولية ظلمهم في عدم اتعاظهم بالرسل ومحاسبتهم. وكانت هذه السورة من أواخر السور المدنية نزولاً وهي تفضح في طياتها ما عند المنافقين والكفار مما انطوت عليه نفوسهم من الحسد والحرص على الدنيا والغفلة عن الله تعالى، فالآية من مصادر العبرة والعظة التاريخية، وصريحة في الإقناع بصدق الرسول وما جاء به من البينات القاطعة، ليعاقب القرآن على موقفهم جاعلاً لهم عبرة العبرة من سبق من الأمم.

وفي [illegible] التاريخية الخالدة [illegible] الخالدة ليست محددة في الحياة البشرية لها إطار ولحظة، وإنما هي الحياة البشرية من أول حياتها تعالج كثيراً من هذا الطراز. وهذه الآية التاريخية تصادم [illegible] وتحركهم من الغفلة المستكينة والنوم العميق بعد ما استحوذ [illegible] الشيطان لهم في هذه الأرض، وتقول [illegible] ولكم أسوة ولكنكم لا [illegible] من [illegible] شيء.

ولقد [illegible] الكريم بما كان من أسماء الأمم [illegible] [illegible] لا يخلو من [illegible] الرسل من مصائرهم إلى خطاب غير [illegible] من موقف الذين [illegible] في طرف الظالمين ولا يعتبرون.

وفي سورة الحج ﴿وإن يكذبوك فقد

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣/٢٣٢٢ [illegible] ٣٧٤

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ (الحج ٤٢-٤٤).

حيث ذكرت مع مجموعة من الأمم التي كذبت الرسل في سياق التعقيب على موقف قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التكذيب ومقاتلة وإخراج المؤمنين من ديارهم ثم الحج يعدهم بالنصر والغلبة عليهم مستقبلا ، ويذكرهم بسنة الله في المكذبين في إهلاكهم ثم استئصالهم.

قال الإمام الرازي: اعلم أنه تعالى لما بين فيما تقدم إخراج الكفار المؤمنين من ديارهم بغير حق، وأذن في مقاتلتهم وضمن للرسول والمؤمنين النصرة وبين أن لله عاقبة الأمور أردفه بما يجري مجرى التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما هم عليه من الأذية وأذية المؤمنين بالتكذيب وغيره فقال: وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم سائر الأمم الماضية وذكر الله سبعة منهم[٦].

وفي سورة (ص) قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ (ص ١٢-١٤).

حيث ذكرت مع الطوائف المتحزبة في تكذيب الرسل واستحقاق العقاب من الله.

هذه هي السور التي تحدثت عن هود عليه السلام أو عنه وعن قومه ، وكلها كما ترى سور مكية وهو الغالب على قصص الأنبياء عليهم السلام باستثناء ما جاء في سورة الحج التي جمعت بين المكي والمدني والراجح المدنية.

ولا يفوتنا أن نذكر ورود ذكر عاد في سورة غافر على لسان مؤمن آل فرعون محذرا قومه من عاقبة التكذيب للمرسلين في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ (غافر ٣٠-٣١).

---

[٦] مفاتيح الغيب، الرازي ٢٣/ ٣٣

مظاهر سفه قوم هود

تحدث القرآن الكريم عن مجموعة من مظاهر الانحراف في قوم هود عليه السلام والتي منها:

أولاً: تقليد الآباء في عبادة الأصنام

قال محمد بن إسحاق: إن عادًا كانت منازلهم فيما بلغني، وذلك أنهم كانوا أهل أوثان، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله: صنم يقال له صداء، وصنم يقال له صمود، وصنم يقال له الهباء، فبعث الله إليهم رجلاً منهم هودًا فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه إلهًا غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس[1].

قال ابن كثير: كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، وكانت أصنامهم ثلاثة: صداء وصمود والهباء[2].

فلما دعاهم هود عليه السلام إلى عبادة الله تعالى وحده أنكروا عليه أن يدعوهم إلى ما يخالف ما كان عليه آباؤهم [illegible] واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في عبادة الأصنام حرصًا منهم على ما نشأوا عليه، وإلفًا لما [illegible] آباءهم يعبدونه [illegible][3]. ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف: ٧٠].

فالمعنى: أجئتنا لأجل أن نعبد الله وحده ونترك ما كان يعبد آباؤنا معه من الأولياء والشفعاء المقربين وأصنامهم [illegible] شفعاء عند الله [illegible] إليه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قال الله [illegible] مع [illegible] الأصنام [illegible] استكبروا [illegible] والتعصب [illegible] ما أبطله الشرع بالباطل من التقليد[4].

ومما يؤكد تقليدهم الآباء في عقائدهم قول هود عليه السلام: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف: ٧١].

حيث نسب تسمية الآلهة التي يعبدونها إليهم وإلى آبائهم، يعني من الأسماء التي كانوا يسمونها بها مجردًا على تقليد الآباء، فلا يملكون عليها حجة ولو كانت أشد مما كان عليه آباؤهم معرضين عن كل حجة وإن كانت ظاهرة وواضحة

---

[1] تفسير ابن أبي حاتم [illegible] رقم [illegible].

[2] قصص الأنبياء، ابن كثير ص[illegible].

[3] الكشاف، الزمخشري [illegible].

[4] التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي [illegible].

الحسي.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ (8)﴾ [الحاقة: ٦-٨].

ثانياً: الاغترار بالقوة والمال.

قال تعالى حكاية عن قول هود عليه السلام لقومه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131)﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣١].

في هذه الآيات يخاطب هود عليه السلام عن الأحوال التي كان عليها قومه منكراً عليهم صنيعهم لما فيها من مظاهر الفساد والبطر والإسراف في الشهوات وهذه الأعمال وإن كانت في أصلها مشروعة كالبناء وغيره، لكن المنكر في تحويلها عن مسارها واستعمالها في غير غايتها [illegible].

فأولها: قوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ الريع: هو المكان المرتفع، وجمعه أرياع، وهو ارتفاعها[1].

قال المفسرون: وتعريفه في اللغة أن يقال لما ارتفع من الأرض ريع وللطريق ريع[2]، ثم اختلف في معنى "الآية" فقيل: أي علامة، لارتفاع الآية على المرتفع المحسوس؛ لأنه يكون علامة على الاستعلاء أو عظمة صاحبها[3].

والمعنى يحتمل أربعة وجوه:

الأول: الريع هو المكان المرتفع، عن ابن عباس: أنهم كانوا يبنون بكل ريع علماً، أي: أنهم يبنون في كل مكان مرتفع مشرف بناء شاهقاً للافتخار والعبث ليكون بارزاً للعيان للسائرين في الطرق، ولما كانوا مبالغين في هذا العمل الظاهر بقصد التفاخر كما يدل على ذلك لفظ "الآية"، وكانوا غير محتاجين إليه كانت أعمالهم عبثاً لا طائل منه ولا يحتاج إليه إلا للتفاخر والتعالي.

الثاني: الريع: الطريق، لذا ذهب قوم إلى أنهم كانوا يبنون على كل الطرق علامة للعبث بسالكيها ويطلبون مرصداً للمارين ومراقبة لمن يمر في الطريق إلى هود عليه السلام أو ليسخروا ممن يمر في الطريق عبثاً وهو الأول على ما يترجح عندي.

والثالث: العبث المحسوس: ﴿تَعْبَثُونَ﴾ ومعنى العلامة وعملها على المعالم التي يهتدي بها السالكون الطرق لأنهم كانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في

---

[1] مختار الصحاح، الرازي: ١/ ٢٣٣.

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٣/ ١٢٣.

[3] التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٩/ ١٦٧.

عليهم أعلاماً طرقاً [illegible] مرة أخرى لكن [illegible] حيناً بالنجوم⁽¹⁾.

ذهب ابن عاشور أن هذا المعلم كلمة في الأصل العرفي مستعمل لم تحول عن إلى الهداية [illegible] أصل علامة لهم كثرة بها في طرق أسفارهم أعلاماً ومعالم تدلّه على الطرق كيلا يضل السائرون في تلك الرمال المتشابهة التي لا تبقي فيها آثار السائرين، واحتفروا وأسسوا مصانع للمياه وهي الصهاريج تجمع ماء المطر في الشتاء ليشرب منها السابلة، وينتفع بها المسافرون في زمن [illegible] الأعلى، وبنوا حصوناً وقصوراً على أطراف من الأرض، وهذا من الأعمال النافعة في [illegible] [illegible] من الهلاك في الأرض، وإضلال الطرق، ومن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كانت [illegible] [illegible] آمالاً وأعراب [illegible]⁽²⁾.

ثم [illegible] هذا إذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بما [illegible] الرياح والأنهار والحجارة [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] إلى جانب [illegible] على الأرض في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الصحيح [illegible] [illegible] [illegible] أنها خلقت من نوع الطاقات الصحية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] لتكون [illegible] [illegible]⁽¹⁾.

الرابع: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النجوم [illegible] ﴿[illegible]﴾ أي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كأ علاقا [illegible] بها على حتى [illegible] النجوم [illegible]⁽²⁾.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إنما على [illegible] ثم على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النجوم أعلاماً من أجل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] على [illegible] بالنجوم.

[illegible] قوله: ﴿[illegible] [illegible] [illegible]﴾ فالمصابيح جمع مصباح [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والصبح [illegible] [illegible] [illegible] الأشكال [illegible] بالمصابيح⁽³⁾.

والمصباح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ⁽⁴⁾ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الأرض⁽⁵⁾ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي [illegible]، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible].

[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible].

[1] انظر: المصدر السابق.

[2] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي [illegible]، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible].

[3] المفردات في غريب القرآن، الراغب ص [illegible].

[4] المصباح المنير، الفيومي [illegible].

[5] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible].

ويقال [illegible] الماء [illegible] الأرض أو [illegible] كلها تصلح [illegible] والصورة المكملة ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي﴾ [illegible] في البطن أو بسبب [illegible]

ويعبر الظلال عن قوله ﴿[illegible]﴾ إنها [illegible] على [illegible] من العطف [illegible] على [illegible] ومن [illegible] في [illegible] [illegible] من [illegible] ومن [illegible](1)

وبها [illegible] هذا الفصل [illegible] على الأصل [illegible] من الأمر مع [illegible] على [illegible]

والشاهد قوله ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ الخطاب [illegible] عند العرب [illegible] في كل [illegible](2)

وتشمل الصور إصلاح الشيء بالضرب من [illegible] التي [illegible] في الأصل [illegible] على أن [illegible] الأمر الذي [illegible] في الآثار الشعرية [illegible] في سنة الإنسان [illegible] من [illegible] لا [illegible] لا يقال إلا على طريق [illegible] عز وجل ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقوله تعالى ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقوله عز وجل ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقوله عز وجل ﴿[illegible]﴾ [illegible]

أي [illegible] من [illegible] الحق [illegible] إليه(2)

فهو عليه السلام يخاطب قومه في هذه الآية [illegible] ليس من [illegible] في طريقة [illegible] مع [illegible] مع [illegible] في [illegible] في [illegible] من [illegible] على [illegible] لا على طريق [illegible] على [illegible] [illegible] من [illegible]

---

(1) الكشاف، الزمخشري ج[illegible] ص[illegible]

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

(3) [illegible]

(1) المفردات، الراغب الأصفهاني ص[illegible]

(2) مفاتيح الغيب، الرازي ج[illegible] ص[illegible]

الشعوب كشرط أو سبب لكل ذلك تقليداً وهو لا يستند فيه الحجية الآلهة مراعياً الطقوس مع السحرة والتحويل حول الإطار ولا إيمان ولا ثبت في المستمع الصامت في به ولا الفكر في الموروث ، وذلك شرط الوهم واستواتهم بالخطأ من الحقائق.

من حاصل الأمر في هذه الأمور الثلاثة أن الطغاة الأربعة الطلبات يدل على حب الظهور والطغاة الصالح يدل على حب الرئاسة والعبادية تدل على حب الفخر ، وعلى ترجع المسائل إلى أهم أمور الطاغوت الفخر والعز والتفاخر ونحو مظاهر الإلهية وهي صحبة المسرات للعلية قد تدل على أن حب الطغاة كلما مال عليهم بحيث المغرقين له وطردوا من حد العبودية وسخر حوله أبناء الربوبية وكل ذلك يدل على أن حب الدنيا رأس كل خطيئة ومرد كل فكر ومعصية(1)

وهكذا واجه موسى عليه السلام وهو على الطغاة الفرعونية لسلة القوم وأشرعها وطغيانها.

ثالثاً: موسى عليه السلام

تحمل موسى عليه السلام أعباء الرسالة ومكابدة الأهوال والتحدي متحملاً من خلال توحيد الله والتوحيد والصبر أعباء الأذى والطغاة لظلمهم وجبروت الشعب كما كان موسى عليه السلام متحملاً بعقول قومه المريضة ما يلقاه قومه من الأسر والقهر وما هم عليه من انحرافات عقلية ومخاطبتهم على مستوى عقل من تلقى على المعجزة والمحسوسات ولا تزال تلك الآية تطلب أنفسهم والتي أثبتت النبوة تطلب ألا تحرك المسيرة وإظهار بها من أولادها الحياة [illegible] ولا يكتب الله لهم إلا من استطاع أن يتبع الكرامة على الصراع الذي رسمه الله تعالى له.

قال تعالى: [illegible] [illegible]

ويمكن أن نبين معالم دعوة موسى عليه السلام وأصولها وأركانها ومراحله في الدعوة وحركته على أنه رسالة من خلال النقاط الآتية:

أولاً: الدعوة إلى الإيمان بالله وحده

أرسل الله تعالى إلى هؤلاء القوم موسى فهو واحد من أنفسهم يطلع على ظلمهم ويحس بآلامهم ويدرك ما يعانون ويعيشون البلية كثيراً على معاناة أحوالهم

---

(1) انظر: [illegible] في ظلال القرآن ج [illegible]
(2) مصابيح [illegible] ج [illegible]

فهم يعرفونه بمعرفته السابقة [illegible] والله أعلم إلى [illegible][1]

وقد جاءت دعوته عليه السلام على أسس متكاملة ثلاثة هي التي قامت عليها دعوة ورسالات الأنبياء وهي:

الدعوة إلى الإيمان بالله وعبادته وحده وترك كل ما يعبده الناس من آلهة باطلة.

حمل نوح عليه السلام لواء الدعوة إلى الله تعالى في زمانه معتمدا على الأساس الذي قامت عليه دعوة الأنبياء من قبله ومن بعده كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝﴾ [الأنبياء: 25].

وإذا كان نوح عليه السلام حلقة من سلسلة الأنبياء الذين [illegible] في التاريخ البشرية داعين إلى الله [illegible] والمعبرة [illegible] الرسالات من بعده.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا [illegible]﴾ [الشورى: 13].

قال ابن الجوزي في تفسير هذه الآية: [illegible] الرسل من قبل نوح [illegible] إلا الله [illegible] ثم [illegible] ولا [illegible] إلا [illegible] بعبادة الله وحده[2].

وهي عبادة [illegible] التي دعا إليها نوح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: 59] وقال: ﴿[illegible] أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝﴾ [المؤمنون: 23] وقال: ﴿[illegible] عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝﴾ [هود: 26].

وهي دعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له [illegible] قوله ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ جوهر العقيدة التي هي مفتاح صلاح [illegible] واستقامة أمرهم [illegible] على الحق الذي [illegible] فالعبادة لا تنبغي إلا لله وحده [illegible] على هذه المعاني قوله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ هي العقيدة الراسخة التي لا [illegible] لا [illegible] على أي [illegible] في الربوبية [illegible] بكل خصائص الألوهية من خلق [illegible] القدرة [illegible] من [illegible]

وهذه الدعوة مع [illegible] كل ما يعبدونه من آلهة [illegible] لا أصل من مقومات الألوهية [illegible] وهي آلهة

---

[1] انظر: [illegible] محمد [illegible]

[2] زاد المسير، ابن الجوزي [illegible]

ظاهرة البطلان مخالفة للعقول، [illegible] في ضلال مبين، [illegible] لها لا يستحق العظيم فقال [illegible] ﴿[illegible]﴾ ألا [illegible] الله [illegible] وهو الإله الذي لا إله إلا هو سواه[1]

قال الإمام الرازي: اعلم أنه هودا عليه السلام دعا قومه إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام بالدليل القاطع وذلك أنه بين أن نعم الله عليهم كثيرة عظيمة وصريح العقل يدل على أنه ليس للأصنام شيء من النعم على الخلق لأنها جمادات والجماد لا قدرة له على شيء أصلا، وظاهر أن العبادة نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام، وذلك يدل على أنه يجب عليهم أن يعبدوا الله وأن لا يعبدوا شيئا من الأصنام، ومقصود الله تعالى من ذكر [illegible] على [illegible] هذه الحجة التي ذكرها ثم إن هودا عليه السلام لما ذكر هذه الحجة اليقينية لم يكن من القوم جواب عن هذه الحجة التي ذكرها إلا التمسك بطريقة التقليد فقالوا ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾ [الأعراف: ٧٠][2]

ولما تولى هود عليه السلام كشف ضلالهم وضلال آبائهم وإعراضهم في [illegible] أنها مجرد أسماء فارغة مجردة عن أي من صفات الألوهية واختصاصها من الله ﴿أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان﴾ [الأعراف: ٧١]

حيث أنكر عليهم مجادلتهم في آلهة ظاهرة البطلان تحمل أسماء اخترعوها من [illegible] الأصنام والآلهة مع أنه ليس للألوهية فيها نصيب، وهذا غاية الضلال حيث [illegible] [illegible] من الحجر [illegible] [illegible] وسموا آلهة [illegible] وليس له من الآلهة شيء[3]

وقال ابن جزي الكلبي في تفسير سميتموها يعني الأصنام أي تجادلونني في عبادة مسميات أسماء هي الآلهة [illegible] والمراد بقوله: سميتموها أنتم وآباؤكم [illegible] أنها أسماء [illegible] على أنها مسميات فلا [illegible] أن [illegible] لم سميتموها [illegible] من غير دليل على [illegible] [illegible] على القول الأول في [illegible] [illegible] في تسميتها آلهة[4]

فقوله: ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ [illegible] من [illegible] عليهم من العذاب والهلاك[5]

---

[1] جامع البيان للطبري [illegible]

[2] مفاتيح الغيب للرازي [illegible] ٢

[3] المحرر الوجيز [illegible]

[4] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢٩٣

[5] مفاتيح الغيب للرازي [illegible]

وهكذا يحمل هود عليه السلام الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده منتقلاً إلى عناصر [illegible] إلى [illegible]

فمرة يربط الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده بالتقوى التي يراد بها الاستقامة على أمر الله بطاعته وطلب رضوانه والتطهر من معصيته المفضية إلى التعرض لعقابه وسخطه، قال: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢٤].

ومرة أخرى يربطها بالتطهر من الذنوب ويجعلها مدخلاً [illegible] من الأخطار التي [illegible] بما لا علم لهم به ولا [illegible] هو الأمر [illegible]، قال: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢].

قال الرازي في تفسير هذه الآية: [illegible] إذا [illegible] هذه الأسباب [illegible] المباركة وكيف لا يكون [illegible] والولد [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] والإنسان هو الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [1].

ومرة أخرى يجعله مدخلاً للدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر والتحذير من عواقبه، قال: ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢١].

وجعلها كذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى ما [illegible] من [illegible] [illegible] الأساس الذي [illegible] من الأسس المنهجية لمحاورة هود عليه السلام حيث قال: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: ١٣٠-١٣١].

وهكذا يبدأ هود عليه السلام أن [illegible] هي الأساس الذي يبنى عليه كل إصلاح.

[illegible]

لقد أرسل الله تعالى [illegible] رسولاً إلى [illegible] [illegible] [illegible] كما في سورتي الأعراف وهود حيث قال: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [الأعراف: ٧٣].

---

(١) التفسير الكبير للرازي ج ١٨ ص [illegible].

عطفا على قوله ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه﴾ [الأعراف ٥٩].

أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا، وقوله ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ [هود ٥٠] عطفا على قوله ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين ﴿٢٥﴾﴾ [هود ٢٥].

وبين [illegible] من حيث مكانه مع قومه كما في الأحقاف حيث قال ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ [الأحقاف ٢١].

وذكر في هذه الرسل كما في سورة فصلت حيث قال ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴿١٣﴾ إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ [فصلت ١٣-١٤].

ويعلل هود عليه السلام الدعوة إلى [illegible] والرسالة وتطبيقاتها من العناصر الأساسية في معركة التوحيد كما هي في معركة كل نبي [illegible] الحقيقة التي أعطاه الله تعالى إياها. ولا بد من إعلامهم بهذه الحقيقة بصراحة ووضوح مع إقامة الحجة وإظهار البينة حتى يقع الإلزام بالاستجابة إليه وطاعته فيما يأمر وينهى فما هو إلا مبلغ عن الله تعالى. وقد جاءت هذه الحقيقة واضحة في آيات عديدة منها قوله تعالى ﴿إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون ﴿١٢٤﴾ إني لكم رسول أمين ﴿١٢٥﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٢٦﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴿١٢٧﴾﴾ [الشعراء ١٢٤-١٢٧].

وفي موضع آخر على لسانه يقول ﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ﴿٦٧﴾ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴿٦٨﴾ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم﴾ [الأعراف ٦٧-٦٩].

وقد تضمنت هذه الآيات عدة أمور: إثبات الرسالة والرسول من حيث ذاتها وأدلتها وصفات الرسول والرد على شبهات القوم حولها.

فطمأنهم أنه رسول من رب العالمين، أي: أنه أرسله الله الخالق المربي والعالم بحاله أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم [illegible] كما أمرني أن أبلغها، وجاءت في سياق الرد على وصفهم له بالسفه قال ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ استدراكا عما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والأمانة والصدق والأمانة، فإن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما، كأنه قيل: ليس بي شيء مما تنسبونني إليه، بل أنا في غاية ما يكون من الرشد والصدق ﴿أبلغكم رسالات ربي﴾ [illegible] على أنه [illegible] على الأمر وجه رسالات ربي التي أرسلها إلي لكونها من سوق العقل إليكم وطلع الخير منكم.

---

[١] إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٣/٢٣٤.

وأما الطبرسي [illegible] عليه السلام بعد بيان عمومها للمكلفين للإنذار [illegible] الحكم الذي هو [illegible] تعالى [illegible] تعالى له من [illegible] تعالى بجميع رسالته(1)

[illegible] مع أن [illegible] الأولياء [illegible] لأن [illegible] المعنى [illegible] أن [illegible] رسالة [illegible] عليهما السلام(2)

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [illegible] من [illegible](3)

ومعنى ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ أي [illegible] من [illegible] على أن [illegible] مع [illegible] من [illegible] منه: [illegible] أجر الله تعالى [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] ما أمرت كما أمرتم(4) [illegible] في الدنيا [illegible](5)

ومعنى [illegible] من [illegible] وهي [illegible] وهي [illegible] على [illegible](6)

ومعه [illegible] منه أي ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أي [illegible] عليه السلام [illegible] على أن [illegible] لا [illegible](7)

[illegible] في [illegible] من [illegible] على ما [illegible] من [illegible] ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [هود: ٥١].

ما من رسول إلا [illegible] ولا [illegible] إلا [illegible] وما [illegible] إلى الله تعالى [illegible] من [illegible] في [illegible]

---

(1) روح المعاني، الآلوسي ج[illegible] ص[illegible]

(2) مجمع البيان، الطبرسي ج[illegible] ص٣٨٢ بتصرف

(3) المصدر السابق

(4) جامع البيان، الطبري ج[illegible] ص[illegible]

(5) روح المعاني، الآلوسي ج[illegible] ص[illegible]

(6) [illegible] ج٣ [illegible] بتصرف

(7) روح المعاني، الآلوسي [illegible] ٣٩

ثم وجه إليهم سؤالاً إنكارياً بقوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ أرشدهم إلى استعمال عقولهم لمعرفة الحق من الباطل والصحيح من الفاسد(1) منطلقين من وضعية من لا يطلب عليها أجراً إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا غرو فهو أبعد الناس عن الضلال(2).

ثم دعاهم إلى إعمال عقولهم بإزالة هذه العوائق وهي أسباب التكذيب والإعراض من معرفة كلامهم أن ذلك لا يقوم على منطق أو عقل كريم به المنصفة وإنما هو مجرد الاستبعاد والاستغراب الذي سرعان ما يتبدد أمام الفكر الحر والنظر السليم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ [سبأ: 46].

أي: لا أعظكم وأوصيكم إلا بخصلة واحدة ﴿أَن تَقُومُوا﴾ أي: ومع جماعة على حال منكم أي: على الحق ورجل منكم عرفوه ولم يكن ذلك على الحق من لا تعرفونه أو لا تعرفون لكنه رجل ﴿وَفُرَادَىٰ﴾ بمعنى: أيضاً رجل منكم لا يجل أن يطرأ به ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ ما بصاحبكم ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ بسبب ما يشهد الإنكار اللوم والتحري منكم من السهر أو حسابه سبحانه أكرم من أن يرسل مجنوناً(3) أي على حال منكم أي من صاحبكم أو من جنكم وكانوا يعجبون من إرسال البشر بقولهم: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [سورة ق: 2](4).

وهكذا يصل هود عليه السلام الدعوة إلى الذروة ويقيم البرهان على ثوابتها في العقيدة الإسلامية.

3- الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر وما يترتب على النفس من حسن الاستعداد بالعمل الصالح واستشعار ضعف الدنيا فيما يحقق حسن الاستعداد الذي يأتي به الإنسان في دار البلاء وأنه سيحاسب على أعماله فيها وأن الآخرة هي دار الجزاء هو الأساس الثالث لدعوة هود عليه السلام وقد حذر هود عليه السلام قومه من عاقبة هذا اليوم واصفاً إياه بأنه يوم عظيم.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿21﴾﴾ [الأحقاف: 21].

وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿135﴾﴾ [الشعراء: 135].

فما كان منهم إلا التكذيب بهذا اليوم

---

(1) تفسير أنوار التنزيل للبيضاوي 3/ 368.

(2) الكشاف 3/ [illegible].

(3) تفسير القرطبي 14/ 313.

(4) التفسير المنير [illegible] 11/ 314.

التي وصفها الله تعالى بالقارعة فقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ④﴾ [الحاقة: ٤].

ثم ذكر القرآن الكريم [illegible] للتكذيب بكل ما جاء به هود عليه السلام من الإيمان بالله تعالى، [illegible] هود عليه السلام [illegible] للتكذيب بالرسل جميعهم ثم التكذيب [illegible]: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ⑬﴾ [الشعراء: [illegible]].

وكأنه بتكذيبهم [illegible] قد كذب بالرسل.

ومما يدل على [illegible] هود عليه السلام [illegible] باليوم الآخر [illegible] من خلال ما جاء في سورة المؤمنون [illegible] القرآن الكريم [illegible] الكريم.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ⑬ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ⑭ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ⑮ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ⑯ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ⑰ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ⑱﴾ [المؤمنون: [illegible]].

[illegible] مكذبون بالآخرة [illegible] بعد الموت [illegible] بعد أن يصيروا ترابا وعظاما [illegible] من قومه كما [illegible] الرسل [illegible] على سبيل الاستفهام [illegible] إذا متم [illegible] ترابا [illegible] مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم [illegible](٢)

وكل ذلك يدل على أن دعوة هود عليه السلام إلى الإيمان باليوم الآخر وما يجري فيه من حساب [illegible] كما [illegible] من [illegible] من الكافرين.

ومع الجهود [illegible] المتواصلة التي بذلها هود عليه السلام [illegible] إلا القليل [illegible] في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: [illegible]].

[illegible] الملأ الذين كفروا [illegible] من [illegible] قوم هود [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) المصدر السابق [illegible]

سعة الأفق لديهم وكذلك يكون إصلاحه للأفراد [illegible] بأسرهم ولم يكن في أكثر [illegible] قوم [illegible]

وهكذا نجد الدعوة بالقيم الأخلاقية [illegible] الشعوب تتحمل مسؤولية إصلاحها وما يترتب على ذلك من الثواب والعقاب في الدنيا [illegible] الإصلاح.

ثالثاً: الدعوة إلى الإصلاح

اهتم [illegible] من مظاهر الفساد [illegible] من خلال قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۝ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۝ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝﴾ [الشعراء: ١٨١-١٨٣].

وهذه الآيات مع ما تضمنته من الدلالة على ما [illegible] من المعاملة [illegible] لأنها تختلف عن مظاهر الفساد [illegible] الانحراف عن المنهج السليم في استعمال [illegible] المعاملات [illegible] التي [illegible] الإنسان إذا ما [illegible] له أسباب التمكين في الأرض.

كما نلحظ أيضاً [illegible] عليه السلام في الإصلاح حيث لم تقتصر دعوته عليه السلام على [illegible] وإنما [illegible] إلى [illegible] في سائر [illegible] حيث لا تمثل الأمين من الحياة في رسالات الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

فيذكر عليهم السلام في الدعوة [illegible] الكيل بالمكيال والإنقاص من [illegible] والتطفيف والاستغلال في البيع [illegible] إليه كما يذكر [illegible] من أمر [illegible] فيها من [illegible] مع [illegible] من [illegible] والاستغلال [illegible] عليهم ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۝ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۝﴾ وكذلك [illegible] من ذلك [illegible] بالمعاملة [illegible] ومن [illegible] [illegible] في [illegible] إلى أن [illegible] [illegible] الأرض [illegible] والمعاملة[٢]

كما يذكر عليهم [illegible] الصالح [illegible] ومع [illegible] وما [illegible] من [illegible] [illegible] إلى [illegible] عليها يكون [illegible] مع [illegible] من الأمر [illegible] من أي عمل غير [illegible] من [illegible] أو [illegible] على [illegible]

[illegible]

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ج٥ ص ٢٦١٥

غلب عليهم الرعب وأيقنوا بهلكتهم.

كما أنكر عليهم طريقة استعمالهم لما أسبغه الله من قوة لهم فبطشوا وبطشوا بطشة الجبارين من غير رحمة ولا حق.

فهو عليه السلام لم ينكر على قومه امتلاكهم القوة مطلقاً تتجلى في الأرض وعلامات لهمة عالية في مجاهل الصحراء لإرشادهم ولا اتخاذ المصانع في الحياة لجمع الماء عند نزول الأمطار وخزنه واستعماله وقت الحاجة إليه من قسوة ومنطق الأقوى وسيادة الغضب والتسلط.

ولم ينكر عليهم اتخاذ القوة التي لا يمكن التمتع بها في موضعها مع من يستحقه ولكنه ينكر عليهم تحويل مسار هذه المصانع في غير وجهتها إلا لقوة المباني والآثار مما لغير حاجة إلا للعبث والإعجاب في القتال والتفاخر والتباهي كما ينكر اتخاذ المصانع على أنها أسس أسباب الترف والانغماس في العبث الغافل عن ذكر الله على هذا النعيم ينسيهم في الآخرة فأصبحوا غافلين عن الآخرة ليس لهم هدف ولا مطلب أخروي وكذلك استعمال القوة في غير موضعها لقوة وسعة أو سطوة.

وهذا يجمع بعد على القوة المختارة التي ينبغي منها لوجه من طغيان الرعيتهم على البشر لا يرحمون إلا الطغاة لا يرحمون القسوة عنفاً ولا غلظة مع قسوة القلب في التعامل مع من هو أضعف منهم فلا يرحم صغيرهم ولا كبيرهم مأموره.

ثانياً: التذكير بنعم الله

لما ذكر هود عليه السلام ما كان عليه قومه من مظاهر الفساد كاشفاً لهم عن ظلمهم وتعاليهم واستعلائهم أمرهم الله إلى غير موضعها قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ أي: احذروا غضب الله في جميع سخطه وجميع مكارهه وأطيعوني لأمري فهو طريق مرضاته وسبيل إرضاء سخطه وذلك لوجوهها لهم إلى الآخرة ويحمي لهم من حب الدنيا والانشغال بالترف والحرص والتجبر. ثم وصل بهذا الوعظ ما يؤكد التذكرة ويحرر النفس على نعم الله تعالى عليهم بالإجمال أولاً ثم التفصيل ثانياً لتذكيرهم من سنة ظلمهم عنها حيث قال: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء:١٣٢].

ثم فصلها من بعد بقوله: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۝ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء:١٣٣-١٣٤].

ثم حذرهم من عذاب الله في حال التعنت والإعراض فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:١٣٥].

فبلغ في تذكيرهم بالوعظ والترغيب والتخويف والبيان الوافية فكان جوابهم

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١].

حيث صبروا [illegible] [illegible] [illegible] واستهزائهم بما أوذوا، وصبروا عن [illegible] [illegible] ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ولم يكتف [illegible] [illegible] [illegible] القصر [illegible] ولكن لما في [illegible] من زيادة إظهار الاهتمام مع الاختصاص [illegible] المعنى ليس [illegible] [illegible] لأن المراد [illegible] [illegible] هذا الفعل الذي هو الفوز [illegible] [illegible] من أجله [illegible] [illegible] إلى الله [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible](٢).

والشكر [illegible] من الفضائل المهمة التي يقوم بها الأولياء الصالحة على الشدائد في [illegible] الشكر، ولذلك [illegible] [illegible] الله تعالى في الشدائد أن [illegible] بالشكر [illegible] على [illegible].

رابعًا: أخذ العبرة من قصص الأقوام السابقين.

مما يعطي [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] إلى النفس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] لها الأفعال [illegible] له [illegible] [illegible] من القصص الأولى [illegible] [illegible] [illegible] كما قال: ﴿[illegible]﴾ [illegible](٣). ولذلك لما فيه من اللطف من سنن الله تعالى في الأمم حيث جرت سنة الله تعالى بإرسال الرسل لإصلاح ما فسد من أحوال الأمم وإنعامهم بالآيات [illegible] [illegible] [illegible] لإقامة الحجة على من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حالهم، وإن [illegible] حل بهم ما حل بغيرهم من المكذبين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القصص.

ولما كانت [illegible] أحوال الأمم [illegible] القرآن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العبرة حيث حل [illegible] [illegible] [illegible] إلا [illegible] [illegible] أصحاب [illegible] [illegible] عليه السلام [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: [illegible]].

ولا [illegible] [illegible] لهم [illegible] عليهم [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

(٢) [illegible] [illegible] ٣٣

(٣) [illegible] [illegible] [illegible]

عميا وصراصر وكانوا يعبدون الأوثان فأمرهم الله أن يحل بهم مثل ما حل بهم من الطغاة [illegible] منهم [illegible] في قوم قوم العرب على مخاصمتهم إياه وإنكارهم عليه.

ويقول المفسر الزحيلي من حيث إنهم جاءوا بعد قوم نوح في الإقليم أنهم إنما يسكنون وكل خلفه في الأرض من بعد أنهم أمثالهم مثل قوم نوح[2] ولا يخلو من المعاصي لأنهم مثلهم مثل ما أصابهم.

خامسًا: الأمر بالاستغفار والتوبة

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: 52].

ثم أمرهم استعمالهم وإرشادهم في الإيمان من باب الإصلاح العملي لما هم عليه من الفساد وذلك بالإقلاع عن الطغيان والإلزام بالحق الذي عبر عنه بقوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أمر به ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ لما يترتب عليه من آثار الحق [illegible] العلم في باب الدعوة إلى الله والترغيب فيه من خلال ما عصوا إليه [illegible] وما كانت همتهم مصروفة لما [illegible] في هذه الغرض الثاني والمقصود الأصلي [illegible] الفوز بالسعادة الأخروية[3].

وذلك من خلال التوجه إلى الله تعالى التوبة بعد طلب غفران كل ذنب بالاستغفار وذلك يطلب المغفرة لما مضى من خطايا فرده والتوبة إليه وذلك بالإقلاع عن فعله فيما يستقبل وذلك أن الذين يسلكون أهم من المطالب أمرين رئيسين هما يطلبونه في الدين حيث يطلبون فيه [illegible] والراحة في الدنيا ويطلبون فيه الفوز بالآخرة من طول أيامهم [illegible].

وإنه بين الإمام الرازي ما بين الاستغفار والتوبة من فرق تلك التوبة الأولى أن معنى توبوا وأن استغفروا اطلبوا من ربكم المغفرة التي تكون ثم بين الشيء الذي يطلب به وذلك وهو التوبة فتلك ثم توبوا إليه لأنه الداعي إلى التوبة والمحرض عليها هو طلب المغفرة وهذا يدل على أنه لا سبيل إلى طلب المغفرة من عند الله إلا بإظهار التوبة والأمر في الحقيقة كذلك لأن المطلب معرض عن طريق الحق والمعرض والمتمادي في التباعد ما لم يرجع عن ذلك الإعراض لا يمكنه التوجه إلى المقصود بالذات التي هي محو الأوزار السابقة إلا بالإقلاع عن الأوزار السابقة ثم تجب أن الاستغفار مطلوب بالذات وأن التوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار [illegible]

---

(1) جامع البيان للطبري (...) بتصرف.

(2) المصدر السابق.

(3) انظر: غرائب القرآن النيسابوري.

كان الفرد في المسيرة كذا أولاً في الطلب طلبها السبب كم الاستغفار على الرزق.

الوجه الثاني: في هذا هذا الترتيب أن المراد استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا إليه في المستقبل.

الوجه الثالث: وأنه استغفروا من الشرك والمعاصي ثم توبوا من الأعمال الباطلة.

الوجه الرابع: الاستغفار طلب من الله إزالة ما لا ينبغي والتوبة سعي من الإنسان في إزالة ما لا ينبغي فقدم الاستغفار ليدل على أنه المرء يجب أنه لا يطلب الشيء إلا من مولاه فإنه هو الذي يقدر على تحصيله ثم بعد الاستغفار ذكر التوبة لأنها عمل يأتي به الإنسان ويتوصل به إلى دفع المكروه والاستعانة بفضل الله تعالى مقدمة على الاستعانة بسعي النفس(1)

﴿يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ وهنا إنما خصص هذين النوعين من السعادات الدنيوية من كثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا حراصا على جمع الأموال من وجوه العمارات ولذلك كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من هذه القوة والبطش والبأس والنجدة مستظهرين بها ومستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية(2)

وقيل الأولاد لأنه أصل جميع النعم والبدن أصل في الانتفاع بالنعم(3)

وفي هذا الأسلوب سلك هود عليه السلام مع قومه مسلكا رحيما حيث يجب محبة مشاعرهم ومواجهة عواطفهم فهو وعلم بميل نفوسهم إلى المال والمزارع والزراعة كما أن هذه القوة ليست مقصورة على البدن وإنما تتحقق في خزينة العالم حينئذ قد واجههم بطريقة الأمر والإكثار لأسلوب ربما على قولهم تزويدا وأنكم مالك سبيلا يعبر تبارك من أحكامهم على المطالب لما يطابق حاجتها ويجيب طلباتهم رغبا ورهبا ولعاطفة طيبة بدلا من صلفهم وكبرهم معه وذلك من خلال الأسلوب الذي عرض به الاستغفار والتوبة(4)

والملاحظة هنا المنهج الذي اتبعه هود عليه السلام أنه يسير بخطوات واضحة على بصيرة حيث يحدد أسس أتباعه السليم الذي يريد الخلاص وعلى المنهج الذي يريد استخدامه ويصل إلى المراد من جميع المداخل الموصلة بطريقة وأسلوب حكيم [illegible]

---

(1) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٠/ ٢

(2) الكشاف، الزمخشري ٢/ [illegible]

(3) غرائب القرآن، النيسابوري ٤/ ٤٠ بتصرف.

(4) انظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس ١

حتى واقعنا الحاضر بما يترتب عليها من الشرائع.

توقفت هنا مع سورة (هود) قصيرة

أولاً: التكذيب والإنكار

لم تختلف عاد عن الأمم التي كذبوا الرسل، حيث عرضهم القرآن في عداد الأقوام من المكذبين في مواطن عديدة منها قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ⑫ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ⑬ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ⑭﴾ [ق: ١٢-١٤].

وقوله سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ⑫ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ⑬ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ⑭﴾ [ص: ١٢-١٤].

وفي سورة إبراهيم قال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ⑨﴾ [إبراهيم: ٩].

كما أورد القرآن ذكر عاد مع ثمود في مواطن عديدة مع ما يعقبها من [illegible] في عرض التكذيب فقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ④﴾ [الحاقة: ٤].

وفي رواية عمي عليه السلام
ورواها ابن ابي جمهور عليه السلام قال
رسول الله صلى الله عليه وآله
[illegible] وقال الله تعالى
[illegible] الآية [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible]

ساحر كذاب.

ويظهر كذلك اعتراضهم بنزول الملائكة من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

والمعنى: لو شاء ربنا أن نوحده ولا نعبد من دونه شيئاً غيره لأنزل ملائكة من السماء رسلاً بما تدعونا إليه، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا، [illegible] وما سمعنا بهذا الذي [illegible] لم يزل [illegible] آباؤنا [illegible] ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ في [illegible][1].

ويترتب على دعوى المماثلة بين البشرية والرسالة أن تعتقد: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧].

أي: وما [illegible] ﴿بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ لا يصلح هذا [illegible] حجة [illegible] على [illegible].

فأجابهم هود عليه السلام بقوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٩].

أي: [illegible] أن [illegible] على لسان رجل منكم [illegible] من [illegible] أو من جنسكم[2] [illegible] لا [illegible] حجة على المكذبين ولا دليلاً [illegible] على الإنكار إلا التعجب والاستبعاد.

وإنكار بشرية الرسول، وطلب نزول الملائكة أمور تكرر عند المكذبين، وقد رد القرآن عليه في مواطن كثيرة من القرآن منها قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

والمعنى: هذه الآية تبين أن الأمر كذلك [illegible] أن التماثل في البشرية والإنسانية لا يمنع من الاختصاص [illegible] بمنصب النبوة؛ لأن هذا المنصب منصب يمن الله به على من يشاء من عباده [illegible] هذا الأمر [illegible] على [illegible][3].

كما جاء على لسان نوح عليه السلام قوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ [هود: ٢٨].

[illegible] على قول الملأ من قومه: ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ [هود: ٢٧].

---

[1] جامع البيان للطبري [illegible].

[2] [illegible]

[3] [illegible]

أي إذا جاءه الأمر عليكم لا يعود ولا يمكنه أن يصلح منه أو رفضه.

وفي قوله طلب نزول الملائكة وكتاب القرآن من أن هذا الطلب لا يعدو أن يكون مغالطة منهم لأسباب منها أورد شبهتهم وأجاب عنها وبين ذلك سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ⑧ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ⑨﴾ [الأنعام: ٨-٩].

أما الوجه الأول ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي عاجلهم بطلب الاستئصال إذا لم يؤمنوا بعد ظهور آية يطلبونها، أما الثاني فهو ورود الملك فلا بد أن يظهر بصورته الملائكية وعندها ستزول أبصارهم لعدم تحمل حواسهم رؤية الملائكة ولذا لو ظهر بصورة بشر ولبسنا عليهم الأمر فيحيرونه إذ كأنه إلا بشر(١).

ثالثاً: إنكار البينات

لم يظهر هود عليه السلام عجزاً في محاورة قومه سواء في مساجلتهم العقلية من طرح الحجج والأدلة التي تهدف إلى الإقناع وإزالة الشبهات التي يثيرونها أو الإتيان بالمعجزات التي تقطع على الشبهة بالقطع الشبهة، إلا أن القوم أنكروا تلك البينات وذلك مشابهة منهم في إنكار معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث اتهموه بالسحر والأساطير، وإنما يأتي السحر من هذه المقالة ويكون الإعجاز بعد سورة المدثر ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝﴾ [المدثر: ٢٤-٢٥].

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [هود: ٥٣] فاتهموا هوداً ﴿اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ كما اتهمت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنون: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۝﴾ [القلم: ٥١].

فلم يسلم منه نبياً ولكن العلماء قرروا ظهور المعجزة مع إرشاد الأقوام من غير سلالة ولا رؤية لأي من الأنبياء(٢).

وكذلك الإنكار تكرر منهم بحجة لتأويل البينات التي جاءهم الرسل الظاهرة والمعجزات الباهرة، ولذا لم يجن لها مفعولاً(٣) كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ٧/ ٢١٣، التفاسير المعاصرة ١٢/ ٣، مفاتيح الغيب، الرازي ١٨/ [illegible].

(٢) غرائب القرآن، النيسابوري ٣/ ٣٦.

(٣) انظر روح المعاني، الألوسي ٣/ ٢٤٨.

[illegible] ﴿٤﴾﴾ [البقرة: ٤٩].

وفي سورة إبراهيم نجد مثلاً من أقوام الماضين فقال: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩].

فالبينات هي الحجج والآيات على [illegible] ما يدعوهم إليه من معجزات(١).

[illegible] عليه السلام بالبينات [illegible] قوله صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)(٢).

ومعنى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾: ردوا عليهم أقوالهم وكذبوهم(٣).

ثانياً: العناد والغرور

في كثير من المواضع التي تفصل القرآن فيها الحديث عن أقوام نجد الكشف عما كانوا عليه من [illegible] في [illegible] والبعد عن الاقتناع [illegible] عليهم السلام، وقد جاءت هذه الآيات كاشفة من صورة [illegible] وعنادهم [illegible] أسبابها [illegible] أسبابها لم يكن أن [illegible] بالقناعة الكافية.

- الإعجاب والغرور بما هم عليه من القوة.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [فصلت: ١٥].

أي: [illegible] من قول [illegible] الاستكبار [illegible] في [illegible] ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [illegible] على [illegible] [illegible] على الباطل [illegible].

[illegible] ما هم عليه من [illegible] عليهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible].

وفي قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ﴾ [illegible] عليهم [illegible] الله [illegible]

---

(١) جامع البيان للطبري [illegible].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي رقم ٤٩٨١، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا [illegible] رقم [illegible].

(٣) جامع البيان للطبري [illegible].

قوله حتى [illegible] من [illegible] سبيل [illegible] ومن [illegible] من لا يكرمه وظلمة الله تعالى حتى بلغ بهم الغرور أنهم ظنوا أنهم [illegible] بما من [illegible] الأمم أو [illegible] على النظر في [illegible] مصائر مواقعهم.

٢- الاغترار بالثراء والنعيم:

حيث كان سلاحًا على المكذبين والمعرضين عن سماع دعوة الأنبياء أو التفكر فيها والاستمرار في ممارساتهم وسوء حالهم.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

فالترف يفسد الفطرة، ويغلظ المشاعر، ويسد المنافذ [illegible] التي تأتي [illegible] ومن هؤلاء لا يمكن أن يدركوا حكمة الحياة الكبرى [illegible] في [illegible] إلى [illegible] التي لا [illegible] في هذه الأرض [illegible] لا يأتي [illegible] الحياة العليا حتى هؤلاء لا يدركون هذه المعاني ولا يستطيعون من أغوار الحياة الأولى على أطوارها الأخيرة ولا ينظرون إلى أنه [illegible] الأطوار التي لا [illegible] مرحلة العرض والبلى كما يقررها[١].

إنه كان هذا الشكل مشكلًا لبعض من المفكرين [illegible] ومنهم [illegible] والمسلمين على [illegible] في الترف والتوسع في المعاش كما سبق بيانه من هذه [illegible] والإنسان من خلال قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۝ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٢٩].

٣- التقليد الأعمى:

حيث هو من أكبر المعوقات عن قبول دعوة الإسلام والتوحيد، حيث قالوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

أي: ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا [illegible] الأولين ومذهبهم [illegible] [illegible] [٢].

٤- تزيين الشيطان:

قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ [illegible]

انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]، [illegible] التنزيل [illegible] في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

(٢) الكشاف، الزمخشري [illegible].

المعنى الإجمالي:

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ أي: واذكر يا محمد لقومك حين أخذ الله ميثاق النبيين ﴿ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ أي: لأجل ما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ أي: لتؤمنن بذلك الرسول ولتنصرنه على من خالفه ﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ أي: قال الله للنبيين: أأقررتم بما أمرتكم به ونهيتكم عنه وأخذتم على ذلك عهدي وميثاقي ﴿ قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾ أي: قال النبيون: أقررنا بما أمرتنا به ونهيتنا عنه ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ أي: قال الله للنبيين: فاشهدوا على أممكم وأنا معكم من الشاهدين عليهم.

فقه الآية:

- فيه الأمر بالوفاء بالعهد.

فضائل وآداب الآية:

- فيها فضيلة النبيين.

الإعراب:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ الواو: استئنافية. إذ: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بمحذوف تقديره: واذكر. أخذ: فعل ماض. الله: لفظ الجلالة فاعل. ميثاق: مفعول به. النبيين: مضاف إليه مجرور بالياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

﴿ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ اللام: حرف جر. ما: اسم موصول مبني على السكون في محل جر متعلق بأخذ. آتيتكم: فعل ماض مبني على السكون، والتاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل، والكاف: ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول. من كتاب: جار ومجرور متعلق بآتيتكم. وحكمة: معطوف على كتاب.

﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ ثم: حرف عطف. جاءكم: فعل ماض مبني على السكون، والكاف: ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول. رسول: فاعل مرفوع. مصدق: نعت لرسول مرفوع. لما: جار ومجرور متعلق بمصدق. معكم: ظرف مكان منصوب متعلق بمحذوف صلة ما. لتؤمنن: اللام: واقعة في جواب القسم. تؤمنن: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد المشددة، والواو: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل، والنون: نون التوكيد المشددة. به: جار ومجرور متعلق بتؤمنن. ولتنصرنه: الواو: حرف عطف. اللام: واقعة في جواب القسم. تنصرنه: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد المشددة، والواو: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل، والنون: نون التوكيد المشددة، والهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به.

﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ قال: فعل ماض مبني على الفتح. أأقررتم: الهمزة: حرف استفهام. أقررتم: فعل ماض مبني على السكون، والتاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل، والميم: علامة جمع الذكور. وأخذتم: الواو: حرف عطف. أخذتم: فعل ماض مبني على السكون، والتاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل، والميم: علامة جمع الذكور. على ذلكم: جار ومجرور متعلق بأخذتم. إصري: مفعول به منصوب.

﴿ قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾ قالوا: فعل ماض مبني على الضم، والواو: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل. أقررنا: فعل ماض مبني على السكون، ونا: ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ قال: فعل ماض مبني على الفتح. فاشهدوا: الفاء: حرف عطف. اشهدوا: فعل أمر مبني على حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل، والألف: للتفريق. وأنا: الواو: حرف عطف. أنا: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. معكم: ظرف مكان منصوب متعلق بمحذوف حال من أنا. من الشاهدين: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من أنا.

---

(١) في (ط): (ثم قال).
(٢) في (ب): (فقال).
(٣) في (ب): (فقال).
(٤) في (ط): (فقال).
(٥) في (ب): (فقال).
(٦) في (ب): (فقال).
(٧) في (ب): (فقال).
(٨) في (ب): (فقال).
(٩) في (ب): (فقال).
(١٠) في (ب): (فقال).
(١١) في (ب): (فقال).
(١٢) في (ب): (فقال).
(١٣) في (ب): (فقال).
(١٤) في (ب): (فقال).

١- التكذيب

الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [المؤمنون ٤٦-٤٨]

٢- عدم الاقتناع بالبراهين [illegible]

الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

٣- الرغبة في سجن الرسول

كما توعد فرعون موسى عليه السلام بعد أن [illegible] قال تعالى: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء ٢٩]

٤- الاستهزاء [illegible]

وعدم الاكتراث بكل ما جاء به موسى عليه السلام: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible][1]

وقالوا: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف [illegible]]

رابعا: الاتهام بالجنون والسفه والكذب

وجهت هذه [illegible] إلى نبينا هود عليه السلام هذه الاتهامات [illegible] الاتهام بالسفه والجنون والتكذيب وإليك بيان ذلك من خلال الآيات التي دلت عليها

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝﴾ [الأعراف ٦٦-٦٨]

يعد هذه الآيات الاتهام الأول [illegible] ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾، والسفاهة [illegible] التي لا [illegible] لها ولا [illegible] في العرب [illegible][1] [illegible][2] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] لا يصدر إلا من مختل العقل [illegible][3]

والرابع ﴿[illegible]﴾ أي [illegible] الرسالة [illegible]

---

[1] [illegible] ٨

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

على بلده أو أهله ثم يأتي معه بما لا تراه
والله أعلم.

الحكم الخامس: تحريم الاستيلاء على أموال الحربيين بغير طريق التجارة، أو بغير رضاهم.

ويدل على ذلك الآيات التي ذكرناها في الحكم الثاني، والحديث الذي ذكرناه في الحكم الرابع، وقد ذكر الإمام الشافعي رضي الله عنه أن الله تعالى حكم للمؤمنين بأموال الكفار بالقهر والغلبة، وحكم لهم بأموال أهل الذمة بالجزية، وحكم لهم بأموال أهل الهدنة بالصلح، وحكم لهم بأموال أهل الأمان بالأمان، وحكم لهم بأموال أهل التجارة بالتجارة، وحكم لهم بأموال أهل الإباحة بالإباحة، وحكم لهم بأموال أهل الموات بالإحياء، وحكم لهم بأموال أهل الشرك بالغلبة والقهر، وحكم لهم بأموال أهل الإسلام بالتراضي والتجارة

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

أي: لا تجد أثراً [illegible] إلا أن يمشي [illegible] [illegible] من يجري أو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السحرة [illegible] [illegible] [illegible] إلا [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] إلا من [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] من هذا [illegible]

[illegible] الثالث: [illegible] حيث [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] كل [illegible] من وجوه الذي يجب أن يكون عليه [illegible] ﴿[illegible] من [illegible]﴾ [illegible] [illegible] من الحق إلى الباطل [illegible]

أي: [illegible] من عبادة آلهتهم بالإفك، وإنما عبروا عنه بقولهم ﴿[illegible]﴾ [الأحقاف: [illegible]]

[illegible] أن تصرفنا عن آلهتنا [illegible] [illegible] عليه السلام ﴿[illegible]﴾ [الأحقاف: [illegible]]

أي: لا علم لي [illegible] ﴿[illegible]﴾ [الأحقاف: [illegible]]

وما علي إلا أن أبلغ [illegible] كله بيده وحده وما على الرسول إلا البلاغ [illegible] عليه السلام [illegible] ﴿[illegible]﴾ [الأحقاف: [illegible]]

أي: [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] من [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] نظم الدرر، البقاعي [illegible]

[2] المفردات، الراغب الأصفهاني، ص[illegible]

[3] انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [illegible]
نظم الدرر، البقاعي [illegible]

وأي جهل أعظم من السخرية بالله ورسله نبي الله إلى الناس، ومن ترك طريق الاحتياط والاستدلال ما لم [illegible][1]

ومن مظاهر جهلهم إصرارهم على طلب المطالب وإن ظهر لهم ... على كونه كاذبا والإقدام على الطلب الشديد لهذا المطلب جهل عظيم[2]

خامساً: التسحير والجنون:

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء ١٥٣-١٥٥].

جمعت هذه الآيات خلاصة مواقف هذه من قوم صالح عليه السلام وأقوالهم لنا ودلت على أن القوم كانوا جهلة [illegible] الآيات لا يفرقون بالحجة ولا ينظرون إلى الصحيح، ولا [illegible] حكمهم الرشد، وهذا يدل على جهل مفرط وبله [illegible] حيث [illegible] في [illegible] أنها [illegible] والطهم عن أصحاب العذاب كانوا يعبدون [illegible][3] واستحقت إعطاءهم على الآية [illegible].

الأول: الإنكار والجحود للرسالة.

الثاني: الإصرار على ما هم عليه والتمسك بآبائهم.

الثالث: عدم الاكتراث بالرسالة حيث لا تقوم به الحجة عليهم ومن [illegible].

الرابع: ادعوا أن الأكثرية [illegible] عليه وأنه لو أتاهم بمعجزة [illegible] وهذا القول [illegible] [illegible] لهذا القول [illegible] الآيات أو [illegible] إلا [illegible][1]

فكل ما يأتيه من جهة رسالة لا يبلغ حد الاعتبار في نظرهم مع [illegible] من التكذيب وهذا يستدعي الحجة [illegible] بما تقوم به الحجة وهي [illegible] على الظهور بالتحدي بالآية الناقة [illegible] ومعجزة على هذه الآيات [illegible] [illegible]

﴿[illegible]﴾ [الشعراء [illegible]].

ففي هذه الآيات أسباب عدة عليه السلام إجابة جامعة ترد على الأمور الأربعة التي [illegible] وترد كل أباطيلهم حيث أعلن نبي الله ورسله من البعض متبعا لله تعالى

---

[1] انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible]

[1] انظر: غرائب القرآن للنيسابوري ٦/ ٢٤
[2] انظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٥/ ٣٧
[3] الكشاف للزمخشري ٣/ ٧٠

[illegible] عن ذلك بصيغة الإنشاء الطلبية وهي في [illegible] لأن كل إنشاء لا يظهر أثره في الخارج من ذاته أن يتم بصيغة الطلب لما في الخبر من قصد إعلام السامع بما [illegible](1) [illegible]

[illegible] ﴿أَجِئْتَنَا﴾ [illegible] الأمر [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible](2)

وفي قوله ﴿أَجِئْتَنَا﴾ [illegible](3)

[illegible] ﴿أَجِئْتَنَا﴾ [illegible] الخطاب [illegible]

لا [illegible] في [illegible] على [illegible] من [illegible](1)

[illegible] على [illegible]

[illegible] استعمال الخطاب

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ⑦⓪﴾ [الأعراف: 70].

وقال: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ②②﴾ [الأحقاف: 22].

وذلك أنهم [illegible] الخطاب [illegible] في التكذيب [illegible] في الضلالة [illegible] نبيهم عليه السلام يدل على أنهم

---

[1] المصدر السابق [illegible].

[2] التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم [illegible] الخطيب [illegible].

[3] [illegible] إرشاد العقل السليم، أبو السعود [illegible].

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible].

ثم يستعجلون العذاب ويكابرونه بكل ما يملكون [illegible] ﴿[illegible]﴾ [الأحقاف: ٢٢].

وبينما هم كذلك في غمار معاصيهم [illegible] العذاب [illegible] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الأحقاف: ٢٤].

قال ابن كثير: كان أول ما ابتدأهم العذاب أنهم كانوا ممحلين مسنتين[1] فطلبوا السقيا فرأوا عارضا في السماء وظنوه سقيا رحمة فإذا هو سقيا عذاب[2].

ثم لما رأوا العذاب في صورة سحاب [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible][3].

قيل لهم ردا على الوجهين ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ يعني من العذاب الذي استعجلوه بقولهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ وذلك [illegible] ثم بين ماهيته فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ثم وصف الله الريح بأوصاف مفزعة كما سيأتي بيانه.

أخرج الإمام أحمد عن الحارث بن يزيد البكري قال: خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت بالربذة فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي: يا عبد الله إن لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فهل أنت مبلغي إليه؟ قال: فحملتها فأتيت المدينة فإذا المسجد غاص بأهله وإذا راية سوداء تخفق وبلال متقلد السيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها، قال: فجلست، قال: فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت فقال: هل كان بينكم وبين بني تميم شيء؟[4] قال: فقلت: نعم، قال: وكانت لنا الدبرة عليهم، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتني أن أحملها إليك وها هي بالباب، فأذن لها فدخلت فقلت: يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بني تميم حاجزا فاجعل الدهناء فحميت العجوز

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[4] [illegible]

واستوفزت قالت: يا رسول الله، فإلى أين تضطر مضرك؟ قال: قلت: إنما مثلي ما قال الأول: معزاء حملت حتفها، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصماً، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد. قال: هيه، وما وافد عاد؟ وهو أعلم بالحديث منه، ولكن يستطعمه. قلت: إن عاداً قحطوا، فبعثوا وافداً لهم يقال له: قيل، فمر بمعاوية بن بكر، فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر، وتغنيه جاريتان يقال لهما: الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال تهامة، فنادى: اللهم إنك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه. فمرت به سحابات سود، فنودي منها: اختر، فأومأ إلى سحابة منها سوداء، فنودي منها: خذها رماداً رمدداً، لا تبقي من عاد أحداً. قال: فما بلغني أنه بعث عليهم من الريح إلا قدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا. قال أبو وائل: وصدق، قال: فكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا: لا تكن كوافد عاد[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به». قالت: وإذا تخيلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سري عنه، فعرفت ذلك في وجهه، قالت عائشة: فسألته، فقال: «لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾»[2].

وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس خشية لله، وعلماً من حاله، وحاله كيف يحصل [illegible] من [illegible] من [illegible] حتى [illegible] يدفع إلى الآخرة [illegible] الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩].

[انظر: [illegible]]

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده رقم [illegible]. قال ابن كثير في تفسيره [illegible]: [illegible] حسناً من طرق الصحيح [illegible].

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، رقم ٨٩٩.

عاد قوم هود

أولاً: المغالطات التي [illegible] الطاغية

جاءت المغالطات التي [illegible] بصور من [illegible] والوعيد والإرهاب لم [illegible] الرجس [illegible] من [illegible] الأخرى من [illegible] عليه السلام [illegible] بقوله: ﴿[illegible]﴾ (هود: ٥٤).

[illegible] لهم من [illegible] على الله [illegible] إن [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] إنما [illegible] من [illegible] [3].

ثم إنه عليه السلام [illegible] لهم [illegible] ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ (الأعراف: ٧١).

أي: فانتظروا ما يحصل لكم من [illegible] هذه الأصنام إني معكم من المنتظرين.

[illegible] الوعيد والإرهاب [illegible] ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: ٦٩).

[illegible] إلى [illegible] ﴿[illegible]﴾ [2] [illegible] في [illegible] ما [illegible].

[illegible] من الله [illegible] ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ [illegible]﴾ (الأعراف: ٧٠).

[illegible] الله [illegible] عليه السلام: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ (الأعراف: ٧١).

أي: حل عليكم رجس وغضب من ربكم [illegible].

[illegible] في [illegible] لا [illegible] من [illegible] لا [illegible] ﴿[illegible]﴾ (هود: ٥).

---

[1] [illegible]

[2] انظر المصدر السابق [illegible]

[3] المصدر السابق [illegible]

[illegible] في الشرع(١)

فالرجس لا يمكن أن يكون المراد منه العقاب؛ لأن المراد من الغضب العقاب على هذا الرجس، فلزم التكرار، وإنما الرجس هنا [illegible]، كما قال: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

وكذلك في صفة أهل البيت: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

والمراد التطهير من العقائد الباطلة والأخلاق المذمومة، فكذلك وجب أن يكون الرجس عبارة عن العقائد الباطلة والأخلاق المذمومة(٢)، ويحمل هذا الرجس على [illegible] ويراد الكفر(٣).

ومحصل الكلام في الآية أنه [illegible] أمورًا على الغالب: عدم الاعتقاد [illegible] والتسليم لله تعالى وهو المراد من قوله تعالى: ﴿[illegible] رِجْسٌ﴾ ثم حصول الغضب وهو قوله: ﴿وَغَضَبٌ﴾(٤) وهو ما يوجب العقاب.

[illegible] صور العقاب

تعددت الآيات القرآنية عن العقاب الذي حل بقوم هود بأسلوب متنوع وصيغ مختلفة تعرض لمجمله وصوره من [illegible] [illegible] بالكفر العقاب باستمالة كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ورتب على التكذيب إهلاكهم عدة [illegible] في [illegible] الإهلاك التي [illegible] به سوء المصير.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: ١٤] أي: [illegible](٥).

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس: ١١] إلى قوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٤].

أي: أطبق عليهم أشد أنواع العذاب [illegible] من [illegible] من [illegible].

وقال كذلك على سبيل الإجمال: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠].

وقال: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والسياق يلائم ما حل بهم على جهة التفصيل كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي [illegible]

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي [illegible]

(٥) [illegible]

لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ۝﴾ [فصلت: ١٦].

وقوله ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ۝ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ۝ تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ۝﴾ [القمر: ١٨-٢٠].

وقوله ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ۝ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ۝ فهل ترى لهم من باقية ۝﴾ [الحاقة: ٦-٨].

نرى في هذه الآيات أن العذاب الذي حل بقوم عاد بالريح الشديدة المهلكة التي وصفها بأوصاف عديدة تدل على ما يحمله من خصائص العنف والتأثير.

فمرة وصفها بالعقيم [illegible] الريح العقيم، وهي التي لا تلقح سحابا ولا شجرا، وهي التي لا تحمل المطر [illegible] ولم تلقح ولم تثمر(١)، وهي التي لا بركة فيها ولا منفعة(٢).

كما وصفها بصرصر وهذه اللفظة [illegible] معاني في الصرصر: البرد(٣) والعزم(٤) ليكون ذلك وصفا لها بالريح العاتية الشديدة البرودة التي يسمع لهبوبها صوت شديد، وعلى هذا فالصرصر من الصرة التي هي الصيحة المزعجة، ولا يمنع أن يكون وصفها [illegible] مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾ [الذاريات: ٢٩] أي في صيحة [illegible](٥).

ووصفها بالعاتية [illegible] عتا يعتو عتوا [illegible](٦) الريح العاتية التي جاوزت في الشدة(٧) إلى [illegible](٨).

أما عتوها على هذه الحالة وما يصحبه من أوصاف [illegible] الشدة التي استمرت [illegible] ووصفت في سورة الحاقة بأنها ﴿حسوما﴾ [illegible] وكلمة ﴿حسوما﴾ فيها قولان أحدهما المتتابعة [illegible] والآخر أنها المشؤومة(٩).

ولا تعارض بين المعنيين [illegible] سبب من أسباب العذاب، وفي سورة القمر وصف النحس بأنه مستمر للدلالة على [illegible] ما يؤيد الأمر [illegible] وفي سورة الحاقة [illegible] بوصفها بالحسوم [illegible] ﴿سخرها

---

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني ص [illegible]

(٢) [illegible] بن سليمان [illegible]

(٣) العين، الفراهيدي [illegible]

(٤) تهذيب اللغة، الأزهري [illegible]

(٥) الميزان، الطباطبائي [illegible]

(٦) لسان العرب، ابن منظور [illegible]

(٧) الفروق اللغوية، العسكري ص [illegible]

(٨) قصص الأنبياء، ابن كثير [illegible]

(٩) المخصص، ابن سيده [illegible]

عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ قال الفراء: الصفصف: الأملس الذي لا نبات عليه، [illegible] أوله من آخره[1].

وقال الزجاج: صفصفا أي: المستوي، صفصفا أي: المستوي واللين[2].

والمستوي كأنه على صف واحد[3].

أما من قال عنه الريح والعقيم فالقول من شأنها والآية صريحة ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥].

أي: تهلك كل شيء من الشجر والنبات أي: تخرب كل شيء مرت عليه من رجال عاد وأموالها، أو من [illegible] من تلك القرى، قال ابن عباس: أي كل شيء بعثت إليه، والتدمير: الهلاك، وكذلك التدمير ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [illegible] أن هذا ليس من باب الأمور الغرائب والخرافات[4] بل هو أمر حدث إيذانا بقدرة الله تعالى لأجل إهلاكهم[5].

أما ما قاله عنه الريح والعاتي على وبه الصرصر قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩)﴾ [القمر: ١٩].

أي: شؤم مستمر لعله منقطع عن ماقبلها(1).

ونزعتهم إذا هبت الريح الشديدة من أماكنهم وكانوا يحفرون كهوفا يحتمون بأيديهم ويتحصنون في الشعاب ويحفرون الحفر لتحميهم فيها فنزعتهم ورمتهم على الأرض(2).

الصرصر والقاهم على الأرض فأصبحوا مع طول قاماتهم وضخامة أجسامهم كأنهم أعجاز نخل منقلع من أصله ثم سقط على الأرض. قال ابن كثير: [illegible] تجعل الرجل منهم ترفعه إلى الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتثلغ رأسه حتى تبينه من بين جثته(3).

لهذا وضحنا بأسماء القوم السابقة ظلمهم في حالة دنيوية.

ومع هبوب الريح وصفاتها الحالية من برد شديد وصوت مزعج تهب فيه الشديدة الطويلة مدمرة بأنه الحق وأستأصلهم قلعا حتى تركتهم في نهاية الأمر هم كالعصف لعل يتأملها أي ماذا يتعلمون(4).

قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ

---

[1] انظر: معاني القرآن، الفراء ٢/١٩٠؛ تهذيب اللغة، الأزهري [illegible].

(2) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣/[illegible].

(3) المصدر السابق، ابن كثير [illegible].

[4] أي: القرآن الكريم يعتبر مظاهر الطبيعة [illegible] المسخرة من أمر الله على الأرض.
انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧/٢٠٥-٢٠٦.

[5] اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١٠/[illegible].

(1) مدارك التنزيل، النسفي ٣/٣٣٣.

(2) المصدر السابق.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٣٣.

(4) غريب القرآن، ابن قتيبة ص[illegible].

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] بالجبال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الآخرة ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وسلم ﴿[illegible]﴾ [illegible]

قال ابن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بين السماء والأرض والنجوم والجبال[2]

[illegible] في وصف [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

قال ابن كثير: [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible][3]

وقال الراغب: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الأجسام الأرضية [illegible] [illegible] في الأجسام [illegible] [illegible] [illegible]

- ● [illegible] كقوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible] وقوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible]
- ● [illegible] كقوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible]
- ● [illegible] كقوله: ﴿[illegible]﴾

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible] [illegible]

(2) قصص الأنبياء، ابن كثير [illegible]

(3) [illegible] مشكل القرآن [illegible] ص [illegible]

الإسلام والمسلمون ص 13
الإسلام والمسلمون ص 14
الإسلام والمسلمون ص 15
الإسلام والمسلمون ص 16
الإسلام والمسلمون ص 17
الإسلام والمسلمون ص 18
الإسلام والمسلمون ص 19
الإسلام والمسلمون ص 20
الإسلام والمسلمون ص 21
الإسلام والمسلمون ص 22
الإسلام والمسلمون ص 23
الإسلام والمسلمون ص 24
الإسلام والمسلمون ص 25
الإسلام والمسلمون ص 26
الإسلام والمسلمون ص 27
الإسلام والمسلمون ص 28
الإسلام والمسلمون ص 29
الإسلام والمسلمون ص 30
الإسلام والمسلمون ص 31
الإسلام والمسلمون ص 32
الإسلام والمسلمون ص 33
الإسلام والمسلمون ص 34
الإسلام والمسلمون ص 35
الإسلام والمسلمون ص 36
الإسلام والمسلمون ص 37
الإسلام والمسلمون ص 38
الإسلام والمسلمون ص 39
الإسلام والمسلمون ص 40
الإسلام والمسلمون ص 41
الإسلام والمسلمون ص 42
الإسلام والمسلمون ص 43
الإسلام والمسلمون ص 44
الإسلام والمسلمون ص 45
الإسلام والمسلمون ص 46
الإسلام والمسلمون ص 47
الإسلام والمسلمون ص 48
الإسلام والمسلمون ص 49
الإسلام والمسلمون ص 50
الإسلام والمسلمون ص 51
الإسلام والمسلمون ص 52
الإسلام والمسلمون ص 53
الإسلام والمسلمون ص 54
الإسلام والمسلمون ص 55
الإسلام والمسلمون ص 56
الإسلام والمسلمون ص 57
الإسلام والمسلمون ص 58
الإسلام والمسلمون ص 59
الإسلام والمسلمون ص 60
الإسلام والمسلمون ص 61
الإسلام والمسلمون ص 62
الإسلام والمسلمون ص 63
الإسلام والمسلمون ص 64
الإسلام والمسلمون ص 65
الإسلام والمسلمون ص 66
الإسلام والمسلمون ص 67
الإسلام والمسلمون ص 68
الإسلام والمسلمون ص 69
الإسلام والمسلمون ص 70
الإسلام والمسلمون ص 71
الإسلام والمسلمون ص 72
الإسلام والمسلمون ص 73
الإسلام والمسلمون ص 74
الإسلام والمسلمون ص 75
الإسلام والمسلمون ص 76
الإسلام والمسلمون ص 77
الإسلام والمسلمون ص 78
الإسلام والمسلمون ص 79
الإسلام والمسلمون ص 80
الإسلام والمسلمون ص 81
الإسلام والمسلمون ص 82
الإسلام والمسلمون ص 83
الإسلام والمسلمون ص 84
الإسلام والمسلمون ص 85
الإسلام والمسلمون ص 86
الإسلام والمسلمون ص 87
الإسلام والمسلمون ص 88
الإسلام والمسلمون ص 89
الإسلام والمسلمون ص 90
الإسلام والمسلمون ص 91
الإسلام والمسلمون ص 92
الإسلام والمسلمون ص 93
الإسلام والمسلمون ص 94
الإسلام والمسلمون ص 95
الإسلام والمسلمون ص 96
الإسلام والمسلمون ص 97
الإسلام والمسلمون ص 98
الإسلام والمسلمون ص 99
الإسلام والمسلمون ص 100
الإسلام والمسلمون ص 101
الإسلام والمسلمون ص 102
الإسلام والمسلمون ص 103
الإسلام والمسلمون ص 104
الإسلام والمسلمون ص 105
الإسلام والمسلمون ص 106
الإسلام والمسلمون ص 107
الإسلام والمسلمون ص 108
الإسلام والمسلمون ص 109
الإسلام والمسلمون ص 110
الإسلام والمسلمون ص 111
الإسلام والمسلمون ص 112
الإسلام والمسلمون ص 113
الإسلام والمسلمون ص 114
الإسلام والمسلمون ص 115
الإسلام والمسلمون ص 116
الإسلام والمسلمون ص 117
الإسلام والمسلمون ص 118
الإسلام والمسلمون ص 119
الإسلام والمسلمون ص 120
الإسلام والمسلمون ص 121
الإسلام والمسلمون ص 122
الإسلام والمسلمون ص 123
الإسلام والمسلمون ص 124
الإسلام والمسلمون ص 125
الإسلام والمسلمون ص 126
الإسلام والمسلمون ص 127
الإسلام والمسلمون ص 128
الإسلام والمسلمون ص 129
الإسلام والمسلمون ص 130
الإسلام والمسلمون ص 131
الإسلام والمسلمون ص 132
الإسلام والمسلمون ص 133
الإسلام والمسلمون ص 134
الإسلام والمسلمون ص 135
الإسلام والمسلمون ص 136
الإسلام والمسلمون ص 137
الإسلام والمسلمون ص 138
الإسلام والمسلمون ص 139
الإسلام والمسلمون ص 140
الإسلام والمسلمون ص 141
الإسلام والمسلمون ص 142
الإسلام والمسلمون ص 143
الإسلام والمسلمون ص 144
الإسلام والمسلمون ص 145
الإسلام والمسلمون ص 146
الإسلام والمسلمون ص 147
الإسلام والمسلمون ص 148
الإسلام والمسلمون ص 149
الإسلام والمسلمون ص 150
الإسلام والمسلمون ص 151
الإسلام والمسلمون ص 152
الإسلام والمسلمون ص 153
الإسلام والمسلمون ص 154
الإسلام والمسلمون ص 155
الإسلام والمسلمون ص 156
الإسلام والمسلمون ص 157
الإسلام والمسلمون ص 158
الإسلام والمسلمون ص 159
الإسلام والمسلمون ص 160
الإسلام والمسلمون ص 161
الإسلام والمسلمون ص 162
الإسلام والمسلمون ص 163
الإسلام والمسلمون ص 164
الإسلام والمسلمون ص 165
الإسلام والمسلمون ص 166
الإسلام والمسلمون ص 167
الإسلام والمسلمون ص 168
الإسلام والمسلمون ص 169
الإسلام والمسلمون ص 170
الإسلام والمسلمون ص 171
الإسلام والمسلمون ص 172
الإسلام والمسلمون ص 173
الإسلام والمسلمون ص 174
الإسلام والمسلمون ص 175
الإسلام والمسلمون ص 176
الإسلام والمسلمون ص 177
الإسلام والمسلمون ص 178
الإسلام والمسلمون ص 179
الإسلام والمسلمون ص 180
الإسلام والمسلمون ص 181
الإسلام والمسلمون ص 182
الإسلام والمسلمون ص 183
الإسلام والمسلمون ص 184
الإسلام والمسلمون ص 185
الإسلام والمسلمون ص 186
الإسلام والمسلمون ص 187
الإسلام والمسلمون ص 188
الإسلام والمسلمون ص 189
الإسلام والمسلمون ص 190
الإسلام والمسلمون ص 191
الإسلام والمسلمون ص 192
الإسلام والمسلمون ص 193
الإسلام والمسلمون ص 194
الإسلام والمسلمون ص 195
الإسلام والمسلمون ص 196
الإسلام والمسلمون ص 197
الإسلام والمسلمون ص 198
الإسلام والمسلمون ص 199
الإسلام والمسلمون ص 200
الإسلام والمسلمون ص 201
الإسلام والمسلمون ص 202
الإسلام والمسلمون ص 203
الإسلام والمسلمون ص 204
الإسلام والمسلمون ص 205
الإسلام والمسلمون ص 206
الإسلام والمسلمون ص 207
الإسلام والمسلمون ص 208
الإسلام والمسلمون ص 209
الإسلام والمسلمون ص 210
الإسلام والمسلمون ص 211
الإسلام والمسلمون ص 212
الإسلام والمسلمون ص 213
الإسلام والمسلمون ص 214
الإسلام والمسلمون ص 215
الإسلام والمسلمون ص 216
الإسلام والمسلمون ص 217
الإسلام والمسلمون ص 218
الإسلام والمسلمون ص 219
الإسلام والمسلمون ص 220
الإسلام والمسلمون ص 221
الإسلام والمسلمون ص 222
الإسلام والمسلمون ص 223
الإسلام والمسلمون ص 224
الإسلام والمسلمون ص 225
الإسلام والمسلمون ص 226
الإسلام والمسلمون ص 227
الإسلام والمسلمون ص 228
الإسلام والمسلمون ص 229
الإسلام والمسلمون ص 230
الإسلام والمسلمون ص 231
الإسلام والمسلمون ص 232
الإسلام والمسلمون ص 233
الإسلام والمسلمون ص 234
الإسلام والمسلمون ص 235
الإسلام والمسلمون ص 236
الإسلام والمسلمون ص 237
الإسلام والمسلمون ص 238
الإسلام والمسلمون ص 239
الإسلام والمسلمون ص 240
الإسلام والمسلمون ص 241
الإسلام والمسلمون ص 242
الإسلام والمسلمون ص 243
الإسلام والمسلمون ص 244
الإسلام والمسلمون ص 245
الإسلام والمسلمون ص 246
الإسلام والمسلمون ص 247
الإسلام والمسلمون ص 248
الإسلام والمسلمون ص 249
الإسلام والمسلمون ص 250
الإسلام والمسلمون ص 251
الإسلام والمسلمون ص 252
الإسلام والمسلمون ص 253
الإسلام والمسلمون ص 254
الإسلام والمسلمون ص 255
الإسلام والمسلمون ص 256
الإسلام والمسلمون ص 257
الإسلام والمسلمون ص 258
الإسلام والمسلمون ص 259
الإسلام والمسلمون ص 260
الإسلام والمسلمون ص 261
الإسلام والمسلمون ص 262
الإسلام والمسلمون ص 263
الإسلام والمسلمون ص 264
الإسلام والمسلمون ص 265
الإسلام والمسلمون ص 266
الإسلام والمسلمون ص 267
الإسلام والمسلمون ص 268
الإسلام والمسلمون ص 269
الإسلام والمسلمون ص 270
الإسلام والمسلمون ص 271
الإسلام والمسلمون ص 272
الإسلام والمسلمون ص 273
الإسلام والمسلمون ص 274
الإسلام والمسلمون ص 275
الإسلام والمسلمون ص 276
الإسلام والمسلمون ص 277
الإسلام والمسلمون ص 278
الإسلام والمسلمون ص 279
الإسلام والمسلمون ص 280
الإسلام والمسلمون ص 281
الإسلام والمسلمون ص 282
الإسلام والمسلمون ص 283
الإسلام والمسلمون ص 284
الإسلام والمسلمون ص 285
الإسلام والمسلمون ص 286
الإسلام والمسلمون ص 287
الإسلام والمسلمون ص 288
الإسلام والمسلمون ص 289
الإسلام والمسلمون ص 290
الإسلام والمسلمون ص 291
الإسلام والمسلمون ص 292
الإسلام والمسلمون ص 293
الإسلام والمسلمون ص 294
الإسلام والمسلمون ص 295
الإسلام والمسلمون ص 296
الإسلام والمسلمون ص 297
الإسلام والمسلمون ص 298
الإسلام والمسلمون ص 299
الإسلام والمسلمون ص 300
الإسلام والمسلمون ص 301
الإسلام والمسلمون ص 302
الإسلام والمسلمون ص 303
الإسلام والمسلمون ص 304
الإسلام والمسلمون ص 305
الإسلام والمسلمون ص 306
الإسلام والمسلمون ص 307
الإسلام والمسلمون ص 308
الإسلام والمسلمون ص 309
الإسلام والمسلمون ص 310
الإسلام والمسلمون ص 311
الإسلام والمسلمون ص 312
الإسلام والمسلمون ص 313
الإسلام والمسلمون ص 314
الإسلام والمسلمون ص 315
الإسلام والمسلمون ص 316
الإسلام والمسلمون ص 317
الإسلام والمسلمون ص 318
الإسلام والمسلمون ص 319
الإسلام والمسلمون ص 320
الإسلام والمسلمون ص 321
الإسلام والمسلمون ص 322
الإسلام والمسلمون ص 323
الإسلام والمسلمون ص 324
الإسلام والمسلمون ص 325
الإسلام والمسلمون ص 326
الإسلام والمسلمون ص 327
الإسلام والمسلمون ص 328
الإسلام والمسلمون ص 329
الإسلام والمسلمون ص 330
الإسلام والمسلمون ص 331
الإسلام والمسلمون ص 332
الإسلام والمسلمون ص 333
الإسلام والمسلمون ص 334
الإسلام والمسلمون ص 335
الإسلام والمسلمون ص 336
الإسلام والمسلمون ص 337
الإسلام والمسلمون ص 338
الإسلام والمسلمون ص 339
الإسلام والمسلمون ص 340
الإسلام والمسلمون ص 341
الإسلام والمسلمون ص 342
الإسلام والمسلمون ص 343
الإسلام والمسلمون ص 344
الإسلام والمسلمون ص 345
الإسلام والمسلمون ص 346
الإسلام والمسلمون ص 347
الإسلام والمسلمون ص 348
الإسلام والمسلمون ص 349
الإسلام والمسلمون ص 350
الإسلام والمسلمون ص 351
الإسلام والمسلمون ص 352
الإسلام والمسلمون ص 353
الإسلام والمسلمون ص 354
الإسلام والمسلمون ص 355
الإسلام والمسلمون ص 356
الإسلام والمسلمون ص 357
الإسلام والمسلمون ص 358
الإسلام والمسلمون ص 359
الإسلام والمسلمون ص 360
الإسلام والمسلمون ص 361
الإسلام والمسلمون ص 362
الإسلام والمسلمون ص 363
الإسلام والمسلمون ص 364
الإسلام والمسلمون ص 365
الإسلام والمسلمون ص 366
الإسلام والمسلمون ص 367
الإسلام والمسلمون ص 368
الإسلام والمسلمون ص 369
الإسلام والمسلمون ص 370
الإسلام والمسلمون ص 371
الإسلام والمسلمون ص 372
الإسلام والمسلمون ص 373
الإسلام والمسلمون ص 374
الإسلام والمسلمون ص 375
الإسلام والمسلمون ص 376
الإسلام والمسلمون ص 377
الإسلام والمسلمون ص 378
الإسلام والمسلمون ص 379
الإسلام والمسلمون ص 380
الإسلام والمسلمون ص 381
الإسلام والمسلمون ص 382
الإسلام والمسلمون ص 383
الإسلام والمسلمون ص 384
الإسلام والمسلمون ص 385
الإسلام والمسلمون ص 386
الإسلام والمسلمون ص 387
الإسلام والمسلمون ص 388
الإسلام والمسلمون ص 389
الإسلام والمسلمون ص 390
الإسلام والمسلمون ص 391
الإسلام والمسلمون ص 392
الإسلام والمسلمون ص 393
الإسلام والمسلمون ص 394
الإسلام والمسلمون ص 395
الإسلام والمسلمون ص 396
الإسلام والمسلمون ص 397
الإسلام والمسلمون ص 398
الإسلام والمسلمون ص 399
الإسلام والمسلمون ص 400
الإسلام والمسلمون ص 401
الإسلام والمسلمون ص 402
الإسلام والمسلمون ص 403
الإسلام والمسلمون ص 404
الإسلام والمسلمون ص 405
الإسلام والمسلمون ص 406
الإسلام والمسلمون ص 407
الإسلام والمسلمون ص 408
الإسلام والمسلمون ص 409
الإسلام والمسلمون ص 410
الإسلام والمسلمون ص 411
الإسلام والمسلمون ص 412
الإسلام والمسلمون ص 413
الإسلام والمسلمون ص 414
الإسلام والمسلمون ص 415
الإسلام والمسلمون ص 416
الإسلام والمسلمون ص 417
الإسلام والمسلمون ص 418
الإسلام والمسلمون ص 419
الإسلام والمسلمون ص 420
الإسلام والمسلمون ص 421
الإسلام والمسلمون ص 422
الإسلام والمسلمون ص 423
الإسلام والمسلمون ص 424
الإسلام والمسلمون ص 425
الإسلام والمسلمون ص 426
الإسلام والمسلمون ص 427
الإسلام والمسلمون ص 428
الإسلام والمسلمون ص 429
الإسلام والمسلمون ص 430
الإسلام والمسلمون ص 431
الإسلام والمسلمون ص 432
الإسلام والمسلمون ص 433
الإسلام والمسلمون ص 434
الإسلام والمسلمون ص 435
الإسلام والمسلمون ص 436
الإسلام والمسلمون ص 437
الإسلام والمسلمون ص 438
الإسلام والمسلمون ص 439
الإسلام والمسلمون ص 440
الإسلام والمسلمون ص 441
الإسلام والمسلمون ص 442
الإسلام والمسلمون ص 443
الإسلام والمسلمون ص 444
الإسلام والمسلمون ص 445
الإسلام والمسلمون ص 446
الإسلام والمسلمون ص 447
الإسلام والمسلمون ص 448
الإسلام والمسلمون ص 449
الإسلام والمسلمون ص 450
الإسلام والمسلمون ص 451
الإسلام والمسلمون ص 452
الإسلام والمسلمون ص 453
الإسلام والمسلمون ص 454
الإسلام والمسلمون ص 455
الإسلام والمسلمون ص 456
الإسلام والمسلمون ص 457
الإسلام والمسلمون ص 458
الإسلام والمسلمون ص 459
الإسلام والمسلمون ص 460
الإسلام والمسلمون ص 461
الإسلام والمسلمون ص 462
الإسلام والمسلمون ص 463
الإسلام والمسلمون ص 464
الإسلام والمسلمون ص 465
الإسلام والمسلمون ص 466
الإسلام والمسلمون ص 467
الإسلام والمسلمون ص 468
الإسلام والمسلمون ص 469
الإسلام والمسلمون ص 470
الإسلام والمسلمون ص 471
الإسلام والمسلمون ص 472
الإسلام والمسلمون ص 473
الإسلام والمسلمون ص 474
الإسلام والمسلمون ص 475
الإسلام والمسلمون ص 476
الإسلام والمسلمون ص 477
الإسلام والمسلمون ص 478
الإسلام والمسلمون ص 479
الإسلام والمسلمون ص 480
الإسلام والمسلمون ص 481
الإسلام والمسلمون ص 482
الإسلام والمسلمون ص 483
الإسلام والمسلمون ص 484
الإسلام والمسلمون ص 485
الإسلام والمسلمون ص 486
الإسلام والمسلمون ص 487
الإسلام والمسلمون ص 488
الإسلام والمسلمون ص 489
الإسلام والمسلمون ص 490
الإسلام والمسلمون ص 491
الإسلام والمسلمون ص 492
الإسلام والمسلمون ص 493
الإسلام والمسلمون ص 494
الإسلام والمسلمون ص 495
الإسلام والمسلمون ص 496
الإسلام والمسلمون ص 497
الإسلام والمسلمون ص 498
الإسلام والمسلمون ص 499
الإسلام والمسلمون ص 500

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] أي: قوماً يخلف بعضهم بعضاً، جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، وقد أخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قال: يخلف بعضهم بعضاً، وقال في قوله تعالى

أسبوع الحب	٢٢١
الحب في الأحلام والرؤى	٢٢٧
الأبعاد الست للحياة	٢٣٤
حين تأتي الرياح الباردة	٢٤٧
هذا الشيء الرائع	٢٥٣
إرشاد سيكولوجي	٢٦٣
بعد خمسة أعوام	٢٧٣

مفهوم الهوى

أولاً: المعنى اللغوي:

(هوى) الهاء والواو والياء: أصل صحيح يدل على خلو وسقوط. أصله الهواء بين الأرض والسماء، سمي لخلوه. قالوا: وكل خالٍ هواء. ويقال: هوى الشيء يهوي: سقط. والهاوية: جهنم؛ لأن الكافر يهوي فيها[1].

والهوى مقصور: هوى النفس، والضمير أي: إرادته. والجمع الأهواء. والهوى: محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه. قال: هوي بالكسر يهوى هوى، أي: أحب، ويقال: هوى يهوي هويًّا لا غير[2]. وهوى الشيء يهوي هويًّا إذا سقط من علو إلى سفل؛ وذلك لأن الإنسان إذا اتبع هواه هوى وسقط[3].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

ذكر العلماء عدة تعريفات للهوى منها:

- الهوى: ميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[4].
- الهوى: ميل النفس إلى الاعتقاد وطرحها إلى ما يخالف الحق[5].
- الهوى: ميل القلب إلى ما يستلذ به[6].
- الهوى: كل ما خالف الحق، وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد[7].
- وقيل: هو ميل النفس إلى ما لا ينبغي[8].

---

[1] مقاييس اللغة، لابن فارس ٦/ ١٥.
وانظر: مختار الصحاح، للرازي ص٣٢٣.

[2] انظر: لسان العرب، لابن منظور ١٥/ ٣٧٢، تاج العروس، للزبيدي ٤٠/ ٣٢٦.

[3] مشارق الأنوار، للقاضي عياض ٢/ ٢٧٢.
وانظر: جمهرة اللغة، لابن دريد ٢/ ٩٩١.

[4] انظر: التعريفات، للجرجاني ص٢٥٧، الكليات، للكفوي ص٩٦٢، التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي ص٣٤١.

[5] معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر ٣/ ٢٣٤٩.

[6] انظر: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا الأنصاري ١/ ٧٤، المفردات، للراغب الأصفهاني ص٨٤٩.

[7] انظر: الهوى وأثره في الخلاف، عبد الله الغنيمان ص٩.

[8] [illegible] من معالم [illegible] في التفسير ٢/ ٣٠٢.

[illegible] في الاستعمال القرآني

وردت [illegible] في القرآن الكريم (٢٨) مرة [illegible] منها (٣٢) مرة⁽¹⁾

والصيغ التي وردت هي:

[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفعل المضارع	١	﴿[illegible] أن تكون [illegible] في الأرض [illegible]﴾ [illegible]
المصدر	٢٨	﴿[illegible]﴾ [illegible]

وجاء [illegible] في الاستعمال القرآني بمعناه اللغوي [illegible]⁽²⁾

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، [illegible] ص ٦٢٩

(٢) انظر: [illegible] ص [illegible]

السؤال

السؤال الأول: والسؤال الثاني: فلنسأل الله واحدة تعني الأخيرة. يقال: رجل فجرات: ذو فجر، ذكي.[1]

يقال: فلان أفجر الناس، وفي الناس، والأجمع فجرات.[2]

الإجابات المقبولة:

الرأي الأول من الجماعة يقول: صالحة، ويرجح عليه رأي الجماعة.[3]

الرأي الثاني من الجماعة يقول: صالحة.[4]

الرأي الثالث من الجماعة يقول: لا أعلم، لا أعتقد، لم أجد، لم أعثر، لم أقف على.[5]

الحجج:

الحجة الأولى:

الدليل: أصل الكلمة الجمع، ومنه الفجرة، والفجر، والفجار، أي: الذي يجمع الأشياء ويحفظ الخبر.[6] **ومن هنا** من قيل للفجر: الفجر، لأنه الذي يجمع الضوء ويظهره، وأول ما يجمع من الليل في الفجر، لأنه أول الليل، وإنما سمي بذلك، وأول ما يجمع من النهار الضوء، لأنه أول النهار، وإنما سمي بذلك، وأول ما يجمع من الشهر الهلال، لأنه يظهر بعد أن كان مستتراً.[7]

وقيل في الهلال: الهلال سمي بذلك بعد ترك من عليه، لأنه لا يهلها إلا طلقة بعد طلقة، فسمي به، وقال: لا يرضعه الصبي فيدر، أي: يسيل.[8]

الحجة الثانية:

الدليل: أن الهلال: اسم لليلة سميت بذلك لأن الناس يهلون عند رؤيته، أي: يرفعون أصواتهم بالتلبية.[9]

---

[1] تهذيب اللغة، للأزهري، ج ٣، ص ٣٣.
[2] إعراب القرآن، للنحاس، ج ١، ص ٣٧٠.
[3] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج ١، ص ٤٣٠.
[4] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج ٢، ص ٢٧٤.
[5] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج ١، ص ٤٣٠.
[6] تهذيب اللغة، للأزهري، ج ٣، ص ٣٣.
[7] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج ٢، ص ٢٧٤.
[8] غريب الحديث، لابن قتيبة، ج ١، ص ١٩٦.
[9] غريب الحديث، لابن الجوزي، ج ١، ص ٢٠٤.

ويقال: هو محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه[1]

الفرق بين الهوى والمحبة

سئل بعض الصوفية عن الهوى والمحبة فقال: الهوى يحل في القلب، والمحبة يحل فيها القلب[2]

■ الشهوات

الشهوة لغة:

«الشين والهاء والواو أصل واحد يدل على اشتهاء الشيء، واشتهاه: أحبه ورغب فيه»[3]، والمشتهيات من الأمور المستلذة، والشهوات المستلذات[4]

الشهوة اصطلاحًا:

«الشهوة في الشرع: ما تميل إليه النفس [illegible] من غير [illegible] عقل»[5]

ويقال: هي ما يميل [illegible] الحلال والحرام [illegible] بالمعروف[6]

الفرق بين الهوى والشهوة

الهوى هو ما يدعو [illegible] المعاني، [illegible] الشهوة [illegible] في الأمور والمعاني

---

[1] تاج العروس، محمد الزبيدي، [illegible]
[2] [illegible] الأديب، [illegible]
[3] مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/٢٢٣
[4] الصحاح، الجوهري، ٦/٢٣٩٦
[5] القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، ٢٠٦
[6] انظر: [illegible]

أمثلة على التعبير المجازي

تنوعت أساليب القرآن في النهي عن اتباع الهوى بصور متعددة وبيانها فيما يلي:

أولاً: الأسلوب الطلبي:

وهذا الأسلوب استخدمه القرآن كثيراً في التحذير من اتباع الهوى، ومن خلال النظر في آيات التحذير من اتباع الهوى في القرآن نجد أنه لم يأت إلا بأسلوب النهي، وهذا النهي جاء على نوعين: نهي صريح ونهي غير صريح.

النوع الأول: النهي الصريح:

وذلك بأن ينهى عن اتباع الهوى مع بيان علة ذلك النهي والسبب الداعي إليه.

وقد جاء النهي عن اتباع الهوى صريحاً في مواضع من القرآن بأكثر من صيغة ومن ذلك صيغ الفعل.

ومن الفعل الذي استعمله القرآن في التحذير من اتباع الهوى ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

ففي الآية نجد أن الله سبحانه وأمرهم بالقسط في القضاء والقسط في سائر الأحكام، فيبين أن الله يطلب من المؤمنين مجموعة الصفتين: الأمر بالقسط بين الناس؛ لأن لزوم أمور الاجتماع لا يكون إلا بالعدل وحفظ النظام لا يتم إلا بها(١).

والقيام بالقسط من أعظم الأمور التي تدل على حسن نية القائم به، فحري بطالب النجاة أن يهتم له غاية الاهتمام وأن يبعد عن نفسه كل ما من شأنه صرفها عن اتباع القسط والعمل به.

ومن أعظم موانع ذلك اتباع الهوى، ولهذا نهى سبحانه وتعالى عنه هذا النهي البليغ بقوله: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥](٢).

أي: لإقامة العدل لا تتبعوا الهوى(٣).

فيتحكم الهوى والعصبية ويسيرهم خلاف حكمهم عن الموضوعية ولم يرجعوا للعدالة، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه وفق للحق وهدي إلى الصراط المستقيم(٤).

---

(١) انظر: التفسير الحديث، محمد دروزة، ج٥ ص٢٣٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٢٠٦.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج٣ ص٩٢٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٢٠٦.

٣- الضلال عن سبيل الله.

الإنسان ما جاء إلى هذه الحياة إلا ليعبد الله ويحسن السير إليه فإذا ضل الإنسان طريقه وابتعد عن سبيل ربه فقد خسر دنياه وآخرته ولذا نجد أن من آثار الضلال عن سبيل الله التحاكم إلى اتباع الأهواء.

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]

وهكذا تتجلى خطابة الموعظة ويظهر التحذير الشديد الذي ينتهي إليه اتباع الهوى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]

أي: فيصدك اتباع الهوى عن دين الله القويم وشرعه المستقيم[1]

ويجعل الهوى سبب الضلال عن سبيل الله لأن الهوى يدعو إلى الاسترسال في اللذات الحسية، والاسترسال فيها يمنع من الاعتدال وطلب المعالي الروحانية التي هي [illegible] السعادة الأبدية فهما ضدان متنافيان فمتى ما وجد أحدهما انتفى الآخر[2]

الفرع الثاني: النهي عن الضلال.

ونلحظ بأنه نهى عن اتباع الهوى هنا بعد ما [illegible] الله النبي أمر سبيله.

ويظهر [illegible] في آخر من آية من الآيات التي حذرت من اتباع الهوى.

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ۝ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٨-١٢٠]

ففي هذه الآيات [illegible] النبي الكريم على طريقة المسلم التي أمره الله عليه وألا يأكل شيئًا من محظور على هذا التعيين[3]، وكذلك نهي عن مراقبة ظالمي مشركي قريش [illegible] فيما أخبر به من تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله[4]

ونلحظ أن النهي عن اتباع الهوى جاء معبرًا عن الصفة اللازمة [illegible] وكذا نلحظ هذا أيضًا في قوله سبحانه وتعالى:

---

(1) صفوة التفاسير، الصابوني ٣/[illegible]

(2) مفاتيح الغيب ٢٦/٣٨٨

(3) التفسير القرآني للقرآن [illegible] ٣٨٨

(4) التفسير المنير [illegible]

﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ [الكهف: 28].

ففي هذه الآية أمر سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد [illegible] ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ [الكهف: 28].

[illegible] من [illegible] الله [illegible] عن [illegible] [illegible] [illegible] حيث [illegible] [illegible] فيه [illegible] [illegible] [illegible](1) [illegible] من [illegible] الهوى [illegible].

ثالثاً: وصف متبع الهوى بأقبح الصفات

تناول آيات القرآن الكريم بعد أن [illegible] الله سبحانه وتعالى ذم اتباع الهوى [illegible] [illegible] أكثر من [illegible] من هذا وصف متبع الهوى [illegible] [illegible]

الأرض الله.

ثانياً: الضلال

أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم [illegible] متبع الهوى الضلال وعدم الهداية، قال سبحانه وتعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [القصص: 50].

يقول الطبري: ﴿ومن أضل﴾ عن طريق الرشاد وسبيل السداد ﴿ممن اتبع هواه﴾ بغير بيان من عند الله وعهد [illegible] لا يوفق لإصابة الحق وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته [illegible](1).

ففي هذه الآية إشارة إلى أن [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولم [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible](2).

[illegible] في [illegible] [illegible] الهوى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص[illegible] بتصرف.

(2) المصدر السابق.

(1) جامع البيان، الطبري [illegible].

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص[illegible] بتصرف.

بإطلاقها على حسب التأويل، فهذا الضلال واتباع الهوى مع إهمال العقل ورميه في الشبهة يؤدي بصاحبه إلى كثير من أمورٍ خطيرة بدون تمحيص ولا تبصر فلا جرم يكون هذا الاتباع [illegible] لبعض الهوى أكبر الضلال، فصاحبه أكبر الضالين على الإطلاق(1).

ومما يدل على هذا الضلال عن الهوى تقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله(2).

فالإنسان حين يحيد عن الحق لا ينظر شيئًا من الهوى، فإذا كان مع الهوى حتى من الله فلعب الإنسان هواه ويكبره، وإذا لم يكن معه من هدى الله شيء يعصمه ويحكم هواه كان على طريق الهوى أبدًا لا يعدل عنه إلى طريق الحق والهدى أبدًا، وإنما هذا الوصف لأصحاب الهوى الظالمين لا يهديهم هدى الله عز وجل لأنهم الظالمين كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50].

فلا يعطل الإنسان بصيرته حرية هواه والأخير حين يأتيه هدى الله على طريق هواه ويتخبط [illegible] أنه إذا لم يأته هدى الله على وجه أبدًا(3).

ومن الآيات التي وصفت متبع الهوى بالضلال قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77].

فمن الملاحظ في الآية وصف الله تعالى وصف متبع الهوى بثلاث صفات: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77].

والسبب في كل هذا الضلال هو اتباع الهوى ومخالفة الشرع، فصاحب الهوى ضال بنفسه مضل لغيره.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 119].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب والحضارمة بفتح الياء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بضم الياء، فمن قرأ بالفتح أشار إلى أنه ضال، ومن قرأ بالضم أشار إلى أنه مضل(1).

والقراءتان يؤكدان وقوع الأمرين بالاعتبار فصاحبه، والمعنى أن من الكافرين أن كثيرًا من الناس يضلون غيرهم كما ضلوا، كما أن كثيرًا منهم يضلون في أنفسهم من الله عليه وكل مع الله الهداية

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور: [illegible]

(2) روح البيان، إسماعيل حقي: 6/423.

(3) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: 10/350.

(1) انظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد ص 268، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري 2/[illegible]

والإنسان الذي يتبع هواه لا يعلم شيئاً من الوحي.

وأيضاً من الآيات الواضحة لمن يتبع الهوى بالضلال قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦].

يعني أصبح من الضالين الهالكين(١).

٢- التشبيه بالكلب

من الأوصاف البليغة التي وصف الله سبحانه وتعالى بها متبعي الهوى وأصحاب الشرع التشبيه بالكلب.

قال عز وجل: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦].

هذا مثل ضربه الله تعالى للمتبع الهوى الذي يقدم هواه على الشرع والعقل وهو تشبيه بليغ وصورة معبرة لهذا الإنسان المسكين الذي قدم هواه على الدين القويم وهكذا الحق هواه في كل ساعة تخرج عن حد العقل والطلب ويأكل على هواه مثل الكلب بالكلبية وعلى الحق عليه(٣).

الكلب من أخس الحيوانات وأرذلها بالذات وأخسها الساقط وسعيه لا يتجاوز بطنه وأخسها شرفاً وأحرصها ونهمة وحرصه أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم ويستروح حرصاً وشرهاً ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزائه وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته وهو من أمهن الحيوانات وأحطها قدراً وأرضاها بالدنايا والجيف القذرة المروحة أحب إليه من اللحم الطري والعذرة أحب إليه من الحلوى وإذا ظفر بميتة تكفي مائة كلب لم يدع كلباً واحداً يتناول معه شيئاً إلا هر عليه وقهره لحرصه وبخله وشرهه ومن عجيب أمره وحرصه أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية وحال زرية نبحه وحمل عليه كأنه يتصور مشاركته له ومنازعته في قوته وإذا رأى ذا هيئة حسنة وثياب جميلة ورياسة وضع له خطمه بالأرض وخضع له ولم يرفع إليه رأسه(٤).

٣- الظلم

من الأوصاف التي وصف الله بها متبعي الهوى أنه ظالم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

ففي هذه الآية الكريمة التحذير الشديد من

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٨/٢٧.

(٢) مدارك التنزيل، النسفي ١/٥٨، الكشاف، الزمخشري ٢/٧٨.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٥/٣٢.

(٤) بدائع التفسير، ابن القيم ٤٣٩.

الله عز وجل نبيه صلى الله عليه السلام بعدم اتباع الهوى، وإلا صار في عداد الظالمين؛ لأن اتباع الهوى بعد العلم بالحق يدخل صاحبه في جملة الظالمين[1].

وأي ظلم أعظم من ظلم من علم الحق والباطل فآثر الباطل على الحق؟![2]

والظلم [illegible] الذين أوتوا العلم وأمرهم فيه [illegible] عليهم عن التحكيم بالهوى.

قال الله جل جلاله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: [illegible]].

ومن صور اتباع الهوى بالعلم أن الأمر ليس قصورًا في الأدلة، ولا عدم وضوح في الحجج، ولكنها المكابرة [illegible] أنهم ما يعرفونه ويجحدونه بغير علم من الله [illegible] لهم [illegible][3].

وكذلك الأمر تركوا شرع الله الواضح [illegible] التي يصل [illegible] إلى [illegible] وكذلك الأمر [illegible] أنهم [illegible] الهوى [illegible] من [illegible] أنهم إنما [illegible] لا [illegible] أو [illegible] وعليه [illegible] الهوى [illegible] العقل [illegible] فيها[4].

٤- الاستكبار:

ومن الأوصاف التي وصف الله بها متبعي الهوى قال عز وجل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

فهذه الآية تصف اليهود متبعي الهوى [illegible] فريقًا من الأنبياء وقتلوا فريقًا، بالاستكبار، والاستكبار هو [illegible] والمراد به هنا الترفع عن اتباع الرسل [illegible] بأنفسهم واعتقاد أنهم أعلى من أن يطيعوا الرسل ويكونوا أتباعًا لهم[5].

وكان من الممكن أن يكونوا [illegible] بأن يصدقوا الرسل [illegible] إلى هذا [illegible] اليهود لهذا [illegible] وما [illegible] جميعًا[6].

فأعرضوا عن [illegible] والحق ويرون أن سبب استكبارهم هذا إنما [illegible] من [illegible] الهوى [illegible] الإعراض والإباء مع رسول الله [illegible] على أنهم إنما [illegible] من النفس الأمارة [illegible] الهوى ولا [illegible] لم يجدوا في خلال هذه النصوص [illegible] ما يوافق الحق

---

[1] محاسن التأويل، القاسمي (١/[illegible]).
[2] تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص[illegible].
[3] أيسر التفاسير، الجزائري (١/[illegible]).
[4] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/[illegible]) بتصرف.
[5] التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/[illegible]).
[6] لطائف الإشارات، القشيري (١/[illegible]).

وتصحيح التصديق[1]

وبذلك [illegible] الكلام بالصحة والتقويم [illegible] الهوى [illegible] وسلم من هذا الوصف المشين.

- **التكذيب بالحق**

من الصفات التي وصف الله بها من الهوى: التكذيب بالحق، قال عز وجل: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: 3]

فهؤلاء المشركون بعد ما رأوا آيات الله [illegible] الدالة على صدقه كذبوا واتبعوا ما [illegible] أهواء أنفسهم من التكذيب [illegible] على الصدق[2]

فالآية تبين بوضوح أن التكذيب صفة من صفات متبعي الهوى، وأنه لا يقع منهم إلا لأنه اتباع ما تهواه أنفسهم من [illegible] على ما ألفوه [illegible] والتعصب لعاداتهم[3]

لأن التكذيب [illegible] الهوى [illegible] اتباع الهوى الذي [illegible] التكذيب لأن الله [illegible] على قلب صاحبه حتى لا يستبصر طريقه[4]

ومن الآيات التي أكدت على أن من الهوى [illegible] التكذيب بالحق قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنعام: 150]

قال [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] القضية إلا إلى هوى ولا [illegible] على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره [illegible] الأصنام [illegible] من الهوى لا [illegible] إلى الدليل لم يكن إلا [illegible] بالآيات [illegible] عز وجل[1] بل قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾

ومن التكذيب بالحق [illegible] الآخر قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

إن الأوصاف التي ذكرتها الآية لأهل الأهواء [illegible] على [illegible] واتباع أهوائهم لا [illegible] الأهواء [illegible] الأمثلة على [illegible] إلا [illegible][2]

وما ذلك إلا أن الهوى [illegible] صاحبه [illegible] الهوى[3]

[illegible] التكذيب [illegible] واتباع الهوى.

قال عز وجل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾

---

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]

[2] جامع البيان، الطبري [illegible]

[3] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]

[4] لطائف الإشارات، القشيري [illegible]

[1] [illegible] الظلال [illegible]

[2] تفسير المنار، محمد رشيد رضا [illegible]

[3] [illegible]

[illegible] بما كنتم [illegible] الكذب﴾ (ص [illegible])

ففي هذه الآية يظهر أثر الهوى وكيف أنه يمنع الإيمان باليوم الآخر.

يقول صاحب تفسير الظلال: ونلاحظ في هذه الآية ترتيب حلقات سلسلة الأسباب بعضها على بعض: اتباع الهوى يعمي القلب للنجاة والتفكر يوم الدين الذي يكون فيه الحساب والجزاء القصاص ويتقي الشهوات وهذا يؤدي للتمادي عن سبيل الله والسقوط في المعاصي وإنكار الغيب [illegible] حتى تركة الكفر [illegible] وجحوده يوم الدين، وهذا يؤدي إلى استحقاق العذاب والعقاب الشديد يوم [illegible] ويكون [illegible] استحقاق من العذاب بما يناسب [illegible](1)

وهكذا يتبين أن التكذيب باليوم الآخر من خصائص من اتبع هواه.

ومن الآيات التي أكدت على هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ (طه: [illegible])

نلاحظ أنه أن ترك اتباع الهوى وعدم الإيمان باليوم الآخر ليدل على أنه لا مانع أهم للعبد من الإيمان بالساعة إلا اتباع الهوى دونه شك ولا شبهة في الدليل يقتضي الإيمان بالساعة كما أخبر في قوله عز وجل: ﴿وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ ([illegible]).

وبهذا يظهر أن التكذيب بالآخرة من خصائص متبع الهوى، وليس ذلك لقصور في الأدلة ولكن الهوى يعمي صاحبه فلا يرى الحق مع ظهوره.

٦- الجهل وعدم العلم

شرع الله الأمر بالعلم [illegible] لا [illegible] والمعرفة [illegible] لا [illegible] على [illegible] من [illegible] في القرآن أنه يشكل مع الجهل.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ١٨).

فها هنا ينهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن اتباع من [illegible] عليهم الجهل [illegible] الأمر [illegible] ولم [illegible] إلى هذا الدين [illegible](1)

ويبين الله سبحانه وتعالى عن [illegible] التي [illegible] عليها من [illegible] به فلا [illegible] ولا [illegible] الأرض [illegible] لا تزول ولا

---

(1) المصدر السابق ٣/ [illegible]

(1) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب ١٣/ [illegible]

للنفس ولا تقوى [illegible] وكل ما سواه [illegible] للنفس [illegible] مضطرب مائج مزعزع [illegible] لا ثبات له ولا استقرار ولا سعادة له ولا [illegible].

لعن [illegible] على الثبات والاستقرار والطمأنينة والقرار [illegible] في أمر من لا يستقر على حاله ومن يتابع [illegible] الأهواء [illegible] [illegible] الهوى [illegible] [illegible] ويضطرب معه [illegible] [illegible] من [illegible] إلى [illegible] ومن لا [illegible] من [illegible] [illegible] ولا يطمئن[1]

[illegible] [illegible] الهوى [illegible] من [illegible] [illegible] عن [illegible] الواضح الأصيل والمنهج [illegible] من [illegible] [illegible] الأهواء [illegible] لا [illegible] بل هو [illegible] السبيل.

وهكذا يظهر من خلال [illegible] على الهوى في القرآن [illegible] [illegible] له [illegible] النفس [illegible] [illegible] على [illegible] الأهواء والتزام الصراط المستقيم.

ثالثاً: الزهد بالنسبة لنهي النفس عن الهوى

استخدام الأمر والترغيب من أكثر ما يعين الإنسان على [illegible] [illegible] على الآيات [illegible] والعمل [illegible] [illegible] ولذا من الأساليب التي اتبعها القرآن في النهي عن الهوى الزهد بالنسبة لنهي النفس عن الهوى.

قال جل جلاله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: [illegible]].

أي [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [النازعات: [illegible]].

إشارة إلى أن الإنسان [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible][2]

[illegible] [illegible] الهوى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإنسان [illegible] [illegible] الهوى[3]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النفس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] النفس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][4]

[illegible] النفس عن الهوى [illegible] [illegible]

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، [illegible] ٣٣٢٩/٦ بتصرف.

[2] التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب [illegible]

[3] في ظلال القرآن، سيد قطب، [illegible]

[4] المصدر السابق.

من الفقه وأصوله، الذي هو الكفيل لحياة الدين وبقائه على مدى الزمان، فإن الدين يحيا بالعلم، ويموت بموت العلماء، وهذا ما أشار إليه الحديث الصحيح: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(١).

ولهذا كان من أهم ما يجب على الأمة في كل عصر: أن تحافظ على علمائها، وتعمل على تكثيرهم، وتوفير أسباب الحياة الكريمة لهم، وتحميهم من كل ما يؤذيهم، ويعوقهم عن أداء رسالتهم.

ومن أهم ما يجب على العلماء: أن يتعاونوا فيما بينهم، ويتكاتفوا، ويتحابوا في الله، ويتواصوا بالحق، ويتواصوا بالصبر، ويتواصوا بالمرحمة، ويتواصوا بالتقوى، ويتواصوا بالبر، ويتواصوا بالمعروف، وينهوا عن المنكر، ويتواصوا بالحكمة والموعظة الحسنة، ويتواصوا بالرفق، ويتواصوا بالتيسير، ويتواصوا بالتبشير، ويتواصوا بالوحدة، ويتواصوا بالاجتماع، ويتواصوا بالإخاء، ويتواصوا بالإصلاح، ويتواصوا بالتسامح، ويتواصوا بالتعاون، ويتواصوا بالتآلف، ويتواصوا بالتآخي، ويتواصوا بالتراحم، ويتواصوا بالتواضع، ويتواصوا بالتعاطف، ويتواصوا بالتواصل، ويتواصوا بالتكافل، ويتواصوا بالتكامل، ويتواصوا بالتناصح، ويتواصوا بالتعاضد، ويتواصوا بالتساند، ويتواصوا بالتعاون على البر والتقوى، ويتواصوا بالتعاون على الخير والإحسان، ويتواصوا بالتعاون على الإصلاح والإنقاذ، ويتواصوا بالتعاون على الدعوة والتبليغ، ويتواصوا بالتعاون على التعليم والتربية، ويتواصوا بالتعاون على الأخلاق والآداب، ويتواصوا بالتعاون على الفضائل والمكارم، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الصالحة، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الطيبة، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الخيرية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الإنسانية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الاجتماعية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الاقتصادية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الثقافية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال العلمية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الفكرية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الأدبية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الفنية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الإعلامية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الإدارية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال السياسية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال العسكرية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الأمنية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الاقتصادية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال المالية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال التجارية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الزراعية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الصناعية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الحرفية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال المهنية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الفنية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الإعلامية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الإدارية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال السياسية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال العسكرية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الأمنية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الاقتصادية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال المالية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال التجارية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الزراعية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الصناعية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال الحرفية، ويتواصوا بالتعاون على الأعمال المهنية.

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم.

www.moswarat.com

وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

فحثت الآية على لزوم الصادقين ومصاحبتهم [illegible] من الشيوع بعد [illegible] الصحبة والصحبة التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ومن مضمون الصحابة التي [illegible] فيها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وسلوكهم.

وأيضًا النهي عن مصاحبة [illegible] على الناس عن طريق مصاحبة هذا العمل للمصاحبة [illegible] يأتي عن طريق التواصل مع الآخرين، لاسيما المصاحبة والملازمة، فالصاحب كما هو معروف ساحب، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»(1).

والمعروف أن الإنسان يحاكي صاحبه في أفعاله وسلوكه فإن كان الصاحب سيئًا [illegible] للمرء حظًا سيئًا في نفسه وسلوكه، ولذا [illegible] [illegible] [illegible] الصحبة [illegible] [illegible] من على الصحبة والصداقة في [illegible] ومن أنه [illegible] في الجحيم [illegible] سبحانه وتعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

والمعنى: احشروا الذين ظلموا ومن هم على شاكلتهم من الظالمين، فهم [illegible] [illegible](2).

ومن الصحابة [illegible] سبحانه عمر رضي الله عنه [illegible] [illegible] [illegible] يجيء صاحب الربا مع أصحاب الربا، وصاحب الزنا مع أصحاب الزنا، وصاحب الخمر مع أصحاب الخمر(3).

وأخبر جل جلاله: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤-٢٥].

وقوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ [الصافات: ٣٨].

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، [illegible] رقم ٤٨٣٣، والترمذي في سننه، أبواب الزهد، [illegible] رقم ٢٣٧٨.
حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة [illegible] رقم [illegible].

(2) في ظلال القرآن [illegible].

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].

[الكهف: ٢٨].

جاءت هذه الآية بعد ذكر قصة أهل الكهف وما كان من شأن صبرهم وثباتهم، والحق الذي معهم، وانقطاع قلوبهم على حب الله، توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصبر بمصاحبة أهل الحق، وتحذير من مصاحبة أهل الأهواء الذين اقترحوا عليه طرد الفقراء والضعفاء المؤمنين.

يقول ابن عاشور: هذه الآية جاءت ردًّا على سادة المشركين، حيث زعموا كبراً أنه لولا أن من المؤمنين ناساً أهل خصاصة في الدنيا وأرقاء لا يطرقونهم ولا يجالسونهم المجالس معهم، لأتوا إلى مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم واستماع القرآن، فاقترحوا عليه أن يطردهم من حوله إذا غشيه سادة قريش، فرد الله عليهم بهذه الآية[1].

وفي هذه الآية أمر بمجانبة الأهواء، ومخالطة الناس على حسب هواهم وشهواتهم مراعاة لكثرة الفرقة، لأن في حسبانهم من الفرقة ما لا يحصى[2].

ويأتي كذلك التأكيد على عدم الخروج عنهم فقال: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

وبالتالي التوجيه إلى العلو الأمر بملازمتهم لأن الهم أصحابه بالتالي لأجل الناس على الله من الأجر بالمثابرة والمصابرة».

ثم قال بعدها: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

وفي ذلك تأكيد الأمر بملازمتهم والنهي عن أي إعراض عنهم[3].

ثم واصلت الآية بعد ذلك تحذر من مخالطة صاحب الهوى ومصاحبته وطاعته: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

وما ذلك إلا لأن صاحب الهوى يأمر الآخرين به ولأنه لا يدعو إلا لما هو عليه[4].

وفي النهي عن التخلي عن الصبر معهم ومصاحبتهم والمبادرة للإقبال عليهم ما في سمو الصحبة للنبي من الإخلاص[5].

فمن غفل قلبه عن الذكر وامتلأ بالهوى، وصار أمره في جميع أعماله وأحواله فرطاً، وضاعت أوقاته بلا فائدة من ضحيته الأتباع[6].

ومما يدل على هذا الأثر من مصاحبة صاحب الهوى أنها تحمل الخوف في قول الآية التي تدل على التمكن الكبير من الأسر[7].

---

[1] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥/ ٣٠٠.

[2] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٤٧٥.

[3] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥/ ٣٠٤. المصدر السابق.

[4] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٤٧٥.

[5] إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٥/ ٢١٩.

[6] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥/ ٣.

أي: شديدا لتمكن الشبه والإشكال فيه، فلا يرى خيرا من صاحبه بعد ذلك.

وقد جاء في الحديث أنه صلى الله عليه السلام قال: إنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب[1] بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله[2].

وإنما الحديث صريح في الاستدلال على وجوب الحذر من مجالسة ومخالطة أهل البدع؛ وبيان ذلك أن داء الكلب فيه ما يشبه العدوى؛ فإن أصل الكلب واقع بالكلب، ثم إذا عض ذلك الكلب أحدا صار مثله ولم يقدر على الانفصال منه في الغالب إلا بالهلكة، فكذلك المبتدع إذا أورد على أحد رأيه وإشكاله فقلما يسلم من غائلته، بل إما أن يقع معه في مذهبه ويصير من شيعته، أو يثبت في قلبه شكا يطمع في الانفصال منه فلا يقدر.

وقد فهم هذا المعنى المتقدم ابن طاووس حين دخل عليه وعلى ابنه أحد المبتدعة فجعل يتكلم في القدر، فأدخل ابن طاووس أصبعيه في أذنيه وقال لابنه: أدخل أصبعيك في أذنيك واشدد فلا تسمع من قوله شيئا فإن القلب ضعيف[3].

وهكذا الأهواء إذا أشربها القلب صاحبها صارت كالعاهات التي لا يبرأ منها إلا القليل، ومن كان كذلك صعب عليه أن يرجع عن بدعته؛ ولذلك قال سفيان الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها[4].

كما أن الجار القرين الصالح والسيئ أي: العمل والسعي والسير أيضا أي: في مكانهم ومجالسهم، كذلك الأهواء جميع عوالم ومن البدع التي كانت السبب في الأخلاق وضعت موضعها وكذلك السيئ موضع السيئ؛ لأن صحبة الرجل مع غيره يحمله على الاجتماع في الطبيعة والقول والعمل؛ لذا يصاحب القلب يحصن منه ويعرض للإنسان من عض الكلب الكلب أي: المتكلب؛ وهو داء يصيب الكلب فيصيبه شبه الجنون فلا يعض أحدا إلا كلب ويعرض له أعراض رديئة ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا كما في النهاية[5].

والمصاحبة أي: مع صاحبه إلى جميع الطائفة أي: مثل سريان الكلب في العروق، أي سريان الأهواء من أهل البدع في المجالس

---

[1] الكلب: بفتح الكاف واللام: داء [illegible] يعرض للإنسان من عضة.

[2] أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب شرح السنة 4/198 رقم 4597، وأحمد في مسنده 4/102 رقم [illegible]، وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح 1/[illegible] رقم 172.

[3] أخرجه عبد الرزاق عن معمر في المصنف [illegible] رقم [illegible].

[4] [illegible] إبليس لابن [illegible] 1/[illegible].

[5] النهاية في غريب الحديث والأثر 4/[illegible].

تلك الأجرام تطلع وتغيب وفي سرية تلك الفجوة [illegible] على الغار بحرارتها [illegible] لم تؤذهم من الظلام واحتفاظهم من [illegible] حتى يستيقظوا [illegible] صاحب الكتب ورسالة تلك الطاقة في عروقه [illegible] البعثة لم تتغير إلى الفاني فلا يعطي البعثة أبداً إلا كلب أنه من [illegible] الأمر الذي [illegible] ويتبع من [illegible] حتى [illegible].

وفي هذا [illegible] حيا المصلح من خلال تلك الأحوال [illegible] هذا يختلف سائر [illegible] أن صاحبها لا يطابقه ولا يجد فيه خللاً إلا مع طول الصحبة والأنس به والأحوال [illegible] رأيه أمر في الأمر ما يدل على هذا الخصوص أن تلك الصالح [illegible] من مجالسهم ومكالمتهم وألفاظها في ذلك[1]

خامساً: من خلال الاختيار القصصي [illegible]

كثيراً ما يستعمل القرآن في التعبير عن [illegible] عنصر القصة [illegible] لما في التأثير بالقصة المصورة من أثر [illegible] وتفاعل [illegible]

[illegible] من الحق والشيء المحسوس[2]

ولأن القصة أيضاً من أقرب الوسائل [illegible] إلى فطرة الإنسان ومن أكثر العوامل النفسية التي تجذب الناس وتفتح قلوباً لسماعها [illegible] ولا يمل من [illegible] حتى يعرف خواتيمها [illegible] أهمية القصة في القرآن من المساحة الواسعة التي أخذتها من القرآن الكريم.

ولقد كانت القصة أحد أهم الأساليب التي استعملها القرآن الكريم للكثير من أنواع التربية ومن ذلك:

[illegible] العلم الصالح معه

إن القرآن يحكي لنا قصة هذا العبد الذي آتاه الله علماً[3] [illegible] لم [illegible] ولكنه [illegible] المجتمع [illegible] قصة [illegible] في الاعتراف من [illegible] كما [illegible] ولهذا لا [illegible] الكهف في السلك والترتيب والرسالة [illegible] لما [illegible] من ذلك [illegible]

قال سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾

---

[1] [illegible] شرح مشكاة المصابيح [illegible]

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible]

(3) [illegible]

[illegible] تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] مرتفعا[illegible]

ومن المعلوم أن الشياطين لا تستطيع من [illegible]

[illegible]

[illegible] الرجل [illegible] من الأرض [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]
[illegible] تفسير المنار، محمد رشيد رضا [illegible]

[illegible] جامع البيان [illegible]
[illegible] تفسير الشعراوي [illegible]
[illegible] زهرة التفاسير [illegible]

[illegible] فسد كالقلب إذا طرأت عليه وإذا تركه على حاله فسد(١)

وهكذا يتضح من هذا المثل القرآني خطورة قسوة القلوب والانقياد إلى الهوى والبعد عن الآيات والهدى، وفي هذا لا مرية موعظة للمؤمنين وتحذير لهم من [illegible] حتى لا [illegible] في مثل تلك القسوة التي [illegible] صاحب الحق بعد [illegible] إلى [illegible] بالقلوب(٢)

فهل شيء من هذا المثل [illegible]؟! وهل شيء من [illegible]؟! وهل شيء من [illegible] بالأرض [illegible]؟! وهل [illegible] كما [illegible] من [illegible] من [illegible] من الماء [illegible] والزرع [illegible] ويجعلها [illegible] و[illegible] إلى عالم [illegible] بالأرض [illegible] القلب [illegible](٣)

ويصف صاحب الإشارات [illegible] الهوى [illegible] صاحبها من [illegible] إلى [illegible] ومن ثم [illegible](٤) فما أعظمه من [illegible] أكثر ما [illegible] من [illegible] الله [illegible]

٢- القسوة في بني إسرائيل

ومن القصص التي ذكرها القرآن للتحذير من [illegible] الأمم [illegible] بني إسرائيل بما كان منهم من القتل وتكذيب الرسل [illegible] والأنبياء.

قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (المائدة: ٧٠)

وهذه المواثيق يقص القرآن علينا [illegible] إسرائيل، ويذكر كيف أنه أخذ العهود والمواثيق على بني إسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسوله فنقضوا تلك العهود والمواثيق، واتبعوا آراءهم وأهواءهم وقدموها على الشرائع فما وافقهم منها قبلوه وما خالفهم ردوه(٥)

وهذا من آثار الأمور التي [illegible] التشريع والهدى [illegible] الإعراض عن الرسالات والشرائع عن [illegible] عن هواها الذي يوجب لها الخسران في الدنيا والآخرة [illegible] القسوة [illegible] والجحود والطغيان [illegible] [illegible] من [illegible].

وما صنع بنو إسرائيل تلك الشنائع التي

---

(١) الفوائد لابن القيم ص[illegible]

(٢) نظم الدرر البقاعي ٧/٤٦٩

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/٣٤٨٧

(٤) لطائف الإشارات، القشيري [illegible]

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/[illegible]

[illegible] إلا [illegible] اليهود [illegible] من أنفسهم [illegible] لهم أنهم الشعب المختار [illegible] من [illegible] الله [illegible] لهم كما [illegible] صاحب [illegible] مع اليهود [illegible] في البلاد ومن أعوانهم [illegible] على [illegible] اليهود(١)

قال تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]

أي: وحسبوا ألا يترتب لهم شر على ما صنعوا [illegible] وهو أنهم عموا عن الحق وصموا فلا يسمعون حقًا ولا يهتدون إليه(٢)

ولكن كيف لنا أن [illegible] ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ [المائدة: ٧١] معطوف على ﴿وَحَسِبُوا﴾ [المائدة: ٧١]

[illegible] هي [illegible] على ترتيب ما بعدها على ما قبلها أي إنه [illegible] من الطريق [illegible] وصممهم عن سماع الحق [illegible] سببه ظنهم الفاسد الذي [illegible] لهم اليهود [illegible] أنفسهم [illegible] يصابوا [illegible] في الدنيا(٣)

وهكذا أيضا [illegible] في عدم اكتراثهم بالأمر ربما يكون لهم فيها من [illegible] أن عليهم [illegible] مصائب في الدنيا بسبب [illegible] هذا الظن [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] الأمر [illegible] عليها [illegible] [illegible] عليها حب [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على الأخرة [illegible](٤)

وهكذا يظهر لنا من قصص السابقين على خطورة اتباع اليهود وكيف أنه [illegible] الأمم [illegible] إلى [illegible] من [illegible] [illegible] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]

---

(١) لطائف الإشارات، القشيري [illegible]

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

(٣) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي [illegible]

(٤) المصدر السابق [illegible]

مجالات اتباع الهوى

لاتباع الهوى مجالات متعددة ونعرضها فيما يلي:

أولاً: العقائد.

الهوى أشد خطورة وأعظم أثراً إذا دخل في مجالات العقيدة وأبواب الديانة، ولذلك أثر الهوى على العقائد من أخطرها وأعظمها؛ لأنها هي التي يترتب عليها مصير المرء في حياته [illegible] ولقد تحدث القرآن عن ذلك في [illegible] توحيد الله [illegible] وإنما يلي عرض لذلك:

توحيد الله:

لقد عبر القرآن الكريم عن عمق الهوى في العقائد أن الهوى إله يعبد من دون الله تعالى.

قال تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الفرقان: ٤٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الهوى إله يعبد من دون الله(١).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: مهما استحسن من شيء ورآه حسناً في هوى نفسه كان دينه ومذهبه(٢).

ولقد تحدث القرآن عن أثر اتباع الهوى في العقائد في غير ما موضع، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ۝ ومناة الثالثة الأخرى ۝ ألكم الذكر وله الأنثى ۝ تلك إذا قسمة ضيزى ۝ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ [النجم ١٩-٢٣].

فهذه الآيات جاءت في معرض التنديد بالمشركين وعبادتهم الأوثان التي [illegible] ليس لها حظ من الشرع وإنما هي مجرد أسماء ليس لها من الألوهية التي ادعوها لها سوى الأسماء، وأما حقائقها وصفاتها فهي أبعد ما تكون عنها [illegible] لم يتلقوا ذلك عن وحي منزل من الله ولا عن رسول الله [illegible](٣) [illegible] الأنفس.

يقول ابن تيمية رحمه الله: فأصل الضلال اتباع الظن والهوى، كما قال الله سبحانه وتعالى في حق من ذمهم: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ [النجم ٢٣](٤).

ومما يوضح [illegible] خطر الهوى وكيف أنه كان السبب وراء هذه العقائد التي [illegible] والاستحسانات الفاسدة التي اخترعوها من [illegible] ﴿وما تهوى الأنفس﴾ على

---

(١) [illegible]

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

(٣) جامع البيان للطبري [illegible]

مجموع الفتاوى لابن تيمية [illegible]

﴿أَهْوَاءَهُم﴾ عطف الصفة على الموصوف لبيان الظلم الذي يحملهم على اتباعه لما يوافق أهواءهم ورغائبهم.

ومع كل هذا فلا عاصم من ربهم للهدى، والتعبير بالفعل المضارع في كلمة ﴿يَهْدِي﴾ فإنه يدل على معنى الاستمرار أي الهادي الراجح(1).

فالهدى الذي لهم كان ظاهرًا عندهم الظهور، ومع ذلك لم يتابعوه بعد بيانه لهم إلا لما للهوى الذي كان في نفوسهم وحتى طغى الأمر إلى صورة النفس وهواها فلن يجدوا لهم من يهديهم بعد الله ما ليس له الحق ولا شيء [illegible] الضلال إنما هو الهوى الجامح الذي يبدأ لم يبحث بعد ذلك عن سبيل لما يريد وهي من حالة الجهل التي لا يعلمها الباطل ولا يعلمها العقل(2).

ومما يؤيد أثر اتباع الهوى وأثره في توحيد الله تبارك وتعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الروم: 28-29].

فهذا مثل ضربه الله للمشركين ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الروم: 28]، أي: لا يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكًا له في ماله فهو وهو فيه على السواء؟

والمراد أن الإنسان الذي يأنف من هذه الشركة، كيف يرضى بها لرب العالمين؟

وهذا مثل واضح والمثل يفهم لأصحاب العقول بعد هذا المثال أن فكرة الإشراك إنما هي [illegible] للأصنام [illegible] التي [illegible] وذلك بالإقلاع عن الشرك وقبول الإيمان، ولكن هذا لم يحصل منهم؛ ولذلك جاء الإضراب الإبطالي؛ ليكشف عن حقيقة الشرك وعن الصفة الأصيلة في هذا الصنف الضعيف: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم: 29].

إنه الهوى الذي لا يستند على عقل أو علم، والهوى لا ضابط له ولا معيار، إنما هو شهوة النفس المتقلبة ونزواتها المضطربة ورغباتها ومخاوفها وآمالها ومطامعها التي لا تستند إلى حق، ولا تقف عند حد، ولا تزن بميزان، وهو الضلال الذي لا يرجى معه هدى، والهوى والظن لا

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢١/ [illegible]

(2) المصدر السابق.

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/ ٢٧٦١.

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٦/ ٣.

ترجى منه قربة(١).

ولذلك ختم الله الآية بقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فمن لا تقوى له يمكن أن يرتكب [illegible] الله عن [illegible]، ومن لا تقوى يخشى هذا الكفر الذي ختم الله به على [illegible] ومن لا تقوى يمكن تصوره إلا بالله [illegible](٢).

٢- اليوم الآخر

اليوم الآخر من المحاور الكبرى للعقيدة الإسلامية، وهو من الموضوعات التي ظهر فيها الربط بالأهواء بشكل كبير، ومما جاء القرآن فيه من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾ [طه: ١٥- ١٦].

وهذا كلام الله في مقام التكليف لموسى عليه السلام، وذلك أن قرب الساعة وتحقق مجيئها [illegible] على أمر الساعة [illegible] لا ريب فيها.

والإيمان باليوم الآخر يعطي المسلم [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (١) [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible](٢).

والذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]، أما من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] من الغافلين ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾ [طه: ١٦].

وتأمل كيف أن الله قال ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [illegible] [illegible] في أصل [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] العبد من الإيمان بالساعة إلا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

ومن الآيات التي كشفت عن صلة الهوى في الآخرة قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣/ ١٢٣٣.

(١) [illegible] [illegible] [illegible] تاج العروس، ٣/ ١٨٨.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٣٣٦. التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٦/ ٢٠٣.

إن كنتم صادقين﴾ [illegible].

وهذه الآيات تكشف وتوضح وجهًا من شأن الهوى في التحلل باليوم الآخر وكيف أنه ينحرف الإنسان عنه ويجعله يكذب باليوم الآخر والأمور الغيبية فيكذب ويسأل ويجادل في الشيء والمعجزات مع أن الأمر أكبر ما يكون وأكثر مما أنكره الهوى في النفوس.

يقول صاحب الظلال: «إن الهوى هو الذي يملي التكذيب بالساعة، فالفطرة السليمة تؤمن من نفسها بأن الحياة الدنيا لا تبلغ فيها الإنسانية كمالها، ولا يتم فيها العدل الشامل، وأنه لا بد من حياة أخرى يتحقق فيها الكمال المقدر للإنسان والعدل المطلق في الجزاء على الأعمال»[1].

الاتباع

العبد في هذه الحياة مأمور بالطاعة والاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ففي هذه الآية دعوة ظاهرة على الناس جميعًا بأن يطيعوا الله ورسوله، وأن يستجيبوا لما يدعوهم إليه من الإيمان بالله ورسوله ومن العمل الصالح الذي يدعو إليه الله ورسوله[2].

وتكون هذه الطاعة لله ولرسوله والاستجابة لأمرهما التي يجب على العبد الحرص عليها من المجالات التي تدخل فيها الأهواء بشكل كبير.

قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٤-٤٥].

تبين الآيات جانبًا مهمًا بين سبحانه وتعالى أنه إنما أرسل رسوله لإقامة الحجة على الكفار حتى لا يقولوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولًا فنتبع آياتك؟ ولكنهم لما جاءهم الحق جحدوا وأنكروا وطلبوا المعجزات الحسية، فبينت هذه الآية أن الحقيقة هي عدم استجابتهم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٩-٥٠].

وتبين هذه الآية أمرين: أن الخلل في هذا

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٦٣٢).

[2] التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (٥/ ٥٩٦).

[illegible] القرآن [illegible] فيما يخالف [illegible] إلا أن يكون الهوى هو الذي يصده[1].

وقال ابن [illegible] لم [illegible] [illegible][2].

[illegible]

ففي هذه الآية دليل على أن كل من لم يستجب للرسول وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول فإنه لم يذهب إلى هدى وإنما ذهب إلى هوى[4].

[illegible] الهوى في الاستجابة لله ورسوله [illegible]

[illegible] الإمام البخاري عن [illegible] رضي الله عنه [illegible][5].

[illegible] ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: 43].

[illegible] اتباع الهوى [illegible][6] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [الفرقان: 44].

[illegible]

[illegible] ① [illegible]﴾ [illegible].

[illegible] الاستجابة واتباع الهوى [illegible]

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

[2] جامع البيان، الطبري [illegible].

[3] في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

[4] تيسير الكريم الرحمن، السعدي [illegible].

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible] الفرقان، باب [illegible] ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب [illegible] رقم [illegible].

[6] تيسير الكريم الرحمن، السعدي [illegible].

[7] المصدر السابق.

أنه يحتاج حاجة إلى فهم على هذا الأمر، وخصوصاً في هذا الزمان الذي كثرت فيه الأهواء وتزعمت فيه المذاهب في التعامل مع النصوص الشرعية بدعوى تغيرها لهذا العصر وحاجته، وهذا يرجع لتمييعه في تناول النصوص، وذلك يحتم الرجوع إلى أولئك [illegible] مراد الله ومراد رسوله وسبيلهم[1]

وهذا ما أشار إليه الإمام ابن تيمية بقوله: فكل من لم [illegible] أو [illegible] ومن لم [illegible] يعرضها على الشريعة الكاملة التي [illegible] على محمد من الله[2]

فالواجب على العبد أن يلتزم التسليم والطاعة والاستجابة، وأن لا يتكلم على كلام الله ولا كلام رسوله إلى كلام [illegible] عدم الاستجابة إنما هي اتباع الهوى، فكل من علم من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته أمراً ثم تركه بعد معرفته به فهو متبع الهوى، كما يقول الإمام ابن القيم: فمن ترك الاستجابة إذا ظهر له [illegible] وعدل عنها إلى خلافها فقد اتبع هواه[3]

ولا شك أن المؤمن كامل الإيمان لا يكون هواه إلا تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وبه جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به[1]

ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم أفضل الخلق لما [illegible] بالقرآن والسنة [illegible] [illegible] إلى ما جاءت به الشريعة السمحة التي تلقوها كاملة في الإسلام، ولو فرض كان أحدهم يميل إليه [illegible] وهو في صف المؤمنين، وعدا في صف الكافرين المشركين، فلما رضي الله عنهم في طريقه [illegible] [illegible] [illegible] أمرها عن ذلك الهوى، سوى الباطل [illegible] [illegible] الطريق [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] حتى [illegible] [illegible] [illegible] النظرة التي تحسب من حظوظ النفس، وعمل الخلق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وعلمه على هذا[3]

قال العلامة الكشميري: قوله: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه" أي: ميل نفسه "تبعاً لما جئت به" هذا محمول على نفي أصل الإيمان، أي: حتى يكون الهوى تابعاً لما جئت به من الهدى والشرع من الأحكام

---

[1] قواعد الترك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[2] الاستقامة لابن تيمية [illegible]

[3] الصواعق المرسلة لابن القيم [illegible]

[1] أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة [illegible]، وابن بطة في الإبانة الكبرى [illegible] ٢٧٩، وضعفه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح [illegible] رقم [illegible]

[3] الاعتصام [illegible] [illegible] العصرية الشاطبي ص [illegible]

لا عن الإكراه وخوف السيف كالمنافقين.

ويقول العلامة القاري في المرقاة: أي لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون في محبة الشرع وموافقته له كموافقة المألوفات، فيستمر على الطاعة من غير كلفة وكراهية، ويلتذ بها عند تعاطي كثير [illegible] ومثله حالة لا تأتي إلا في المحققين من أربابه، وقيل في معناه: حتى يحب ما أمر به ويكره ما نهي عنه أي يقدم الشرع على هواه[1]

فلا يميل إلا إلى الشرع ولا يهوى إلا حكم الشرع، فمن كان هذا حاله فهو المؤمن الكامل الموحد، ومن أعرض عنه حبا لهواه ومتابعة لرغباته فهو العاصي في [illegible].

قال الحافظ ابن رجب: فجميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [القصص: ٥٠].

وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه، وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموما، ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وتحرم موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عموما[2]

ثانياً: الحكم والقضاء

القضاء والحكم بين الناس من المجالات التي يظهر فيها اتباع الهوى بشكل كبير، ويترتب عليها آثار خطيرة في الفساد في الأموال أو الأعراض، ولذا أكد القرآن على خطر هذا الأمر في غير ما موضع.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ⁽٤٨⁾ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم

---

[1] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/[illegible]

[2] جامع العلوم والحكم ١/ ٣٩٤

وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۝ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠].

أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال كعب بن أسد وابن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فقالوا يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن لك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ إلى قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠](١).

ويظهر خطر الأمر في مجال القضاء من خلال توجيه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، ففي هذه الآية تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من اتباع أهوائهم بالاستماع لهم والنزول لأهوائهم ولو للمصلحة في تأليف قلوبهم وجذبهم إلى الإسلام، فالحق لا يوصل إليه بطريق الباطل(٢).

فإذا كان الخطاب موجهاً للنبي صلى الله عليه وسلم وهو من هو، فإنه لا شك أن من بعده من المؤمنين في هذا الخطاب من باب أولى.

ويقول: (وتأمل الآيات يلحظ أن الله سبحانه وتعالى نهى النبي عن اتباع أهوائهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩] وما ذلك إلا لشدة الخطر منه، ولأن ذلك في مقام التحكيم بالشرع وهو أوسع، وهذا في مقام التحكيم وحده، وكلاهما يلزم له أن لا يكون أثر للهوى والمجاملة للباطل)(٣).

ويتكرر التحذير من اتباع الهوى في هذا المجال أيضاً لأنه خطير الضرر لما فيه من إلباس الحق بالباطل، وبهذا يظهر خطر اتباع الهوى في مجال القضاء والحكم بين الناس.

ومن الآيات التي تحذر من خطر الهوى في هذا المجال أيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

فهذا أمر رباني من الله لنبيه داود عليه السلام بأن يحكم بين الناس بالحق ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦].

---

(١) جامع البيان، الطبري [illegible] ٣٧٣.

(٢) [illegible]

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢٣٤.

يجد هذا الأمر فلن له فائدة في دنياه أن يقطعه من الحبل ولا أمكنه من لزوم الحق عند التحاكم، قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

فاتباع الهوى يبعد الحاكم عن الحكم بالعدل، والهوى في النفس له سوابق والمسارات لا تحصر، واتباع الهوى يوصل إلى الاختلال العقلي والاستبداد بالآراء والطموحات الشخصية، يوصل إلى الظلم والعدوان والبغي والفساد العريض في كل شيء[1].

وهكذا يظهر مدى خطورة أمر اتباع الهوى في مجال التحكيم والقضاء، لذلك تحرص الشريعة الإسلامية على الحذر منه والحث على التحري لشرع الله سبحانه وتعالى والإقبال على التحكيم بما أنزله والالتزام بما شرع.

رابعًا: العلم.

العلم من أهم الأمور التي يعطيها الله العبد ويمنحها إياه ليكون له نورًا يمشي به في الدروب المظلمة ويحميه من ظلمات الشهوات والشبهات ويساعد القلب على حسن الإبصار ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

ولذلك طلب الله سبحانه وتعالى منا الاستزادة من العلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

قال القرطبي: فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم[2].

ولعل من أعظم الآفات التي تبعد المرء عن حسن الانتفاع بالعلم ومخالفته الهوى، حيث يتسلط على القلب فيلبسه ويصرفه عن حقائقه ومقاصده وهذا ما يظهر من خلال قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

ونقف مع هذا المثال وقفات تبين أثر اتباع الهوى في عدم التمسك بحقائق العلم.

الوقفة الأولى: هذه القصة أتت بعد حديث القرآن عن عهد الميثاق ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

أي: إن الله أودع فطر الناس ما يدلهم عليه ويرشدهم إلى بابه ويعصمهم بالحق

---

[1] معارج القلب، مجلة البيان، ٢٣/٤٤٣ باختصار.

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

[illegible] الرسل، ولكن الانسلاخ يحصل به الهوى والطبيعة [illegible] من حقيقة العلم [illegible] في الفطرة [illegible] إلا [illegible] من [illegible] [illegible] الألوهية [illegible] [illegible] عن ذلك [illegible] [illegible] بما الباطل على الحق[١].

ومثال [illegible] عن الهوى [illegible] الآيات في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

[illegible] هذا الرجل بعد أن [illegible] السابقة [illegible] حتى [illegible] [illegible] عليهم [illegible] بالتوحيد والإخلاص لأمر الله [illegible] على الرجل بما عاهد الله عليه في الفطرة لم [illegible] كلية[٢].

وما ذلك إلا لأنه [illegible] الأسفل على [illegible] من [illegible] واتبع الهوى ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

فلم يركن إلى الدنيا وسكن[٣].

والتعبير بالإخلاد يوحي بأنه [illegible] للالتصاق لم يكن عن [illegible] حيث [illegible] وكأنه كان من إخلاده إلى الأرض يميل بكليته إلى ما عداه، وأصل الإخلاد اللزوم على الدوام كأنه قيل: لزم الميل إلى الأرض.

ثم ختمت الآية بهذا [illegible] التي كانت سببًا في انسلاخه لتأكيد ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

[illegible] أنه أعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى فلا حرم وقع في هاوية الردى[٤].

وهكذا حرم من الانتفاع بحقائق العلم التي كانت عنده بين يديه وانقلبت [illegible] من أمر دنياه.

[illegible] مما يظهر أيضًا [illegible] الهوى على التمسك بحقائق العلم في الآيات قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

فالمتأمل لتصوير المشهد هنا يوحي بعظمة ما آتاه الله [illegible] [illegible] من ذلك أن يرفعه [illegible] عن [illegible] [illegible] الهوى حرم

---

[١] تيسير الكريم الرحمن [illegible]
[٢] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]
[٣] زاد المسير، ابن الجوزي [illegible]
[٤] بدائع التفسير، ابن القيم [illegible]
[٥] مفاتيح الغيب، الرازي [illegible]

بركة الأوقات وأثرها على الأعمال الصالحة، وهذا يدلنا على خطر الهوى في حرمان الإنسان من البركة بمحاق العلم منها [illegible].

الوقفة الثالثة: وهي ما يكشف لنا أيضًا من خطر الهوى في حرمان الإنسان من حلاوة العلم وبركته أن هذا الرجل أتى بعد حديث القرآن عن اليهود ومن المعلوم أن اليهود كانت لديهم عدد كبير من الأنبياء والتي كانت تعاليم التوراة هي التعاليم اليهودية.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ البقرة: ٨٧.

فالآية أتت على القصة بعد مرة تستعرض الآية على مدى أثر الهوى في التمسك بحقائق العلم.

وهكذا يظهر أثر الهوى في صد العبد عن التمسك بحقائق العلم الظاهرة، ويجعله [illegible] [illegible] [illegible] من عليه الأثر [illegible].

وسائل مقاومة الهوى

اقتضت مسائل مقاومة الهوى التي ذكرها القرآن الكريم وسوف أعرضها بإيجاز فيما يلي:

أولاً: ذكر العاقبة السيئة لاتباع الهوى:

من أعظم الأمور وأكثرها تأثيرا في تصرفات الإنسان من أي عمل أو ترك الإنسان معرفة العاقبة التي يحملها ذلك الأمر المرء كثيرا ما يرجع حساباته عاقبة اتباع الهوى، ولا شك أن استحضارها وإدراكها من أكبر ما يعين العبد على مقاومة الهوى ومغالبته، ومن عواقب اتباع الهوى ما يلي:

الحرمان من ولاية الله ونصرته

من أعظم الأمور في حياة العبد هي ولاية الله له فمن تولاه الله أسعده ونصره ومن خذله [illegible] كيف لا يخافه سبحانه وتعالى يقول: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»[1]

وإذا كان حرمان العبد من ولاية ربه من أشنع العواقب لاتباع الهوى، فكفى بهذه العقوبة حرمان العبد من ولاية الله يعني أن [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] الإنسان من الهداية التي [illegible] من [illegible].

ومن الآيات التي تحدثت عن هذه

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب التواضع [illegible] رقم

المكانة السنية لاتباع الهوى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

ففي هاتين الآيتين يظهر مدى خطورة الهوى من والاية فيه إنه أعرض عن هديه وإلى هواه، ولقول كما أن الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم فهذا أبلغ في التحذير من الخطورة التي لا تسامح في الانحراف عنها حتى ولو كان من الرسول صلى الله عليه وسلم وحاشاه[1].

وما لها من مكانة السنية لدى الشاطبي حيث قال: [illegible] ليس الشارع [illegible] أسباب الشرع وتابع ما يريد بين يديه وسواه الظهور لا حتى حد طريقة هوى، ولا يطلق له هو ولا موافق له حد، والتصقت به أسباب الشرع ويعمل ما يريد بين أيديهم حتى له هوى إلا [illegible] وقلبه الكل العلم الذي [illegible] الاطلاع والاتصال من أنواع الأئمة وأنواع الخاطئ[2].

فسرى بالحق أن يظهر في هذه المكانة السنية لاتباع الهوى، ولا شك أن هناك من أعظم ما يدعو على خطورة الهوى.

٣- الزيغ في القلب

من المراتب السنية التي ذكرها الله سبحانه وتعالى لاتباع الهوى الزيغ في القلب عند المنحرف عن الحق الذي أورثه بكونه جحدا من الظالمين كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

وكذا قوله: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩].

ويحمل الظلم عاقبة لاتباع الهوى لأنه أعظم الظلم الذي ظلم أعظم من ظلم من جاء الحق وابتغى الظلم على الشرك[3] ويقال الهوى وأعمى [illegible] من وتركه إله، لا شك ظلم عظيم.

وأن يورث اتباع الهوى بصاحبه إلى الظلم التي عاقبة سوء: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

وهو ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ [illegible]

[2] [illegible] الشاطبي [illegible] من العلم ص [illegible]

[3] تفسير القرآن للقرطبي [illegible] ص٣٣.

(٥٠).

بل إنه ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

وأي خير ونفس لمن أتبعه رب العالمين، ومن عرفه من موارد الهدى [illegible] عليه إنه لا شك [illegible] في حياته وآخرته [illegible] والله يقول ﴿[illegible]﴾ (يوسف: [illegible]).

٢- الوقوع في الضلالة.

من العواقب التي ذكرها الله سبحانه وتعالى لاتباع الهوى الوقوع في الضلال والغواية، كما قال الله سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه داود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: ٢٦).

ففي هذه الآية بيان واضح أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله.

وهذه حالة غالبة في النفوس الإنسانية ما يضل عن هدى الله [illegible] ويخبط في الظلمات والحيرة والشكوك والانتقال من طرف إلى طرف لا يستقر ولا يرتاح في [illegible] والشك بين [illegible] ولو كان في [illegible] [illegible](١) وطلا حتى أنه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الأكل والشرب(٣) [illegible] من هذا [illegible].

٤- [illegible] الإنسان إلى هواه.

من العواقب السيئة لاتباع الهوى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] الله أنه [illegible] [illegible] [illegible] وعظم [illegible] [illegible] لم يكن له مولى إلا [illegible] ولا [illegible] الإنس [illegible] عليهم أن [illegible] في الحياة [illegible] ولو [illegible] له كل أسباب السعادة وكل أسباب القوة التي عرفها البشر(٤)

[illegible] الله الإنسان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الأخلاق [illegible] الأرض والسماء؟

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي [illegible].

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب [illegible].

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [الجاثية ١٧].

فها هنا يذكر المولى سبحانه وتعالى كيف أنه أنعم على بني إسرائيل حين آتاهم العلم والحكم والنبوة [illegible] والعلم ﴿بينات من الأمر﴾ [الجاثية ١٧].

أي: دلالات تبين الحق من الباطل[1] ولكنهم ما اختلفوا وتركوا [illegible] بل اختلفوا ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم﴾ [الجاثية ١٧].

أي: [illegible] وبغيهم [illegible] ثم يأمر [illegible] الله الأمة أن تسلك [illegible] ولا تتبع أهواءهم[2] ولهذا تلت الآيات بقوله: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ⊙ إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ [الجاثية ١٨ - ١٩].

والآية هنا تكشف العلل التي من اتباع الهوى في شيء [illegible] ولذلك كان الرسول الكريم إن اتبعت أهواء هؤلاء الجاهلين [illegible] وإن [illegible] لن يغنوا عنك من الله شيئا مما أراده الله سبحانه وتعالى بك[3] في الآيات من خلال أن يكون المخاطب بهذا التعبير وهذا الوعيد هو النبي صلى الله عليه وسلم والخطاب لا تملك الأمة [illegible] ولكن توجيه الخطاب إليه يوحي بشدة [illegible] الله لهذا الهوى [illegible] سيما [illegible] أن النبي صلى الله عليه وسلم قد [illegible] إلا [illegible] هؤلاء مولا [illegible] لهداية الله ولم يكن له من ولي يدفع عنه [illegible] الله [illegible] إن جاءها [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله!! إن الخطر [illegible] والله لا [illegible] من أمر الله [illegible] هذا الخطر؟![1]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ [الجاثية ١٩].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من شرائع الله [illegible] الأهواء هم الظالمة [illegible] من [illegible] [illegible] ولله [illegible] [illegible] [illegible] ولاية للمتقين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٧٧٦.
[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٦٣/٧.
[3] التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ١٣/٣٢.

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ٢٨/١٣.
(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٨/٧٦، [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] مراتب [illegible] الآخرة [illegible] العبد [illegible]

ثانياً: الاستعانة بالله

الاستعانة بالله من أعظم الأسباب التي تعين العبد على تحمل البلوى، والاستعانة [illegible] سبحانه وتعالى، ولهذا لما توعد فرعون بني إسرائيل بالقتل والتعذيب ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: [illegible]].

وجههم موسى عليه السلام إلى الاستعانة بالله [illegible] ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: [illegible]].

[illegible] الأسباب [illegible] واحد [illegible][2]

ولما جاء إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم ليخبروه بأكل الذئب لولده يوسف [illegible] يوسف عليه السلام لم [illegible] أن قال ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: [illegible]].

ولا غرابة [illegible] في اليوم الواحد مرات ومرات القول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: [illegible]].

وقال [illegible] أن سر الاستعانة بعد العبادة مع أنها داخلة فيها لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله سبحانه وتعالى، فإنه إن لم يعنه الله لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي[3]

[illegible] الاستعانة بالله [illegible] العبد

---

[1] المصدر السابق [illegible]

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

[3] تيسير الكريم الرحمن، السعدي [illegible]

عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله سبحانه وتعالى، فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول(١)

والاستعانة بالله من أكبر الأمور التي تحفظ العبد لاسيما في أمر الدين الذي يعسر على الناس مخالفته ويثقل عليها تركه، والقوي عليها مخالفته ولا عاصم منه إلا القوي المتين سبحانه وتعالى.

ولذلك فإن [illegible] يجب على المؤمنين أن يستعين بالله ويتوكل عليه في أن يقوم [illegible] ولا [illegible] على الدين [illegible] ولا [illegible] كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: ٤)(٢)

فالمرء إذا أراد أن يحفظ من [illegible] والمعاصي عليه أن يكثر من اللجوء لله والذل [illegible] سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: ٦٢)

إنها كما يقول صاحب التفسير القرآني [illegible] إلى [illegible] عند هذا المشهد الذي يرى فيه هذا الإنسان الذي [illegible] إليه حوله واتجه [illegible] بعد أن [illegible] القلب [illegible] الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، فليأخذ كل إنسان لنفسه حظا من هذا المشهد ولينظر إلى نفسه إذا كان بالمكان الذي فيه هذا المضطر الذي يتطلع من هذا المكان ويمد يده إلى الله طالبا العون بعد أن لا يطلب العون إلا منه ولا يرجو الخلاص إلا على يده سبحانه وتعالى(٣)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أكثر الناس لجوءا إلى ربه واستعانة [illegible] في هذا الأمر، عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سألت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي [illegible]

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية [illegible]

(٣) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب [illegible]

مستقيماً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه السلام يقول: اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً، والحمد لله على كل حال(1).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ما خرج النبي صلى الله عليه السلام من بيتي قط إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: اللهم أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أزل أو أُزل أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يُجهل علي(2).

وتأمل يا أخي في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي لما استعاذ به من الحق وقال: اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وأعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أزل أو أُزل، وهذا معنى حقيقة العبد العالم بربه، ولا الكبر والعجب لسواه حتى يعتبر له حسن الأتباع ويتعوذ من شر هواه وما عداه، إلا الأخذ بالهداية والتوفيق منه سبحانه وتعالى.

ثالثاً: الخوف من الله

الذي يسقط القلب الراكد من غفلته، ويصحو من سكرة هواه لا بد له من مزاج يحسم عذر نفسه، ولا شيء أفضل في هذا من الخوف من الله فهو من أعظم الأمور التي تهز الأفئدة وتحرك القلوب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

فالخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى الجارفة، ولا أحد يقف غير هذا الحاجز أمام طغيان الهوى(1).

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قدم الخوف على نهي النفس عن الهوى، وما ذلك إلا لأن الخوف من الله هو السبب المعين لقطع الهوى(2)، إنما يظهر أثر الخوف من الله في مخالفة الهوى.

يقول إبراهيم بن شيبان: الخوف إذا سكن القلب أحرق مواضع الشهوات منه، وطرد عنها الدنيا منه، وأسكت اللسان عن ذكر الدنيا(3). وقال أبو حفص: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق(4).

من تأمل كتاب الله [illegible] المعالي

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل، برقم ٧٧٠.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب ما تعوذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢/١٢٧٨ رقم ٣٨٨٤.

(3) أخرجه أبو داود في سننه أبواب النوم، باب ما يقول إذا خرج من بيته ٤/٣٢٥ رقم ٥٠٩٤.

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/٣٨١٤.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي ٣١.

(3) شعب الإيمان، البيهقي ٢/٣٦٨.

(4) مدارج السالكين، ابن القيم.

الخوف من كتاب الله جل جلاله

أولاً: الملائكة المقربون تخاف ربها ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 50].

ثانياً: الأنبياء الله يصفهم الله بالخوف منه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: 57].

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ... يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: 37].

ثم أن هذا أمر الشرع بالخوف منه ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: 51].

ولذلك من أسباب النار والعياذ بالله عدم الخوف من الله جل جلاله ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ [المدثر: 53].

كما أن الخوف من الله عز وجل سبب من أسباب التمكين لعباد الله عز وجل ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: 14].

وبين الله جل جلاله أن المؤمنين بين الخوف ومخافة العذاب بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: 28].

وبين ربنا أيضاً أن المتقين منه هم الذين يخشونه بالغيب والآيات كثيرة: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 49].

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: 10].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28].

ولهذا كان جميع الأنبياء والمرسلين يخشوا ربهم وينذرون أقوامهم من الشرك بالله ويذكرونهم ليحذروا غضب الله وسخط عقابه فيحل عليهم سخطه الدنيوي.

نماذج من تخويف الأنبياء لأقوامهم في دعواتهم

فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: 3].

وهكذا إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 85-87].

وقال ما قاله هود عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: 21].

ولذلك روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت

﴿[illegible] بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤].

وجد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المجتمع المادي [illegible] لا يرى [illegible] الظاهر الدنيوي حتى اعتبروا [illegible] الرجل إذا لم يستطع أن يكون الرسول رسولاً [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، فقالوا: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليكم [illegible]؟ فقالوا: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][١].

لذلك يكون المعروف من جملة صفات الرسل أنها لا تكاد تخلو من [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

ثانياً: استحضار حساب الآخرة

٢- [illegible]: إن من أعظم أسباب [illegible] الهوى استحضار [illegible] اليوم الآخر، فاستحضار الآخرة في النفس يعطي الإنسان القوة في مواجهة اتباع الهوى [illegible] [illegible] نسيان الآخرة عامل كبير في اتباع الإنسان الهوى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وفي هذا إشارة واضحة إلى أن السبب الأول لضلالة [illegible] [illegible] -[illegible] من اتباع الهوى- هو نسيان يوم الحساب، لأنه لو كان حاضراً [illegible] يوم الحساب لما أعرض عن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، ولكنه صار [illegible] في [illegible] [illegible][٢].

فاتباع الإنسان لهواه إنما هو نتاج نسيان الآخرة، ولو [illegible] الآخرة في حياته لما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] اليوم الآخر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][٣].

ومن الآيات التي تحث على [illegible] من [illegible] قوله: ﴿[illegible]﴾ [الأنعام: [illegible]].

فهذا [illegible] على أن عدم الإيمان بالآخرة من أهم [illegible] إلى اتباع الهوى؛ لأنهم لو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على هذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المسألة لامتنعوا عن اتباع الهوى.

وهكذا يظهر لنا أن استحضار اليوم الآخر [illegible] [illegible] من اتباع الهوى [illegible] [illegible] [illegible]

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible]، باب [illegible] [illegible] [illegible]، [illegible]، رقم ١٧٧٢.

[٢] [illegible] [illegible] [illegible]، [illegible].

[٣] [illegible] [illegible] [illegible]، [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] في سورة الفاتحة التي [illegible] كل [illegible] ﴿[illegible]﴾ [الفاتحة: ٧].

[illegible]

الإيحاء اللوني الذي [illegible] [illegible] بالمفهوم فيما يأتي:

أولاً: الضلال:

ومثلا من مظاهر الترهيب الإيحاء اللوني قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦].

ففي هذه الآية يأمر الرب المتعال نبيه صلى الله عليه وسلم أن يواجه المشركين ويخبرهم أنه نهي عن اتباع أهوائهم لأنها من أسس الضلال [illegible] ولا [illegible] إليها.

ومما يؤكد على هذا عطف ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ على ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ على [illegible] دلالة على أنه جزاء آخر للشرط الضمني ليدل على أنه إن فعل ذلك يخرج عن حاله التي هو عليها الآن من كونه في عداد المهتدين إلى الكون في حالة الضلال، وأكد مع ذلك تأكيد مضمون جملة ﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾ لأنه نفى عن نفسه ضد الضلال، [illegible] خطورة الضلال على [illegible]

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب [illegible]

والنصارى»

وهكذا يظهر جلياً أن الله عز وجل نهى عباده ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ عند الحكم (صلى الله عليه وسلم) فلا يجوز له أن يحكم في مجالسهم لدين الله الحق، الأهواء الباطلة الفاسدة الآراء الضالة، وفي هذا أمر ربه على المسلمين بمحاربتهم ومخالفتهم لميلهم على الأرحام بالباطل(1)

ولهذا كان الضلال أيضاً من آثار اتباع الهوى؛ لأن سبيل الهداية إنما يستنير بالعلم والضلال إنما يكون باتباع الإنسان الهوى كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩]

وقيل كذلك أن الله عز وجل في قراءة ﴿لَيُضِلُّونَ﴾ وفي قراءة ﴿لَيَضِلُّونَ﴾ لأن الله في ﴿لَيُضِلُّونَ﴾ المتعدية والله في ﴿لَيَضِلُّونَ﴾ القاصرة، أي ضالين متابعين الهوى ملابسين لعدم العلم(3)

ولهذا فإن من اتبع الهوى يصير كالعمى لأنه أعرض عن مصادر الهداية والمعرفة؛ لأن هذا الهوى سبب في ضلاله وإبعاده عن الهداية والتوفيق.

ومن هنا كان الضلال أيضاً من آثار الهوى أو متابعته متبع الهوى كما قال أي قالوا: لا تصدقوا قول الأحبار ولا الرهبان الذين لا كن أن يحسبوكم في ضلالهم أن يلبسوا عليكم ما كنتم عليه(2)

ولما كان الضلال أيضاً من آثار اتباع الهوى فإن الهوى قد يقود صاحبه إلى ما هو أعظم من ذلك كأن يقوده إلى القتل أو الظلم.

ثانياً: القتل

لقد أخبر القرآن الكريم وبين أن اتباع الهوى هو الباعث على قتل كثير من أنبيائهم ورسلهم، قال الله عز وجل مخبراً عن بني إسرائيل: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

فهذه الآية تذكر ما أخذ الله من العهود على بني إسرائيل في التوراة من العمل بالأحكام التي شرعها لهم في عقائدهم وأعمالهم وحثهم على الفضائل ومكارم الأخلاق(1)

ولكنهم نقضوا الميثاق فكذبوا وقتلوا كلما جاءهم الرسول بما لا تهواه أنفسهم(2)

وما ذلك إلا بسبب اتباعهم لأهوائهم

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور ج/ ٣٢٣

(2) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ج/ ١٤٣-١٤٤

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور ج/ ٣٢

(1) الطبقات الكبرى، ابن سعد ج/ ٢٢٨

(2) القلم المنير ج/ ٣٣٣

(3) مفاتيح الغيب، الرازي ج/

والكثير بما يخالف هواهم.

ولذا كان اليهود -من بني إسرائيل- سائرين على هذا الدرب -درب اتباع الهوى- في الأكثر وتبعهم ثلة غيرهم من الأمم والأقوام السابقة ساروا على النهج نفسه تاركين رسلهم ومكذبيهم لا لشيء إلا لأجل اتباع الهوى.

كما قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ الزخرف: ٢٣-٢٤.

فالمشكلة إذن مدار الأمر عند الأكثر من اتباع الهوى والتقليد للآباء والأجداد حتى وإن كان الذي جاء به الرسول أفضل وأحسن مما هم عليه.

عناد قتل

من الآثار السيئة التي يسببها اتباع الهوى القتل، فقد يصل الهوى أن يصل بصاحبه إلى حد الإجرام في القتل، كما حكى الله عز وجل عن بني إسرائيل بقوله: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ المائدة: ٧٠.

فالله عز وجل يخبر عن حال بني إسرائيل في تعاملهم مع دعوة الرسل والأنبياء الذين أرسلوا إليهم لينقذوهم فكلما جاءهم رسول من رسلهم بغير الذي تهواه أنفسهم استكبروا عليهم فكذبوهم وقتلوا بعضهم وكانوا يطلبونها تهواهم لكنها رسلهم[1].

وإن العقل يشغل عليهم هذه الصفة السيئة الخطيرة أن يصل بهم الهوى إلى قتل سمة اليهود وتأصل فيهم حتى من قتل بصفة السفاح مع كونه كالكلب وقع في الدماء وحلها أبدا العبيد مر القتل الشنيع، واستحكمت عليه البكرة أنه وقع في أشكال المعالجة في شيء عليه بالقتل أخيرا.

وأن يصل بهم اتباع الهوى إلى هذا الحد أيضًا -لا شك- يدل على أنهم أبعد من الصفاء، واتباع أهوائهم أضحى مركبهم والقتل أسكنهم في الضلال حتى لم يبق نور في قلوبهم وقتل الرسل واستحب بل صار بالإيمان بالأكثر والتكذيب وقتل أولئك الهداة للأمم[2].

ويتضح هذا أن الله عز وجل يخاطب اليهود على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مع أنهم لم يكونوا في الأزمنة السالفة ومع ذلك بقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ البقرة: ٨٧.

---

(1) جامع البيان، الطبري ٦/ ٣٣.

(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ١/ ٣٩٤.

(3) المصدر السابق.

ويأتي في هذا القسم والسورة بخطيب والراغب الأصفهاني وابن كثير ورسول الله صلى الله عليه السلام لما جاء به وما هو السبب الظاهر(1) ومضمونه(2) فلما رجعوا بقول ألسنتهم كانوا كالمشاركين لهم في نفس العمل.

رابعًا: الطبع على القلب والكفر للفطرة:

ومعنى من الآثار النفسية التي تصيب هذه الطوائف قال عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد: 16).

فهذه الآية تتحدث عن المنافقين الذين كانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه السلام ليستمعوا منه ولا يستمعون فلما خرجوا إلى أهل العلم ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ وهي تصنعهم بذلك السخرية والاستهزاء بما يقوله وأنه مما لا يعني أن [illegible] به [illegible] سمع(3)

السطو الله على القلوب وختم عليها، فلا تقبل خيرا ولا شرا، [illegible] أول هذه الله [illegible] على [illegible] من [illegible] والكفر [illegible] الله [illegible] كل سبب [illegible] ومن [illegible] من [illegible] الآيات(1).

وهنا يظهر لك أن هذا [illegible] أثر من آثار الهوى [illegible] من [illegible] في الهدى، وأثر عليه ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: 17).

فالترتيب الواقعي في الآية [illegible] الذين [illegible] هم والآخرة [illegible] الله زيادة الهدى [illegible] بما هو [illegible] ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾(2).

أما مرض الهوى فإن الهوى [illegible] نوع من أنواع [illegible] في الطبع على القلوب والكفر الباطني [illegible] لا [illegible] الهوى [illegible] في المعاصي [illegible] [illegible] على القلب إلا [illegible] الشهوات [illegible] كما أخبر النبي صلى الله عليه السلام في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه السلام قال: «إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل

---

[1] التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب 13/ [illegible].

[2] في ظلال القرآن سيد قطب 6/ [illegible].

[1] [illegible] التي [illegible] رسول الله [illegible] الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه كتاب [illegible] باب [illegible] 2/ [illegible] رقم [illegible].

[2] [illegible] رسول الله [illegible] الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه كتاب [illegible] باب [illegible] 2/ [illegible] رقم [illegible].

[3] البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي 8/ [illegible].

[4] [illegible] 6/ [illegible].

الله ولن تجد له فيها سوى [illegible] الذات وهو الوحي الإلهي [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [القصص: [illegible]].

ومن الآيات التي أكدت على هذا قوله جل جلاله: ﴿ [illegible] ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فالله جل جلاله يخبر في الآية أنه من لم يسر على خطى الأنبياء [illegible] طريق الهوى [illegible] على اتباعه لهوى النفس [illegible] الضلالة التي يخلق منها الهوى وذلك [illegible] الأهواء وما ذلك إلا بمتابعة الهوى [illegible][2].

وهكذا يظهر أن من [illegible] في السير [illegible] على الله [illegible] الشهوات [illegible] ولا [illegible] الشهوات ولا المحرمات [illegible] منها بالتنعم بالزينة [illegible] على القلوب بالصبر والحس والكبر[1] نعوذ بالله من هذا الحال.

خامساً: اتباع الشهوات.

من الآثار التي تترتب على الهوى الانحطاط الخلقي واتباع الشهوات فصاحب الهوى عبد لشهواته ونزواته لا يتحرك إلا بأمر منها [illegible] بالانحطاط الخلقي كما ضرب الله لنا مثلاً على هذا بمثل الرجل الذي قال عنه: ﴿ [illegible] ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

فهذا مثل يجلي بكل وضوح مدى أثر الهوى في الانحطاط الخلقي واللهث وراء الشهوات.

ومثل ذلك أنه عز وجل قال عن هذا المتكبر في المثل: ﴿ [illegible] ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

فهذا التمثيل لحال المتلبس بالمعاصي والكفر بعد الإيمان والهوى يمثل من كان مرتفعاً عن الأرض [illegible] من السماء إلى السفل [illegible] الأرض [illegible] إلى السفل [illegible] بالمعاصي

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة [illegible] ج[illegible] رقم [illegible].

[illegible] هذا حديث حسن صحيح [illegible]

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج[illegible] [illegible]

[1] تفسير السعدي [illegible]

والمكاسب؟(1)

وهذا لا شك يدل على شدة الانحطاط الخلقي والركض اللاهث خلف الشهوات سواء في [illegible] للإنسان حين يرضى لنفسه الإعراض عن اتباع الشرع مع التمسك بما أمر الله من الأمانات ويلقي بأمانة الهوى ثم يزعم أنه رابح في تجارة الربح(2)

قال ابن رجب رحمه الله: وكذلك جميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة رسوله(3)

ومن الآيات التي تدل على هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤]

فشبه أكثر الناس بالأنعام والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد له وجعل الأكثرين أضل سبيلا من الأنعام لأن البهيمة يهديها سائقها فتهتدي وتتبع الطريق فلا تحيد عنها يمينا ولا شمالا والأكثرون يدعوهم الرسل ويهدونهم السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم(1)

ولا شك أن الظلم أوصل هؤلاء إلى هذه المرحلة المتدنية من الانحطاط حتى وصلوا درجة البهيمية مع اتباع الهوى فكانت هذه الظلمات من آثار ظلمهم.

وهكذا نرى كيف يرفع الهوى بالمرء إلى أسفل السافلين ويرديه المهالك ويحط به من درجة الآدمية ورتبة الإنسانية ليصبح دون البهائم! نسأل الله السلامة من متابعة الأهواء.

سلطة الظلم

من آثار اتباع الهوى أيضا الجور في الحكم بين الناس، وما يترتب على ذلك من الظلم، وعدم إيصال الحقوق إلى أهلها، ولا شك في أن ذلك من أسباب انتشار الفساد في الأرض؛ لأن المظلوم إذ لا يصبر على الضيم والظلم سيحاول أن يتحرك طالبا الانتصار لنفسه من طريق لا يرضاه الله ورسوله [illegible] ومن ثم وجب على الحكام والأمراء تحري حكم الشرع والقضاء والحكم بين الناس أن يحكموا بينهم بالعدل الذي جاء به الإسلام، ولا يتبعوا أهواءهم ليعدلوا.

قال الحسن رحمه الله تعالى: إن الله أخذ على الحكام ثلاثا: ألا يتبعوا الهوى

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible]

(2) مفاتيح الغيب للرازي [illegible]

(3) جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/٣٩٨

(1) التفسير القيم لابن القيم ص[illegible]

[illegible] ولا يخدع الناس ولا [illegible] بالحق كما أمرهم الله تعالى بقوله ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (ص/ 26)

وقوله ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحديد/ 25)

وقد سبق بيان تحذير الله جل جلاله نبيه داود عليه السلام بقوله ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (ص/ 26)

سادساً: فساد السموات والأرض

من الآثار المترتبة على مخالفة هذا الطريق واتباع الهوى فساد السموات والأرض ومن فيهن كما قال جل جلاله ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ (المؤمنون/ 71)

فهذه الآية توضح أن الله عز وجل لو أجرى حكمه على وفق مراد الناس وأهوائهم لاختل أمر السماوات والأرض ولتعرى عن حد الإحكام والإتقان[1]، وما ذلك إلا لأن خلق السموات والأرض ومن فيهن قائم بالحق[2]، والحق واحد ثابت لا يتعدد ولا يتغير، أما الأهواء فهي كثيرة ومتقلبة تختلف باختلاف المصالح، فلذلك لو خضع الكون للأهواء العارضة والرغبات الطارئة لفسد كله، ولفسد الناس معه، ولفسدت القيم والأوضاع، ولاختلت الموازين والمقاييس، ولترجحت كلها بين الغضب والرضا والكره والبغض والرغبة والرهبة والنشاط والخمول، وسائر ما يعرض من الأهواء والمواجد والانفعالات والتأثرات[3].

على أن الله عز وجل طابع الظلم [illegible] العدالة أوقع الناس في حرج وحرج [illegible] أمر المجتمعات في اضطراب [illegible] لجج الشهوات والمصائب والأمراض [illegible] [illegible] [illegible] لا حد لها [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] لطائف الإشارات، القشيري، 2/ 541 بتصرف.

[2] جامع البيان، الطبري، 19/ 44.

[3] في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/ 2476.

[1] مفاتيح الغيب، الرازي.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حرمة التولي و[illegible]

أخبر تعالى في كتابه أن [illegible] اليهود والنصارى [illegible] من ولاية الله ونصرته.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120].

قال الطبري: [illegible] ولئن اتبعت [illegible] هؤلاء اليهود والنصارى فيما [illegible] من تهود وتنصر [illegible] إلى [illegible] من بعد الذي جاءك من العلم [illegible] ومن بعد الذي [illegible] عليك من [illegible] في هذه السورة، ليس لك من الله من ولي يلي أمرك [illegible] ولا نصير ينصرك من الله فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته ويمنعك من ذلك إن أحل ذلك بك[3]. فهذا شرط خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته[4].

وقوله: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: [illegible]].

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] جامع البيان [illegible]

[4] [illegible]

[5] [illegible]

[6] [illegible]

تاسعاً: النار وبئس المصير في الآخرة

ذكر الله في كتابه الكريم أن من الآثار المترتبة على اتباع الهوى العذاب بالنار في الآخرة كما قال عز وجل: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

ومما يرشدنا النص إليه أن الظالمين الضالين عن سبيل الله وذلك العدل الذي فرضه لعباده وأمرهم بالعمل به ليجزيهم منه في قضائهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله[1].

قال الشعبي: إنما سمي الهوى هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار[2].

فاتباع الهوى يقود صاحبه إلى الغي والضلال بالله سبحانه وتعالى، وفي مخالفة الهوى نجاة من ذلك والفوز بالجنة، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الجنة حفت بالمكاره فلا بد من مجاهدة النفس ومخالفة الهوى التي تميل إليه النفس حتى تقرب من أهل الجنة، وأن النار حفت بالشهوات التي لا بد للإنسان من مجاهدة نفسه والبعد عن اتباع الهوى والشهوة حتى لا يرمي الإنسان في نار جهنم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)[1].

قال السيوطي في التوشيح: فالمعنى الأول بالشرع ومعناها إليها ... في ... إلى النار بارتكاب الشهوات، واتباع الهوى من الشهوات التي حذر منها الشرع كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث مهلكات وثلاث منجيات، فأما المنجيات: فتقوى الله في السر والعلانية، والقول بالحق في الرضا والسخط، والقصد في الغنى والفقر، وأما المهلكات: فهوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه وهي أشدهن)[2].

وهكذا يتجلى لنا كيف أن متابعة الهوى توجب لصاحبها النار وبئس القرار.

[illegible]

الأثر الثاني: القلب ... [illegible] ... القلب

---

[1] جامع البيان للطبري ٢٣/٨٤.

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/١٦.

[1] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤/٢١٧٤ رقم ٢٨٢٢.

[2] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان فصل في الطبع على القلب أو الرين ٥/٤٥٢ رقم ٧٢٥٢، وحسنه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح.

الوجه

محاور الموسوعة

صورة الوجه ٢١٧

الوجه في الاستعمال القرآني ٢٢٧

الألفاظ ذات الصلة ٢٣٤

صفات الوجه لله تعالى ٢٤٥

أحوال الوجوه وصفاتها ٢٥١

أسباب بياض الوجوه وسوادها ٢٥٤

أحكام تتعلق بالوجه ٢٥٩

ابتغاء وجه الله بالأعمال الصالحة ٢٦٤

الوجه في القصص القرآني ٢٦٧

صور تعذيب الوجوه في الآخرة ٢٦٨

تعريف الترجيح

أولاً: المعنى اللغوي

الراء والجيم والحاء أصل واحد يدل على رزانة الشيء وزيادته، يقال رجح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرجح[1] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][2] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][3]، وفي مختار الصحاح: [illegible] [illegible] [illegible][4]، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي

عرفه [illegible] [illegible] بأنه: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][5].

وعرفه [illegible] بأنه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في أحد المثلين على الآخر [illegible] [illegible][6].

وعرفه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المرجح[7] إلى المرجح عليه[8].

[illegible] إلى [illegible] [illegible] في اللغة [illegible] في الاصطلاح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والاصطلاح.

---

[1] انظر: [illegible] لابن [illegible] ٢/ [illegible].

[2] [illegible] [illegible] ٢/ ٣٢٦.

[3] مختار الصحاح للرازي ص٢٦٩.

[4] انظر: [illegible] [illegible] [illegible] ص٧.

[5] المجموع شرح المهذب للنووي ١/ ٦١ [illegible].

[6] [illegible] [illegible] [illegible].

[7] [illegible] مختار الصحاح ص[illegible].

[8] مراتب [illegible] [illegible] ص٣٣ [illegible].

[illegible]

[illegible] ٢ [illegible]

[illegible]

[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفعل الماضي	[illegible]	﴿[illegible]﴾ [illegible]
الفعل المضارع	٦	﴿[illegible]﴾ [illegible]
الأسماء	٢٣	﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] في القرآن على [illegible][2]

الأول: [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

الثاني: [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

الثالث: [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

الرابع: [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

الألفاظ ذات الصلة

القلب

القلب لغة:

[illegible]

القلب اصطلاحا:

[illegible]

الصلة بين الروح والقلب:

مما سبق يتضح لنا الفرق جليا بين الروح والقلب، وأن الروح [illegible] من القلب أو غير القلب.

الظهر

الظهر لغة:

(ظهر) الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز، من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهورا فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها، والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة[3]

الظهر اصطلاحا:

الظهر: هو الفقار من الإنسان من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز عند آخره[4]

الصلة بين الروح والظهر:

الروح هي مستقر كل شيء، أما الظهر فهو [illegible]

---

[1] انظر: [illegible]

[2] انظر: [illegible]

[3] انظر: مقاييس اللغة لابن فارس [illegible]

[4] تاج العروس، الزبيدي [illegible]

النظير

نظير لغة

(نظر) النون والظاء والراء أصل هذا الباب أنه يدل في قياس واحد [illegible] وعطف [illegible] قوله [illegible] (١) وكذلك كل زوج كل واحد منهما [illegible] على صاحبه نظيره (٢)

نظير اصطلاحا

لا يختلف التعريف الاصطلاحي للنظير عن التعريف اللغوي [illegible] أيضا ويأتي بمعنى النظير [illegible] في الشيء الظاهر.

الصلة بين الزوج والنظير

الزوج هو مستقبل كل شيء، أما النظير فهو الشبيه [illegible] الزوج وليس بالضرورة أن [illegible] في الجنس أو الشخص.

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible] ٣٦٢

صفة الوجه لله تعالى

أولاً: معنى الوجه عند المثبتين [illegible]

صفة الوجه لله تبارك وتعالى من الصفات الذاتية الخبرية التي جاء بها الكتاب والسنة وقال بها سلف الأمة فما على المسلم إلا التسليم لقول الله تبارك وتعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ولهم سلف هذه الأمة [illegible] الصحابة وقد كان سيد الرسل محمد صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويلح في الدعاء طالباً النظر إلى وجهه تعالى، فلا يعقل أن يسأل الرسول ربه ما لا يجوز[1]

وقد اتفقت على السلف على الرغم من أنها بصريح القرآن وصحيح السنة والعقل لم يستشكل ولم يخض ولذا أطبق السلف وأجمعوا على الإثبات لهذه الصفة كغيرها من صفات الله تعالى وأنها على ما يليق به لا يكيفونها بالكيف ولا يطلقون عليها شيئاً من الألفاظ التي يوهمها الناس مثل الجسم أو الجوهر وغير ذلك من الألفاظ التي يطلقونها أو [illegible] بها إلى [illegible] بدعوى أن إثبات هذه الصفة يعني التركيب المستلزم للحاجة والافتقار[2]

وقد تكلم الإمام البيهقي لبيان الصفة وإثباتها على وجه يليق بجلال الله وعظمته وكذلك أئمة الإثبات هذه الصفة الخبرية بعد أن ذكروها من الصفات التي لا تثبت إلا بالسمع طريقه الخبر من الآيات والأحاديث الثابتة عن رسول الله[3]

قال الحافظ ابن منده: من صفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]

وقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: 27]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بوجه الله من النار ويأتي بكلمة يسأل به لم يره أحد يستعيذ به لم كان ذلك أكبر دليل على أن الصفة [illegible] إلى وجه يجمع في [illegible] ونحوه مما جاء في ذلك[4]

وقال الأصبهاني: ذكر إثبات وجه الله عز وجل الذي وصفه بالجلال والإكرام والبقاء في قوله عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: 27][5]

الأدلة من القرآن والسنة على إثبات صفة الوجه

---

[1] انظر الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في الطبقات لابن سعد ج5 [illegible]

[2] انظر الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه لمحمد [illegible] [illegible] ص 3-2-1

(3) انظر [illegible] من الإبانة لابن أحمد [illegible] ص [illegible]

(4) [illegible] ص [illegible]

(5) [illegible] السنة [illegible] شرح عقيدة أهل السنة [illegible]

وقد أثبت الله تعالى لنفسه صفة الوجه في أكثر من آية من آي الذكر الحكيم(1) منها:

- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة ١١٥].
- وقوله: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد ٢٢].
- وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۞﴾ [الرحمن ٢٧].
- فيها الصفة على الآية الكريمة من ذكر كل من على الأرض فانٍ ويبقى وجهه جل وعلا المتصف بالجلال والإكرام وجاء موضحة في غير هذا الموضع كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص ٨٨].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان ٩].
- وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الليل ٢٠].

إلى غير ذلك من الآيات.

ومن السنة النبوية:

- حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما قسم النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين، قال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله(2).
- حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الثلاثة الذين حبسوا في الغار، فقال كل واحد منهم: اللهم إن كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه(3).
- حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة(4).

فهذه صفة ثابتة بنص الكتاب وإجماع السلف الأمين، فيجب الإقرار بها والتسليم كسائر الصفات الثابتة بالوحي للإثبات(5).

وقال ابن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً

---

(1) انظر: اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، محمد بن عبد الرحمن الخميس ص ٣١

(2) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ٢/ ٧٣٩ رقم

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي ٢/ ٧٧١ رقم

أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب الدعاء برفع الوباء والوجع ٥/ [illegible] رقم [illegible]

(5) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد، عبد الغني المقدسي ص [illegible]

منها على المعتزلة رد صريح لأن من أقر بها مثبت وهو ضد من أنكرها الفرق المبتدعة والسلف أثبتوا لله الكمالات بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الصحابة ومن كلام الحافظ ابن عبد البر إمام أهل المغرب في عصره(1)

والله تعالى في توحيد الأسماء والصفات طائفتان من الناس.

الطائفة الأولى: المعطلة: الذين أنكروا الأسماء والصفات أو بعضها بدعوى أن إثباتها يستلزم التشبيه أي تشبيه الله تعالى بخلقه وهذا الزعم باطل.

الطائفة الثانية: المشبهة: الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمونه وهذا الزعم باطل أيضا.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى وهو إدراك الأصوات لكن حقيقته بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم(2)

ومن أبرز المعطلة الجهمية الذين عطلوا جميع الأسماء والصفات حيث عطلوا الله من صفاته ومن معاني أسمائه وصفاته فالله تعالى أثبت لنفسه السمع والبصر والوجه واليدين والاستواء على العرش والمجيء والعلو والمعية وغير ذلك من صفات الله، والمعتزلة والجهمية أنكروا ذلك(3)

ومما خالفت به الأشاعرة والمعتزلة السلف والسنة أهل الحديث ما زعمته المعتزلة من أن الله ليس له سمع ولا إرادة ولا قوة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ونحوها ما جاءت به القرآن من إثبات الوجه واليدين لله(4)

أما الأشاعرة المعاصرون وهم فالتوحيد عندهم هو نفي التثنية أو التعدد ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة أي حسب زعمهم نفي الكمية المتصلة والكمية المنفصلة ومن هنا نفوا الصفات [illegible] على الأعضاء وأنكروا بعض الصفات كالوجه واليد والعين لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم(5)

---

(1) انظر: أصول السلف في توحيد الأسماء والصفات [illegible] ص٢٣٩

(2) انظر: شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص [illegible]

(3) انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، أبو سهل المغراوي [illegible]

(4) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين العمراني [illegible]

(5) انظر: منهج الأشاعرة في العقيدة، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص [illegible]

ثالثاً: رؤية المؤمنين لربهم تعالى

أجمع أهل الحق وأهل أهل التوحيد أن الله تعالى يرى في الآخرة كما جاء في كتابه وصح عن رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣](1)

فالمؤمنون يرون ربهم في الآخرة ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝﴾ [المطففين: ١٥].

فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى وإلا لم يكن بينهما فرق، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"(2) فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، لأن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير(3)

أما رؤيته في الآخرة فهو قول السلف والأئمة وبها تواترت به الأحاديث، ثم جمهور القائلين بالرؤية يرى عياناً مواجهة كما هو المعروف بالعقل

وقول الطحاوي: "والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه"(5)

وأحاديث الرؤية متواترة في هذا المعنى عند أهل العلم بالحديث لا ينكرها إلا ملحد زنديق(6)

ومما يؤيد الرؤية ويثبتها أن الكفار المحجوبون عن رؤيته قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝﴾ [المطففين: ١٥]

فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤمنون(7)

فإذا كان الكافر يحجب عن الله والمؤمن يحجب عن الله فما فضل المؤمن

---

(1) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي ص[illegible]
(2) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر [illegible] رقم ٦٣٣
(3) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ص[illegible]
(4) انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص[illegible]
(5) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص[illegible]
(6) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس ص[illegible]
(7) انظر: الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص[illegible]

على الكافر في الآخرة ينظر إلى الله عز وجل[1]

ومن أول أهل السنة هذه الآية على حين وجوههم في الآخرة وأنه محجوب عن الكفار والمشركين فلا يرونه وقال عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [illegible] لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير[2]

صور الوجوه وصفاتها

لقد تحدث الله في كتابه العزيز عن أهل السعادة ووجوه أهل الشقاوة وأوصافهم بأبلغ العبارات من السياق وأسمى أبلغ الصور في الدلالة على المعنى المقصود.

أولاً: وجوه أهل السعادة

إن الوجه هو المرآة التي تعكس ما يختلج في النفس البشرية من أفكار وما يجري الإنسان من مواقف تنعكس [illegible] أو [illegible] على صفحة الوجه.

١- الوجوه المستبشرة

يقول الله جل جلاله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ عبس: ٣٨-٣٩.

أي: مضيئة مشرقة [illegible] الإسلام[2]

قال الألوسي: مضيئة متهللة[3] و[illegible] [illegible] [illegible] مسفرة [illegible] ضاحكة مستبشرة [illegible] [illegible] بما [illegible] [illegible] [4]

[illegible] الوجوه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

٢- الوجوه الناعمة

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾

---

[1] النقض الرد على الجهمية والزنادقة، ص [illegible] ١٣٣-١٣٤.

[2] أصول السنة ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة لابن أبي زمنين المالكي ص

(٢) [illegible] [illegible] ج[illegible]

(٣) روح المعاني ج[illegible]

(٤) في ظلال القرآن ج[illegible]

[illegible] ﴿[illegible] أنفسهم [illegible] ⑪⑦﴾ [آل عمران: ١١٧].

إن [illegible] الريح [illegible] من [illegible] على [illegible] [illegible] قال تعالى [illegible] [illegible](١) وقال [illegible] [illegible] من [illegible](٢)

٢ - الريح [illegible]

قال تعالى: ﴿والمرسلات عرفا ①﴾ [المرسلات: ١].

وقال أيضاً ﴿فالعاصفات عصفا ②﴾ [المرسلات: ٢].

قال الطبري: [illegible](٣) وقال [illegible](٤)

[illegible] الريح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأرواح(٥) [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] في [illegible](٦)

٣ - الرياح الذاريات

قال تعالى: ﴿والذاريات ذروا ①﴾ [الذاريات: ١].

إن [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible](٧)

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible](٨)

٤ - الرياح العاصفة

قال تعالى: ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين﴾ [الأنبياء: ٨١].

إن عبارة (الريح العاصفة) تعني [illegible] سليمان عليه السلام [illegible] [illegible] الله [illegible] على [illegible] عليه وسلم [illegible]

---

(١) الكشاف [illegible] ٢٣

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني [illegible] ٢٨٨

(٣) جامع البيان [illegible] ٧

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible] ٢٢٨

(٧) [illegible] ٩٢٢

(٨) في ظلال القرآن [illegible]

الكريم في السماء وأملاه ليحوله إلى القبلة التي يرضاها[1]

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوجه إلى بيت المقدس [illegible] إذ سمع السفهاء [illegible] فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلب بصره إلى السماء منتظرا تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام حتى جاءه جبريل عليه [illegible] الآية [illegible] الله عز وجل في الكعبة فسيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يستخدم الكلام في الخطاب وإنما قلب وجهه في السماء دلالة على هذه الوجهة[2]

ثالثا: وجوه أهل الشقاء

1- الوجوه المسودة

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: 106]

وقال أيضا: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 60]

إن اسوداد الوجوه [illegible] رمز للشقاء والهوان لما يقترن [illegible] الحزن [illegible] وجوههم بما في قلوبهم من الشقاوة والهوان والذلة والكآبة[3] وقال ابن عاشور: «أي يجعل الله اسوداد الوجوه يوم القيامة علامة على سوء المصير»[4]

وبهذا فالوجوه [illegible] الأول [illegible] الكناية [illegible] بسواد وجوههم [illegible][5]

2- الوجوه الباسرة

قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: 24]

إن هذه الوجوه الباسرة [illegible] التقطيب والعبوس [illegible] كالحة [illegible][6]

وقال البيضاوي: الكالحة العبوس[7]

[illegible] هذه الصورة [illegible] العبوس [illegible] التي [illegible] بعد أن [illegible][8]

3- الوجوه الخاشعة

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: 2-3]

---

[1] تفسير الشعراوي [illegible]

[2] انظر: [illegible] في القرآن الكريم [illegible] جميل عبد [illegible] ص [illegible]

(3) [illegible]

(4) التحرير والتنوير 4/ [illegible]

(5) معاني القرآن وإعرابه [illegible]

(6) معالم التنزيل [illegible]

(7) أنوار التنزيل [illegible]

(8) [illegible]

إن هذا التشريع لهذه الزينة ليس تشريعا عبثيا بل تشريع لله سبحانه [illegible] التشريع علة [illegible] له أصلان: أصل يدل على [illegible]، والأصل الثاني يدل على الخيلاء والمهابة وفي هذه الآية تدل على الأصل الثاني يقول الرازي: [illegible] أي [illegible] التكبر والخيلاء(1)

ويقول سيد قطب متحدثا عن المعاني [illegible] [illegible] [illegible] الزينة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولم [illegible] [illegible] [illegible] إلا الرجل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سبيله(2)

٤. الزينة المذمومة

قال تعالى: ﴿[illegible] لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ (الحديد: ٢٠)

إن الإنكار الذي يكون على هذه الزينة [illegible] [illegible] [illegible] على هؤلاء الأبناء [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] التفاخر [illegible] [illegible] الأجل [illegible](3)

ويقول الشعراوي مفسرا [illegible] الفكرة التي جاء على هذه الزينة [illegible] والتفاخر: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] عليهم(4)

---

(1) مفاتيح الغيب، ج٢٠ ص٢٢٨

(2) في ظلال القرآن، [illegible]

(3) أنوار التنزيل، [illegible]

(4) التفسير الشعراوي ج[illegible] ص[illegible]

أسباب البياض [illegible]

إن لون صفحة الوجه تعبير عما استقر في قلب الإنسان، ويظهر ذلك على شكل بياض يحتوي الوجه أو سواد يدوم فيه، فالبياض والسواد إنما هما المعبّران في الدنيا لأسباب عدة سنعرض لها كما يجب أن البياض والسواد المتقابلين هو الذي في الآخرة حيث يكون السواد علامة والبياض علامة.

أولاً: أسباب بياض الوجه

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ⓺⓪⓵﴾ (آل عمران: 106).

فهذه الآية تتحدث عن البياض والسواد المتقابلين في الآخرة وليس في الدنيا، إلا أن أبا جعفر: يعني بذلك يوم القيامة؛ لأنه مطلب عظيم في يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

قال القرطبي: يوم تبيض وجوه أي يوم القيامة(٢).

وجاءت التفسيرات الكثيرة المتحدثة عن بياض وجوههم يوم القيامة وعن تسويدها ومقابلها أن البياض يعني التطهر والسواد يعني اليهود والكافرين عن مقابلة البياض وجوه المنافقين والكفار بقسوة وسوء حتى ليلقاه بالبياض!؟(٣)

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⓹⓪⓵﴾ (آل عمران: 105).

ومن أسباب بياض الوجوه في الآخرة بقاء المؤمن كما قال القرطبي: [illegible] في المؤمن [illegible] وأن [illegible] بالبياض وجوههم(٤).

أما البياض الوجوه في الدنيا المعنوي كما [illegible] يظهر على شكل [illegible] في الوجه ويكون حتى كأنه كانت البشرة سوداء اللون في الدنيا ليس علامة بل يكون أسباباً عدة وضعها الله على الإنسان حيث يحميه من قسوة البيئة وحرارة الشمس.

ويقول الشعراوي: فربما يجب أن نعلم أن السواد والأبيض هما من آثار اختلاف البيئات في الشكل الشخصي الأسود، فقد جاء في الجسم عن الشخص الأبيض بما يناسب البيئة، لأن الشمس الحارقة للبشرة في [illegible] الأرض [illegible] اللون لحماية [illegible] أما الأبيض البشرة لا يناسبه [illegible] من الشمس الحارة لأن [illegible] لا يحتاج مثل هذه الحماية الحارة(٥).

---

(١) جامع البيان ٣/ ٣٨.

(٢) جامع القرطبي ١/ ٣٢.

(٣) إرشاد العقل السليم أبو السعود ٢/ ...

(٤) جامع القرطبي ٤/ ١٦٨.

(٥) تفسير الشعراوي ٣/ ١٦٦٧.

ومن أسباب الرقي الحضاري في الدنيا الأخذ بالأسباب الصالحة المشروعة بالقرب [illegible] المتمثلة بالصفات الحميدة والأخلاق الحسنة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ونجد أن بعض الصفات التي يتصف المرء بها من ثمرها [illegible] من الأسباب الرئيسة [illegible] الرقي الحضاري في الآتي

التقوى

من أهم أسباب الرقي الحضاري التقوى [illegible] التقوى في القلب ولقد ورد ذكر التقوى في القرآن في مائة وخمسين [illegible] وسبعة [illegible] التقوى [illegible] [illegible] [illegible] الإيماني [illegible] الذي يحمل بمراقبة الله تعالى والخشية من عذابه والخوف من غضبه وعقابه والطمع [illegible] ولقد اهتم القرآن الكريم بعلاقة التقوى [illegible] في أمرها [illegible] عليها في كثير من الآيات [illegible] لا [illegible] من [illegible] من ثمرات التقوى(١)

ومن أسمى ثمرات التقوى الوصول إلى محبة الله قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنفال: ٢٩]

---

(١) انظر: سلسلة مدرسة الأخلاق، عبد الله ناصح علوان، ص٣٣

وقال تعالى: ﴿[illegible] ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ⓰﴾ [آل عمران: ٧٦]

٢- الصدق

وقد حث الله عليه في كتابه الكريم وحض عليه رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم في غير موضع من سنته المطهرة فقد ورد ذكر الصدق في القرآن الكريم في [illegible] وسبعين آية وفي السنة المطهرة في أربعين وأربعين حديثاً.

لقد جعل الصدق مهابة للنفوس ومكملاً لمكارم الأخلاق ومعيناً للإنسان على استخدام العقل وتحري العدل والأمانة من أجل رضى الله وكسب الناس جميعاً، ولقد حض الله المؤمنين على الصدق حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ⓫⓳﴾ [التوبة: ١١٩]

ولقد وجب الاتصاف بالصدق الذي هو كما قال ابن القيم: «منزلة القوم الأعظم [illegible] في أرجحه والذي [illegible] على تربة الإيمان ولا [illegible] إلا الرجل [illegible]»(٢)

وقال الفضيل بن عياض: «لم يتزين

---

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٣

العباد بسبب العمل من الصدق، والله مع الصادقين من صاحب الصدق والعاملين بالصدق[1].

ومن عظم أهمية الصدق أنه ورد لفظه بصيغه المختلفة مائة وعشرين مرة في مائة وخمسين آية[2] وقد وصف به الأنبياء جميعًا قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝﴾ [مريم: 41].

وقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝﴾ [مريم: 56]، وأثنى الله على إسماعيل عليه السلام فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝﴾ [مريم: 54].

٣- الأمانة

الأمين ورد ذكرها في القرآن في ست عشرة آية وأربعين موضعًا، ولقد تحدث القرآن الكريم عن الصفة الأمانة في أكثر من موطن، موردًا بأنها سمة على عليها وصاحبها، ولعل أبرزها من خلال السياق الأنبياء جميعًا بأنها من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام فنوح وهود وصالح ولوط وشعيب في سورة الشعراء يخبرنا الله عز وجل أن كل رسول من هؤلاء قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ وقد وصف جبريل عليه السلام بالأمانة قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝﴾ [الشعراء: 193].

وقال عن الملائكة: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝﴾ [التكوير: 21].

وهذا سمة الصفات أساس الرسل.

٤- حسن الخلق

إن حسن الخلق من الصفات السامية التي يتحلى بها الأنبياء والمرسلون وهو من صفات الأنبياء والمرسلين جميعًا لذا نجده صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[1].

وقد عد النبي صلى الله عليه وسلم من أحسن خصال الإيمان فقال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»[2].

بل من أعظم الصفات مدح الله عز وجل به ولذلك وصف الله تعالى به خير المرسلين فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: 4].

وقد ورد ذكره في ثماني آيات ورد وخمسين موضعًا.

وقد جمع قول الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ

---

[1] الراغب: الترغيب الأصفهاني (1/[illegible]).

[2] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص [illegible].

[1] أخرجه أحمد في مسنده (2/381) رقم (8952)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (273)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1/[illegible]) رقم (2349).

[2] أخرجه أحمد في مسنده (2/250) رقم (7402)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1/[illegible]) رقم (1230).

[illegible] وكان من الكافرين ﴿٣٤﴾ [البقرة: ٣٤]

مكارم الأخلاق [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] الأخلاق القرآنية [illegible] على [illegible] [illegible]

أسباب [illegible]

[illegible] [illegible] كما [illegible] يكون يوم القيامة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ومن أسباب [illegible] [illegible] في [illegible] الأعمال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أو [illegible] صاحب [illegible] كل يوم [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible][1]

[illegible] [illegible] في كتاب الله [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] أن [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] الأسباب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهي كالآتي:

١- الكبر:

الكبر من أهم أسباب [illegible] [illegible] حيث يحصل في القلب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] على الله عز وجل [illegible] [illegible] [illegible] على أنه [illegible] [illegible] الله عز وجل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﴾ [القصص: ٣٨] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] ﴿[illegible] [illegible]﴾ [البرهان: ٢٤] [illegible] [illegible] من الله عز وجل ﴿[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]﴾ [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]﴾ [القصص: ٧٨]

[illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][3]

[illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] ﴿[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﴿٨١﴾ [القصص: ٨١]

٢- الحسد:

[illegible] من [illegible] [illegible] وأعظم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[3] [illegible] [illegible] ص ٢٧٨.

السلف الصالح بمخافة من النفاق أشد الخوف لما يعلمون من خطره، ولما يتبين لهم من ضرره، فقد أخرج البخاري في صحيحه أن ابن أبي مليكة قال: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه[1] ولا يؤمن شر النفاق والمنافقين في أمور مخادعون لله ورسوله والمؤمنين جميعاً.

إنه أمر خطير يهدد الدعوة في الأمة الإسلامية على مر العصور من المنافقين والنفاق كما قال الله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤].

والمصير في الآخرة لهؤلاء أن مأواهم في الجحيم، ولهذا كان مصيرهم يوم القيامة أسوأ مصير في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝﴾ [النساء:١٤٥].

٢- الرياء

الرياء هو عمل يريد به صاحبه غير الله، حذّر النبي صلى الله عليه وسلم منه على أمته وما ذاك إلا لشدة خطره وعظيم ضرره، فهو سبب لبطلان الأعمال، وقد سماه النبي الشرك الأصغر، وهو من أخلاق المنافقين والمرائين، وسبب لحرمان صاحبه من الوصول إلى الله، وقد قال الله عز وجل في الحديث القدسي الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم في حسن سيرة.

إن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صوابه، والخالص هو ما ابتغي به وجه الله، والصواب هو ما كان موافقاً لهدي نبيه صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝﴾ [الكهف:١١٠].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة:٢٦٤].

قال ابن كثير: أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه[1].

٣- الكبر

إن الكبر أمر عظيم وشر مستطير، يحبط عمل صاحبه ويذهب الحسنات، وهو دليل على دناءة النفس وانحطاطها والعجب والغرور، المذموم بالغرور بما يحمل صاحبه ويحجبه عن الحق، وهو خلق إبليس الذي أبى واستكبر، وهو والتعالي في الأرض بغير الحق ... قال تعالى

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/

في أكمل عظمتها، بأمها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في أسوة وحسن سيرته.

وقد مدح الله نبيه أشد المدح فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾ [القلم: 4-6].

وقال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: 159].

حكمة سمي بالوجه

الذي سمي بالوجه حكم كثير كالمعطيات الفهم والبصر والشم والسمع وغير ذلك، فالوجه نعمة إلهية من الله علينا بها.

أولاً: الوجه نعمة إلهية

إن الوجه هو المرآة التي تعكس ما يختلج في النفس البشرية من أفكار وما يعتري الإنسان من عواطف الفرح والسعادة إلى أنها خاصة يستطيع قراءتها وفهمها من له دراية بلغة الجسد، فعند النظر في وجه إنسان نقرأ ما يفكر فيه وما يدور في خاطره من خطرات، يقول علي عليه السلام: ما أضمر أحد شيئاً إلا أظهره الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه[1].

والوجه في مجموعه يكون لوحة متكاملة، فالعينان والشفتان والأنف والأذنان والحاجبان واللسان والفم ترسم معاً لوحة جمالية بحيث الوجه صورة أصلاً وجمالية لا يمكن لأي منها أن يؤديها وحده أبداً بالإضافة إلى ما يسهم به كل منها في تكوين المظهر الكلي للوجه، والذي يؤدي تغيير تركيبه وشكلها يعني أن الهيئات الخاصة بالملامح الخاصة للإنسان كملامح الفرح والحزن والغضب والرضا والتعجب

---

[1] [illegible] ج/ ١٣٦

والاعتزاز والافتخار[1]

ويظهر ذلك من خلال اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوجه وحرصه عليه كثيرًا ومن الأمثلة على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[2]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»[3]

ومن عظيم فضل الله أن من علينا بنعمة الوجه الحسن قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④﴾ [التين: 4].

وقال أيضًا: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧﴾ [الانفطار: 7-8].

قال السعدي: سبحانه الذي جعلها حسن الصورة[4]

[illegible] على [illegible] [illegible] جميع الصور [illegible] في الاتصاف إلى ما لم يجعل الله فيه شيء من أجسام [illegible][5]

ثانيًا: إخلاص العبادة لله تعالى

إن العبودية لله سبحانه وتعالى من الأمور العظيمة والجليلة كيف لا وهي رسالة الرسل والأنبياء.

يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ㉕﴾ [الأنبياء: 25].

ولذلك كان حريًا بكل مسلم أن يكون خاضعًا لله عز وجل، ولا شك أن الخاضع لله عز وجل لا يكون خاضعًا [illegible] في [illegible] إلا بإخلاص عمله كله لله وطاعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أموره [illegible] [illegible] من [illegible] أن الإخلاص من أهم الأركان التي يقوم عليها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الأعمال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الفعل والعمل [illegible] [illegible] في الآخرة [illegible] [illegible] [illegible].

الإخلاص هو تصفية قصد التقرب إلى الله تعالى من جميع الشوائب فإذا اختلط قصد التقرب بباعث آخر من رياء أو غيره

---

[1] انظر: أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، عبد الله [illegible]

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، [illegible]

[3] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف، [illegible] رقم [illegible]

وصححه الألباني في صحيح [illegible] [illegible]

[4] تفسير السعدي، [illegible]

[5] اللباب في علوم الكتاب، [illegible]

من حظوظ النفس فلا خرج عن الإخلاص. ومن كلام الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

ويتجلى ترك النظر من العمل لله عز وجل بالقصد في المقاصد(٢).

ولقد تطرقت النصوص في الكتاب والسنة مبينة فضل الإخلاص وأهميته وضرورته في قيام عرى الإسلام في النفس البشرية أولاً ثم على أرض الواقع [illegible] الترغيب [illegible] الإخلاص [illegible] وسبلها المختلفة [illegible] مرة في [illegible] أيضاً(٣).

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

قال السعدي: أي أخلص وجهك لله [illegible] وإقامة الوجه هي إقامة الدين(٤) [illegible] الإسلام وإقامة الوجه للدين [illegible] بكل ما هو حسن.

قال ابن عطية: وإقامة الوجه هي تقويم المقصد والقوة على الجد في أعمال الدين، وذكر الوجه لأنه جامع حواس الإنسان وأشرفه(٥).

ويؤكد هذا المعنى السعدي حيث ذكر [illegible] المعنى بالإخلاص له في [illegible] الأسرار وإقامة [illegible] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ أي انصبه ووجهه إلى الدين الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان بأن تتوجه بقلبك وقصدك وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها وشرائعه الباطنة كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة بأن تعبد الله فيها كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وخص الله إقامة الوجه لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب ويترتب على الأمرين سعي البدن(٦).

ثانياً: الرخص والهمم

[illegible] ارتباط الرخص والهمم [illegible] للمسلمين للأعذار في أعمال عباداته كلا [illegible] العبادات بالشروط الشرعي للمكلف وجعل فعل الرخصة في الرخص [illegible] أو [illegible] في الهمم [illegible] من أركان الطهارة [illegible] وغيره من الرخص.

قال تعالى: ﴿[illegible] عَدُوًّا [illegible]﴾

---

(١) [illegible] في [illegible] عبد [illegible] ص٢٣

(٢) تزكية النفوس، أحمد فريد ص٣.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب [illegible] ص٢٣

(٤) تفسير [illegible]

(٥) التفسير [illegible] ٤/٣٣٦

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص[illegible]

وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ [المائدة: ٦].

قال القرطبي: ذكر تعالى أربعة أعضاء: الوجه وفرضه الغسل، واليدين كذلك، والرأس وفرضه المسح اتفاقا، ولا بد في غسل الوجه من نقل الماء إليه وإمرار اليد عليه، وهذه حقيقة الغسل عندنا [illegible] فلا بد أن يأتي بالمسح على جميع مواضع الغسل(1).

وقد اختلف الفقهاء هل باطن الأنف والفم من الوجه أم لا؟

قال القرطبي: اختلفوا هل يتناول الأمر بغسل الوجه باطن الأنف والفم أم لا؟ فذهب أحمد بن حنبل وإسحاق وغيرهما إلى وجوب ذلك في الوضوء والغسل، إلا أن أحمد قال: يعيد من ترك الاستنشاق في وضوئه ولا يعيد من ترك المضمضة. وقال عامة الفقهاء: هما سنتان في الوضوء والغسل، لأن الأمر إنما يتناول الظاهر دون الباطن، والعرب لا تسمي وجها إلا ما وقعت به المواجهة(2).

قال تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ [الفتح: ٢٩].

قال [illegible]: علامتهم في وجوههم من أثر السجود [illegible] في وجوههم يوم القيامة يعرفون بذلك أنهم سجدوا في الدنيا لله تعالى(3).

رابعا: استقبال القبلة:

إن من شروط الصلاة استقبال القبلة، وقد ارتبط هذا الشرط ارتباطا مباشرا بالوجه الذي هو جزء من الإنسان.

قال تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾ [البقرة: ١٤٤].

وتقلب الوجه المقصود به تقلب النظر، قال ابن عطية: المقصود تقلب البصر، وذكر الوجه لأنه أعم وأشرف وهو المستعمل في طلب الرغائب، تقول: بذل وجهه في كذا، وفعل كذا لوجه الله(4)، إلا أن الرازي قال: إن تقلب وجهه في السماء هو الدعاء(5).

ويقصد بالوجه في قوله تعالى: ﴿فول وجهك﴾ [illegible] قال [illegible]

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: [illegible]

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: [illegible]

(3) [illegible]

(4) المحرر الوجيز: [illegible] ٢٢

(5) مفاتيح الغيب: [illegible]

ويسهل لنيل الوسيلة والرفعة والشفاعة من قبل المصطفى المرسل بين يدي الملك العزيز يوم لا ظل إلا ظله(1).

خامساً: السمت

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح: 29).

أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد؛ ذلك أنه يضع أشرف شيء عنده على الأرض تواضعاً وذلاً وخضوعاً وخشوعاً لله ولي الفضل، فيعكس ذلك نوراً وبهجة وسمتاً حسناً على تلك الوجوه الساجدة لله. قال الطبري: قال آخرون: بل ذلك سيما الإسلام وسمته وخشوعه، وعنى بذلك أنه يرى من ذلك عليهم في الدنيا(2).

وعن ابن عباس في قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ قال: السمت الحسن(3).

وقال الحسن: هو السمت الحسن(4).

وقال العز بن عبد السلام: ﴿سِيمَاهُمْ﴾ أثر الأرض، والخشوع، أو الطهور، أو السمت الحسن(5).

فهذا السمت الحسن هبة من الله عز وجل به على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الصحابة الكرام رضي الله عنهم وسيلة قادرة جداً في دعوتهم فكان سببه المباشر لنيله عظيم الحب الخالص إلى الله عز وجل وكثرة السجود.

---

(1) تفسير الخازن [illegible]

(2) الطبري، جامع البيان 22/265

(3) تفسير ابن أبي حاتم [illegible]

(4) تفسير القرآن العظيم [illegible]

(5) تفسير العز بن عبد السلام [illegible]

قال عز وجل: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19].

وقال الحسن: سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة، وقد قال بعض العلماء: إنها نزلت في الليلة التي نزلت فيها، وقد أنزلت معها سبعون ألف ملك لها زجل بالتسبيح، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «نزلت الأنعام جملة واحدة، فعظموا الله حق عظمته، فإن الله لا يعظم حق عظمته من لا يعلم أن الله على كل شيء قدير، ولا يحيط علمه بكل شيء»[1].

وقال ابن عباس: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلًا، فكتبت حين نزلت، ثم غشيت الناقة ثقل فسمعت ثقلها، فقرأت: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: 19] ثم قرأ عليه بقيتها[2].

وقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ أي: أعظم شهادة ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: هو يشهد لي بالرسالة، ويشهد لكم بالتكذيب، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ﴾ أي: أنذركم بما فيه من الوعيد، ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ أي: ومن بلغه القرآن من الأسود والأحمر، وقال ابن عباس: من بلغه القرآن فكأنما رآني وسمع مني، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: أتشهدون أنتم أن مع الله آلهة أخرى؟ ﴿قُل لَّا أَشْهَدُ﴾ أي: لا أشهد معكم بذلك، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أي: من الأصنام التي تعبدونها.

---

[1] أخرجه الطبراني في الكبير (12/ 71) (12417)، وقال الهيثمي في المجمع (7/ 16): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبد الله بن خراش، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات».

[2] ذكر الخبر الطبراني في الكبير (12/ 71) (12418)، وقال الهيثمي في المجمع (7/ 16): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبد الله بن خراش، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات».

وسلم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا [illegible] ﴿١٠٣﴾﴾ (التوبة: ١٠٣).

كما أن الزكاة والصدقات أجر عظيم كما وعد به الله في كتابه العزيز: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، ويجعل المسلمين بهما متحابين في الأجور والترابط بل يشيد هذا الأمر العظيم بالمحبة المنتشرة التي تؤدي إلى استقرارها.

١- إطعام المساكين واليتيم والأسير.

لقد وصف الله الأبرار بصفات عديدة عظيمة ومنها إطعام المساكين والأيتام والأسرى.

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ (الإنسان: ٨).

قال النسفي: (على حب الطعام مع الاشتهاء والحاجة إليه أو على حب الله مسكينا فقيرا عاجزا عن الاكتساب يتيما صغيرا لا أب له وأسيرا مأسورا مملوكا أو غيره ثم عللوا إطعامهم فقالوا ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ (الإنسان: ٩) أي لطلب ثوابه)(١).

٢- الإقبال والترحيب.

فالإقبال بالترحيب والبشر، وإدخال السرور على الأسرة بما فيها الزوجة والأولاد والأبوين هو مرضي عند الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ [illegible] لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

يقول الجصاص: (فإنما كان الإنسان راضيا لأهله به مسرورا من رؤيته قال تعالى: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ من النساء والأولاد)(٢).

كما [illegible] في رسالة [illegible] (٣) من مجال الأسرة في الإسلام: «الأسرة [illegible] الطفل [illegible] [illegible] [illegible] الأولى التي يبدأ الطفل فيها على القيم الإنسانية والأخلاقية والروحية والدينية»(٣).

واجب المسلم تجاه من يريدون وجه الله تعالى

لقد أمرنا الله تعالى بالمحافظة على البر والتقوى وذلك طاعة لوجه الله إخلاصا كما وجب على كل داعيا مسلم كل [illegible] على مسلم كما يدل على كل من أراد وجه الله وذلك من عند [illegible] للذكر [illegible].

مجالستهم والصابرين معهم على ما يرضي الله تعالى.

هؤلاء قد أرادوا وجه الله بصدق ومحبة وأمر الله حث الله على مجالستهم وعدم طردهم لما فيه من [illegible] المصلحة.

---

(١) مدارك التنزيل ٣/٢٨٨.

(٢) أحكام القرآن ٣/[illegible].

(٣) مجال الأسرة في الإسلام، إعداد الطالبة [illegible] الإسلامية العالمية للبنات [illegible] [illegible] [illegible] العربية ص[illegible].

الإسلام والمسلمين.

قال تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الأنعام: ٥٢].

يقول سيد قطب: "لا تطرد هؤلاء الذين [illegible] لله [illegible] في الصباح والمساء يريدون وجهه سبحانه ولا يطلبون إلا وجهه ورضاه، وهي صورة [illegible] والاتجاه [illegible] إلا الله وحده بالعبادة والدعاء، وهم لا يبتغون وجه الله إلا [illegible] وهو لا يبتغي وجه الله وحده حتى يكون كله لله [illegible] وهو لا يشرك [illegible] سبحانه [illegible] والعبادة لوجهه [illegible] الله [illegible]"(١).

٢- الصبر معهم على طاعة الله تعالى.

لقد أمر الله تعالى نبيه بعدم طرد من يريدون وجهه بل وأكد على مجالستهم والصبر عليهم.

قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الكهف: ٢٨].

[illegible] بين الله أنه لا يجوز طردهم بل مجالستهم [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] في [illegible] أن [illegible] هذه الآية قد سبق في سورة الأنعام وهو قوله: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ نهى الله في تلك الآية نبيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن طردهم وفي هذه الآية أمر بمجالستهم والمصابرة معهم(٢).

ويقول السعدي: يأمر تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين ﴿الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ أي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى(٣).

---

(١) في ظلال القرآن [illegible]

(٢) مفاتيح الغيب [illegible]

(٣) تيسير الكريم الرحمن [illegible]

■ حكمة في ضرب الأمثال

إن الأمثال التي يضربها الله للناس هي من تمام حجة الله على خلقه حيث ضرب الله الأمثال لبعض الأمم السابقة وأحوالها في كثير من آيات القرآن الكريم وضربها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته لتحصل بذلك الهداية وتستقر الشريعة وتقوم حجة الله على عباده.

وحقيقة المثل: إبراز المعنى المعقول في الظاهر المحسوس، وللأمثال فوائد عديدة نبه الله عليها بقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣].

ويسمى المثل مثلاً لأنه ماثل بخاطر الإنسان أبداً يتأسى ويتعظ به ويرجو[2].

ومن الأمثال التي ضربها الله ما يستخدمه لتقريب الصورة العقلية للأمور الحسية وبيان ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكباً على وجهه أي يمشي منحنياً لا مستوياً على وجهه أي لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب بل هو تائه حائر ضال، أهذا أهدى أم من يمشي سوياً أي منتصب القامة على صراط مستقيم أي على طريق واضح بين وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة.

هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سوياً على صراط مستقيم وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم[3].

وقال الشوكاني: ثم ضرب سبحانه مثلاً للمشرك والموحد إيضاحاً لحالهما وبياناً لمآلهما[4].

---

[1] انظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله (١/١٨).

[2] انظر: التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية ص٥٨.

[3] تفسير القرآن العظيم (٨/١٨).

[4] فتح القدير (٥/٣٦).

[illegible]

ثالثاً: صور الرجف في الآخرة

١- الراجفة والرادفة

وقول الله جل جلاله: ﴿يوم ترجف الراجفة ⑥ تتبعها الرادفة ⑦﴾ [النازعات: ٦-٧].

أي: النفخة [illegible]

قال الألوسي: النفخة [illegible]

٢- [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: [illegible]].

قال [illegible]

وقال الراغب: [illegible]

٣- [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقال [illegible]: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

قال [illegible]

وقال [illegible]

٤- [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

قال السعدي: [illegible]

[illegible]

رابعاً: عذاب الرجف في الآخرة

١- [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

قال السعدي: [illegible]

وقال ابن عاشور: [illegible] جعل الله

[illegible] ٣/ [illegible]

[illegible]

[illegible]

تفسير الراغب الأصفهاني ٣/ [illegible]

[illegible]

[illegible]

تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص [illegible]

في ظلال القرآن [illegible]

تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص [illegible]

الحسن[1]

٣٤ ﴿لَهُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: ما يريدون من النعيم الدائم لا يُكدّر بانقطاع ولا بزوال ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: جزاء من أحسن عمله في الدنيا بالإيمان والطاعة.

٣٥ ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: أسوأ الذي عملوا من الشرك ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾ أي: ثوابهم ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بأحسن الذي كانوا يعملون من الطاعة، فيثيبهم على الحسن دون السيئ.

٣٦ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: ﴿عِبَادَهُ﴾ على الجمع، وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم: ﴿عَبْدَهُ﴾ على التوحيد، وهو اختيار أبي عبيد، لأنه قد قرئ به في سبع مواضع، وهي: في البقرة في قصة إبراهيم، وفي الأعراف في قصة نوح، وفي يونس في قصة موسى، وفي الزمر في قصة محمد، وفي الحجر في قصة لوط، وفي ص في قصة داود، وفي القمر في قصة نوح، فكان ما قرئ به في ستة مواضع أكثر مما قرئ به في موضع واحد، فحمل الأقل على الأكثر.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ أي: من الأصنام، وذلك أن قريشاً قالت له: إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا لعيبك إياها، فنزلت هذه الآية.

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي: من يخذله الله فلا هادي له.

٣٧ ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾ أي: من يرشده الله فلا مضل له.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾ أي: ممن عصاه.

٣٨ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ أي: إن سألت هؤلاء المشركين من خلق السماوات والأرض ليقولن: الله.

﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: أخبروني عن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله.

﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ أي: هل تكشف عني ما أصابني من الضر؟

﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ أي: هل تمنع رحمته عني؟

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: الله كافيني ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: عليه يعتمد المعتمدون.

٣٩ ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على تمكنكم واستطاعتكم.

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ أي: على تمكني واستطاعتي.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: عاقبة أمركم.

٤٠ ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: يذله ويهينه.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم لا ينقطع.

٤١ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق.

﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾ أي: فمن اهتدى بالقرآن فلنفسه اهتدى.

﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: ومن ضل فإنما يضل على نفسه.

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي: بحفيظ، فتجبرهم على الإيمان.

فصل: التحريم على المشركين

(١) تفسير الرازي ٢٦/٢٩.
(٢) تفسير الرازي ٢٦/٢٩.
(٣) معاني القرآن ٥/٢٨٨.
(٤) تفسير الرازي ٢٦/٢٩.
(٥) تفسير الرازي ٢٦/٢٩.

الوحدة

عناصر الموضوع

معنى الوحدة ٢٧٢

الوحدة في الاستعمال القرآني ٢٧٣

الألفاظ ذات الصلة ٢٧٤

مجالات الوحدة في القرآن ٢٧٦

الحث على الوحدة ٢٨٥

الوحدة والعبادات ٣٩٣

أسباب الوحدة ٤٠٢

عوائق الوحدة ٤٠٩

ثمار الوحدة ٤١٧

مفهوم الوحدة

أولاً: المعنى اللغوي:

ترجع كلمة (الوحدة) في معاجم العربية إلى الجذر الثلاثي (وحد)، وبالنظر في تلك المعاجم نجد أن مادة (وحد) [illegible] قال ابن فارس: "الواو والحاء والدال أصلٌ واحد يدل على الانفراد، ومن ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله، والواحد المنفرد"[1]

وفي لسان العرب: [illegible] على القطع النظر [illegible] بالانفراد من الأصحاب من طريق بينونته عنهم [illegible] والوحدة الانفراد، يقال: رأيته وحده، وجلس وحده، [illegible] الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل، ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عز وجل[2]

فالوحدة الانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة[3]

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

الوحدة هي: اجتماع الأفراد أو الجماعات والأقاليم والمجتمعات في سائر أمور حياتهم ومصالحهم ودساتيرهم وعاداتهم وتقاليدهم ونحو ذلك، بحيث تكون الوحدة بين الجميع شيئاً واحداً أو كالشيء الواحد بحيث تصير الجماعات في صورة كيان واحد[4]

ووحدة الأمة الإسلامية هي: توحيد المسلمين جميعاً واجتماعهم على أساس الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله عز وجل بحيث يعلو على جميع الروابط الأخرى كالرابطة العرقية والقومية ورابطة اللغة، ويجمع العناصر المشتركة بين أفراد هذه الجماعة من الدخول في دين الإسلام عقيدة وعبادة ونظام حياة.

---

[1] مقاييس اللغة ٦/ [illegible]

[2] انظر: لسان العرب لابن منظور ٣/ ٤٤٦، مختار الصحاح للرازي ص ٧١

[3] المعجم [illegible] الراغب الأصفهاني [illegible] ص ٧٢

[4] انظر: وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية، أحمد عمر هاشم ص ٧

[illegible] في المعجم القرآني

وردت مفردة [illegible] في القرآن الكريم [illegible] مرات

بالمعنى الذي وردت في:

[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

[illegible] في أصلها بمعنى [illegible] وتستعمل في معنى [illegible] [illegible] [1]

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، [illegible]

[2] انظر: [illegible] ابن فارس [illegible]

الألفاظ ذات الصلة

الاجتماع

الاجتماع لغة:

ضم الشيء، وضم بعضه إلى بعض، وهو خلاف التفريق[1].

الاجتماع اصطلاحًا:

هو اجتماع الناس وعدم التفرق، واجتماع القلوب والأبدان وعدم الفرقة.

الصلة بين الاجتماع والوحدة:

الاجتماع من صور وحدة الأمة الإسلامية، وهو مطلب شرعي، ويتجلى مظاهره في أعظم الشعائر التعبدية كالصلاة مع الجماعة وصلاة الجمعة.

الاعتصام

الاعتصام لغة:

المنع والإمساك، والاعتصام: الاستمساك.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: 103].

أي: تمسكوا بعهد الله[2]، والاعتصام بحبل الله هو ترك الفرقة واتباع القرآن[3].

الاعتصام اصطلاحًا:

ولا يختلف معنى الاعتصام في الاصطلاح عن معناه في اللغة.

الصلة بين الاعتصام والوحدة:

الاعتصام: الاستمساك بالشيء، أصل معناه المنع، والمعنى: الاستمساك بحبل الله ويعني بها الأخذ بوسيلة الوحدة للأمة وطريق إليها، وإنما كان الاستمساك بحبل الله سبب الاجتماع ووحدة الصف، وعصمة من التفرق والاختلاف.

---

[1] انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (1/479)، لسان العرب لابن منظور (8/53).
[2] انظر: تاج العروس للزبيدي (33/113)، لسان العرب لابن منظور (12/405).
[3] المفردات للراغب الأصفهاني ص 569.

التفرق

التفرق لغة:

خلاف التجمع، [illegible] والاسم الفرقة(1)

والتفرق: خلاف التجمع، [illegible] أما التفريق

فالتفرق والتفريق أبلغ من الفرق لما فيه من معنى التكثير(2)

التفرق اصطلاحًا:

لا يخرج معناه عن المعنى اللغوي.

الصلة بين التفرق والوحدة:

التفرق ضد الوحدة، ويعد من أهم أسباب ضعف الأمة [illegible] من آثار الاختلاف

المذموم بين المسلمين؛ لأن من الاختلاف ما لا يصل إلى حد الافتراق، ومن آثاره [illegible]

[illegible] بين الأمة.

---

(1) المخصص لابن سيده [illegible].

(2) [illegible] ص [illegible].

أنواع الوحدة في القرآن

أولا: وحدة الخلق

لقد بين القرآن الكريم أن الناس جميعًا مخلوقون لخالق واحد ويشتركون جميعًا بأمر رابطة تجمعهم كلهم دون استثناء إنهم جميعًا مخلوقون لخالق واحد وأصلهم جميعًا أب واحد قال تعالى ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ [1]

فهذا خطاب من رب الناس للناس جميعًا مهما اختلفت ألسنتهم وأعراقهم ومهما اختلفت ألوانهم وأشكالهم وأقاليمهم دينهم بتلك الرابطة العظمى تجمعهم جميعًا [illegible] [illegible] كانت [illegible] [illegible] لهم على أن يجمعهم [illegible] على واحد وأب واحد وأن بعضهم من بعض وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة [illegible] بذلك بعضهم على بعض [illegible] [illegible] والتعالي [illegible] من [illegible] [illegible] بالمعروف

إن هذه الآية العظيمة التي افتتح الله بها سورة النساء ترمي بأن هذه البشرية التي منحدرة من أبوين [illegible] الأصل في [illegible] واستمرار والتوالد من أصل واحد والتسلسل في نسب واحد وأن التكاثر [illegible] هذه الحقيقة [illegible] في جميع [illegible] التي [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرحم [illegible] وكلها [illegible] ما كان يجوز أن [illegible] على [illegible] الرحم وحفظها في [illegible] [illegible] [illegible] وحفظها في [illegible] [illegible] وحفظها في الأولى [2]

إن الناس جميعًا تجمعهم وحدة خلقية ووحدة النسب أما الوحدة الخلقية فهي تعم جميعًا واحد لا شريك له هو الذي خلقهم وهو الذي يرزقهم وهو الذي يحفظهم وهو الذي يحييهم وهو الذي [illegible] إليهم [illegible] [illegible] [illegible] وأما الوحدة الجنسية فالناس جميعًا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم قد انحدروا من أصل واحد وهو آدم عليه السلام *

ويؤكد سيد قطب هذه [illegible] [illegible] الحقيقة [illegible] [illegible] بالمجتمع [illegible] البشري الذي [illegible] البشرية [illegible] وما [illegible] [illegible] [illegible] المختلفة في المجتمعات المختلفة التي [illegible] عن

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري ج [illegible]

[1] انظر في ظلال القرآن سيد قطب ج1 [illegible]

[2] انظر التفسير الوسيط سيد طنطاوي ج [illegible]

الأعراق والعرق بين الجماعات، ولكنهم أقاموها على أساس هذه الفوارق وأنكروا النسبة إلى الجنس والقوم ونسوا النسبة إلى الإنسانية الواحدة والربوبية الواحدة.[1]

ومن هنا كان الأمر في القرآن الكريم بالتأكيد على وحدة الناس جميعاً ووحدة الخلق والنسب ووحدة الأصل من رجل واحد.

قال تعالى: ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ الأنعام ٩٨

وقال في موضع آخر: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ الأعراف ١٨٩

وفي موضع ثالث قال سبحانه: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ الزمر ٦

ويؤكد سبحانه في هذه الآيات على حقيقة وحدة الخلق ويذكرهم بأنهم جميعاً خلقوا من نفس واحدة.

ثم جعل الله عز وجل الناس من نفس واحدة ثم جعل من نسلها الشعوب والقبائل ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات ١٣

وبذلك فإن التمايز بين الناس وانقسامهم إلى شعوب وقبائل مختلفة لا ينبغي أن يكون سبباً للتفاخر والتعالي وتعالي الناس على بعض، فقد بين الله عز وجل الغاية من هذا التمايز بقوله: ﴿لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ فالغاية هي التعارف لا التناكر، التعارف الذي يؤدي إلى [illegible] الوحدة والأخوة الصادقة، لا التفاخر الذي يؤدي إلى الفرقة والتنازع.[2]

هذه المعاني العظيمة أكدها أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع إذ قال: يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى.[3]

ثانياً: وحدة الملة والدين.

لقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه العزيز أن الناس مجتمعون على ملة واحدة ودين واحد.

قال سبحانه: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ البقرة ٢١٣

واختلف المفسرون في معنى تلك الملة

---

[1] في ظلال القرآن [illegible]

[2] التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible]

[3] أخرجه أحمد في مسنده برقم [illegible] وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة [illegible] رقم [illegible]

التي كان الناس عليها، فذهب بعضهم إلى القول بأن الناس كانوا كفارًا على الدين الحق، كانوا على الباطل مجتمعين، وذهب بعضهم: كانوا مجتمعين على الكفر والباطل.

ورجح شيخ المفسرين الطبري القول الأول فقال: «... إن دليل القرآن واضح على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به، وذلك أن الله عز وجل قال في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 19]

فتوعد جل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع، ولا على كونهم أمة واحدة، ولو كان اجتماعهم قبل الاختلاف كان على الكفر ثم كان الاختلاف بعد ذلك، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان، ولو كان ذلك كذلك لكان الوعد أولى بحكمه جل ثناؤه في تلك الحال من الوعيد؛ لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعته، ومحال أن يتوعد في حال التوبة والإنابة، ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك»[2]

ولقد بين الله عز وجل في كتابه أيضًا أنه سبحانه قادر على جعل الناس مجتمعين على ملة الإسلام وشريعة الحق الخالدة، ولكنه سبحانه يريد أن يبتلي عباده، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة: 48]

ومعنى الآية: لو شاء الله عز وجل لجعل الأمم جميعًا أمة واحدة، ذوي دين واحد، وشريعة واحدة والسبيل؛ لأنه سبحانه لا يعجزه شيء، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك؛ وإنما شاء أن يجعلكم أممًا مختلفة ليختبركم فيما آتاكم من شرائع مختلفة في بعض فروعها، والتي تجتمع في جوهرها وأصولها؛ ليجازي من أطاعه بما يستحقه من ثوابه، ويجازي من خالف أمره بما يستحقه من عقاب[3]

وفي هذا المعنى يقول جل وعلا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 93]

أي: ولو شاء الله عز وجل لجعلكم كلكم مجتمعين على ملة واحدة، وهي الإسلام والإيمان، ولكنه سبحانه يضل من يشاء ممن علم منه إيثار الضلالة، فلا يهديه عدلًا منه، ويهدي من

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري (4/275) باب [illegible] تأويل العبارة [illegible]

[2] جامع البيان (4/...)

[3] انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي [illegible]

يشاء ممن علم منه إيثار الحق، فوالله لهداهم منه، وإليه مرجعكم جميعاً يوم القيامة عما كنتم تعملونه في الدنيا فيما أمركم به ونهاكم عنه ويجازيكم على ذلك(١)

وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

يخبر سبحانه في هذه الآية أنه لو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته أنه لا يزالوا مختلفين، مخالفين الصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، إلا من رحم ربك فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي(٢)

وقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: اقتضت حكمته أنه خلقهم ليكون منهم السعداء والأشقياء والمتفقون والمختلفون، الفريق [illegible]

قال القرطبي: « وعلى هذا أكثر [illegible] ورحمه الله فيما روي عنه أشهب: سألت مالكاً عن هذه الآية قال: خلقهم ليكونوا فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير، أي: خلق أهل الاختلاف للاختلاف، وأهل الرحمة للرحمة. وروي عن ابن عباس أيضاً قال: خلقهم فريقين: فريقاً يرحمه وفريقاً لا يرحمه »(٣)

ومثل هذه الآية قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣].

ولما بين الله عز وجل أن الناس كانوا على ملة واحدة يعني واحدة بين أيضاً أنه سبحانه قادر على جمع الناس كلهم على ملة الإسلام، مع أن أمة التوحيد المجتمعة على الإسلام مجتمعة على أصل العقيدة، وبين ربها عز وجل، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وفي سورة المؤمنون: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

فبذلك أمة الإسلام ملة واحدة من عهد آدم عليه السلام إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم، لأن دين الأنبياء واحد، وأتباع الرسل ملة واحدة بين ملل على العموم

---

(١) التفسير الميسر، مجمع الملك فهد، ص ١١٧

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٣٩١

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩/١١٤

إلى تمام السلامة فهو من أتمهم(1)

والملاحظ أن كلمة الوحدة مضافة إلى الأمة أي وحدة الأمة لم ترد في القرآن الكريم ولكن ورد وصف الأمة بأنها أمة واحدة، فالتركيز في القرآن قد جاء على مفهوم الأمة التي توصف بأنها أمة واحدة وليس على مفهوم الوحدة التي تضاف إلى الأمة، وهذا يعني أن الأمة واحدة في الأصل، أما مسألة توحيد الأمة وتوحدها فهي طارئة وجدت حين حل بالأمة ما حل(2)

حث على الوحدة

أولاً: الأمر بالوحدة

الآيات التي تأمر بالوحدة وتحث عليها كثيرة في كتاب الله عز وجل لا نستطيع في هذا الجهد إحصاءها، لكن من أجل الوقوف عليها فالقرآن الكريم قد جعل وحدة المسلمين وتآلفهم واجتماع كلمتهم من أصول الدين، وقواعد الشريعة، وقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في الدلالة على وجوب الوحدة وذلك كما يلي:

1- الأمر الصريح بالوحدة

لقد ورد الأمر بالوحدة صريحاً في كتاب الله عز وجل، كما في قول الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103]

فهذه الآية الكريمة تأمر المسلمين بأن يكونوا جميعاً مستمسكين بكتاب الله وبدينه وبعهوده ولا يتفرقوا كما كانوا عليه في الجاهلية يضرب بعضهم رقاب بعض.

قال الطبري: "يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر

---

(1) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري [illegible]

(2) انظر: نحو الأمة الإسلامية، [illegible]

فيه»(١)

وفي الآية استعارة لطيفة حيث شبه الله عز وجل الحالة الحاصلة من تمسك المؤمنين بدينه وكتابه وعهوده ووصاياه اتفاقهم بالحالة الحاصلة من تمسك جماعة بحبل واحد ملقى لأجل الانتشال، ألقاه إليهم من منقذ ليُنجيهم من غرق أو سقوط أو نحوهما(٢)

وقد روى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وأن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة»(٣)

وقد اختلفت أقوال المفسرين في معنى ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ الذي أمر الله المؤمنين بالاعتصام به، فقال بعضهم: كتاب الله، وقال بعضهم: دين الله، وقال بعضهم: أمر الله وطاعته، وقال بعضهم: الجماعة(٤)

قال القرطبي: «والمعنى كله متقارب متداخل؛ فإن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة»(٥)

ومن الآيات التي تأمر المسلمين بالوحدة والاعتصام والتآلف قول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]

فهذه الآية تأمر المسلمين بالتعاون على كل ما هو خير وبر وطاعة لله عز وجل، وتنهاهم عن التعاون على ارتكاب الآثام والاعتداء على حدود الله، فالتعاون على الطاعات والخيرات يؤدي إلى السعادة، أما التعاون على ما يغضب الله عز وجل فيؤدي إلى الشقاء(٦)

وتعاون المسلمين فيما بينهم يساعد على تقوية الروابط بين المجتمع المسلم جسداً واحداً متماسكاً مترابطاً. قال القرطبي: «وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى؛ أي ليعن بعضكم بعضاً، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى، واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله عنه، وامتنعوا منه»(٧)

ويقول السعدي: «يرشد القرآن الكريم المسلمين إلى إقامة جميع مصالحهم، وأنه إذا لم يمكن حصولها من الجميع فليشتغل بكل مصلحة من مصالحهم من يقدر على القيام بها، وأولى، ولكن عليها أعوان مصالحهم والاتحاد بمهامهم جميعاً واستعداد وغيره من القواعد الجليلة، ومن السياسة

---

(١) جامع البيان ٤/ ٣٠

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور ٤/ ٣١

(٣) جامع البيان ٤/ ٣١

(٤) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ١/ ٤٣٣

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٥٩

(٦) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي ٤/ ٢٩

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٤٧

الشرعية المتكررة، فإنه كثيرًا من المصالح العامة الكلية لا يمكن تحقيقها على تقسيم بينه ولا يمكن تحصيله بالطريق إلى مستوى ما أراده الله سبحانه وتعالى في الجهاد والعلم اللذين هما من أعظم مصالح الدين: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فأمر الله بالجهاد والدعوة طائفة كافية وبالعلم طائفة أخرى، وأن الطائفة القائمة بالجهاد تستدرك ما فاتها من العلم إذا رجعت (١).

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا الأصل الجليل والقاعدة العامة، وقيام كل طائفة منهم بمصلحة من المصالح التي المصالح الكلية لا تتم إلا ما هو لازم المصالح الكلية، ويكون مثلاً في جميع أعماله إليه على وفق الصعوبة المسألة على الطريقة الإسلامية لمراعاتهم ومصالحه أمورهم والحاجة تعم السعد كثيرًا الثقة المسلمة (٢).

لقد أمر القرآن العظيم بأمور عظيمة من شأنها أن توحد الأمة وتربطها رباطًا والتماسك في كل شيء، فقد أمر ببر الوالدين، وأمر بصلة الأرحام، وأمر بالإحسان إلى أولي القربى واليتامى والمساكين، كما أمر بحسن معاشرة الزوجة، وأمر بالإحسان إلى الجار والأيتام في ذلك سورة كثيرة منها الآية الجامعة من سورة النساء إذ يقول جل من قائل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

يأمر الله عز وجل في هذه الآية بعبادته وحده لا شريك له ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين، وكثيرًا ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين، ثم عطف على الإحسان إليهما الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء ثم أوصى باليتامى

---

(١) ولهذا استدل [illegible] أهل [illegible] كل من بعث مع الرسول صلى الله عليه وسلم هم [illegible] الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في [illegible] لا يعلموا [illegible] لم [illegible] [illegible] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ [illegible]

(٢) القواعد الحسان، السعدي، ص ١٢

وذلك لأنهم أهلوا من يلزم بمصالحهم ومن يقل عليهم أمر الله بالإحسان إليهم ثم أوصى بالسائلين من ذوي الحاجات الذين لا يسعفهم من يلزم بكفايتهم فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم ثم أوصى بالجار ذي القربى والجار الجنب وهو الجار الذي بينك وبينه قرابة والجار الذي ليس بينك وبينه قرابة وكلما قرب الجار كان آكد في الحق ثم أوصى بالصاحب بالجنب قيل: هي الزوجة، وقيل: هو الصاحب وقيل: هو رفيقك في الحضر ورفيقك في السفر ثم أوصى بابن السبيل وهو الغريب وقيل: هو الذي يمر عليك مجتازًا في السفر، وأعظم حق وصل هذه الوصايا العظيمة بالوصية بما ملكت أيمانكم وهم الأرقاء لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس [3] ويأمرنا بكفايتهم في ذلك العدل والطعام والملبس.

وقد جاءت السنة مؤكدة على أمر الجوار والرحمة والإحسان، وذلك في أحاديث كثيرة يضيق المقام هنا بإيرادها، من ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا؛ فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[4].

الرابع: الأخوة بين المؤمنين جميعًا

لقد وصف القرآن الكريم المؤمنين بالعلم، ووصف بعد على وصفهم بالإخوة بين الله ورسوله بأنهم إخوة؛ ذلك أن الأخوة في النسب ترتبط برابطة قوية من المحبة والألفة وحرص كل منهم على مصلحة الآخر، فكذلك حال الأخوة بين المؤمنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

إن عقد الأخوة هي بمثابة عقد عقده الله بين المؤمنين؛ أنه إذا وجد المؤمن في مشارق الأرض أو في مغاربها؛ فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبونه لأنفسهم، ويكرهون له ما يكرهونه لأنفسهم[5].

فالدين يقتضي الرحمة في الأرض جميعًا الفقير الضعيف لمصر حكمهم في حال

---

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٣.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات ٣/١٣٤٠ رقم (١٧١٥).

[5] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٨.

الأخوة ميثاقاً في القرآن هذا التحاكم بين المسلمين، والأمر حتم بالعلم أنها حيالاً على وجه التشبيه البليغ ولهذا في القرآن معنى الأخوة ويجب حتى لا يحل أن يترك بعرف الشبه الصغير يقطعه عاطفتهم عن سطوة الأخوة وهذه الآية فيها دلالة قوية على تأكد وجوب الأخوة بين المسلمين، لأن شأن (إنما) أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل منزلة ذلك فلذلك كان قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ يفيد أن معنى الأخوة بينهم معلوم مقرر[1].

إن في تقرير القرآن الكريم الأخوة بين المؤمنين أعظم دليل على حثه واهتمامه بمحبتهم وبالتعاضد حتى يكونوا جميعاً إخواناً، وهذه الأخوة التي قررها القرآن الكريم هي أخوة مبنية على أساس متين، فالتي يرتبط المؤمنون بعضهم مع بعض العقيدة والدين، وهذا أقوى من كل رابطة يجمع الناس، حتى ولو كانت رابطة نسب أو رحم، فالموجودة بهذه الروابط كالجسد الواحد كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2].

ولذلك يذكر في القرآن العظيم إطلاق النفس ويراد به الأخ، تنبيهاً على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه كقوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]

أي: بإخوانهم على أصح التفسيرين[3].

وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]

أي: لا يعب بعضكم بعضاً، لأن المؤمنين جميعاً كالنفس الواحدة.

وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]

أي: لا يأكل أحدكم مال أخيه[4]. وفي هذا كثير من الأحاديث، وكذلك ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب

---

[1] انظر: التحرير ٢٦/ ٢٤٣.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم ٢٥٨٦.

[3] قال الألوسي عن الحسن رضي الله عنه: معنى بأنفسهم بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة، وقال الكلبي: بأنفسهم أي بإخوانهم.
انظر: روح المعاني.

[4] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦/ ٣٢٣.

أنفسهم(٢٠)

ومن الآيات الدالة على أن الدين والإيمان والعقيدة الصافية هي الرابطة الحقيقية التي تربط المسلمين جميعاً، وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية والقبلية، قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ المجادلة: ٢٢.

فأخوة العقيدة والدين هي الأخوة التي يوصي بها الإسلام الحنيف ولا يصح لمسلم أن يقدم غيرها ولو كانت الرابطة بالنسب على مسلم ولو كان الأخ النسبي معانداً.

فالمؤمنون إخوة متحابون، وما حث عليه الأخوة وأساسها إنما هو رابط الإسلام وعقيدته الصحيحة وهي من أهم أسباب وحدة الصف وقوة الصلة بين أفراد الأمة المسلمة وقلة التحزب بين المسلمين والحرص على روابط الأخوة الصحيحة من الإيمان والعقيدة سر قوة الأمة وتماسك بنيانها(٢١)

وبين النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً بالأحاديث الشريفة على ما أكده القرآن الكريم من وجوب الأخوة بين المسلمين مضيفاً بيان ما على المسلمين من حقوق الأخوة الصحيحة بما يضمن الحفاظ على تلك الأخوة وتلك المودة وسلامتها من كل ما يخالف معانيها العظيمة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه(٢٣)

وقد قال صلى الله عليه وسلم ممثلاً حال الأخوة من المؤمنين بأعظم مثال: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً(٢٤)

وشبك صلى الله عليه وسلم بين أصابعه وليس أعظم من هذا مثالاً على تلك الأخوة

---

(٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ١٣، (١).

(٢١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٨/ ٦٣.

(٢٢) انظر: تيسير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي الصلابي، ص [illegible]

(٢٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم ٢٥٦٤.

(٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج ٤/ ١٩٩٩

العظيمة فنكتفي بما أشرنا إليه.

ولا يخفى على كل مطلع على سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ما قام به صلى الله عليه وسلم من المؤاخاة بين أصحابه الكرام حيث آخى بين المهاجرين أنفسهم وآخى بين الأنصار أنفسهم وآخى بين المهاجرين والأنصار جميعًا، وكانت أروع صور المؤاخاة التي عرفها التاريخ البشري هذا الإخاء الذي ذابت فيه عصبيات الجاهلية وسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يكون [illegible] الولاء والبراء إلا للإسلام وقد امتزجت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة وامتداد الخير في هذه الأخوة وملأت المجتمع الجديد بأروع الأمثلة، [illegible] حتى قال الواحد منهم لأخيه: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها[1]

٣- الأمر بالإصلاح بين المؤمنين عند حدوث الخلاف بينهم:

ومن أساليب القرآن الكريم في الحث على وحدة المسلمين وتماسكهم أنه أمر بالمبادرة إلى الإصلاح بين المؤمنين إذا ما نزغ الشيطان بين طائفتين منهم فحصل بينهم نزاع أو قتال.

قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

ففي هذه الآية نهي من الله عز وجل للمؤمنين عن أن يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضًا، فإذا حصل القتال فالواجب حينئذ على غيرهم من المؤمنين أن يتداركوا هذا الشر الكبير بالإصلاح بينهم والتوسط بالحق على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطرق الموصلة إلى ذلك، فإذا حصل الصلح فبها ونعمت وإلا ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: ترجع إلى ما حد الله ورسوله من فعل الخير وترك الشر الذي من أعظمه الاقتتال. وقوله: ﴿فَإِن فَاءَتْ

انظر الرحيق المختوم للمباركفوري ص ٢١٦.

[1] الحديث: عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، رقم ٣٧٨٠، ج ٣.

ولا يخفى ما في هذا المجال من المواقف العظيمة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بأروع أمثلة الإيثار والمثالية في أسمى صور الوحدة الإسلامية.

﴿...بينهما والصلح﴾ هذا أمر بالصلح والعدل في الصلح، فإن الصلح له وجوه ولكن لا يكون بالظلم بل بالعدل والإنصاف على أحد الخصمين، فإنه ليس هو الصلح المشروع.[2]

وفي الآية لطائف منها تدل على أن الاقتتال بين المؤمنين خارج عن الأصل المشروع من الوحدة والأخوة والألفة حيث عبرت الآية عن طرفي ذلك الاقتتال بأداة الشرط (إن) التي تفيد ندرة الوقوع والنادر، وفي ذلك إشارة إلى أنه ينبغي أن لا يقع الاقتتال إلا نادراً. ثم إن الآية الكريمة استعملت لفظة ﴿اقتتلوا﴾ ولم تستعمل لفظة (تقاتلوا) وذلك للدلالة أيضاً على القلة؛ لأن [illegible] ثم إن الآية قالت ﴿من المؤمنين﴾ ولم تقل (منكم) مع أن الخطاب للمؤمنين أيضاً على أنهم [illegible] كما يقول السيد [illegible] إن رأيت أحداً من عشيرتي يقتل كذا [illegible] ذلك الفعل بالطريق الحسن كما يقول [illegible] أن يفعل ذلك فلا ينحل عن كل الشر.

ولا يخفى أيضاً تعبير الآية بالفعل الماضي ﴿اقتتلوا﴾ بدل الفعل المضارع (يقتتلوا) حتى لا يدل دوام ذلك الاقتتال ولكن وراء ذلك عقب بقوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ أي طبعت النفوس على حب الذات وقلة الترفع.

ومن اللطائف في الآية أيضاً أن الله تعالى خاطب المؤمنين جميعاً بقوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ فلا ينبغي لهم أن يتركوا الأمر بين الأطراف المتقاتلين أن يصطلحوا في خلافاتهم [illegible] الأطراف والمتقاتلين لا يصطلحون إلا قليلاً، وذلك كما نرى في واقع المسلمين اليوم!!

ومن الآيات التي وردت في الأمر بإصلاح ذات البين[3] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1]

حيث نزلت هذه الآية عندما وقع خلاف بين المسلمين في غنائم بدر بين بعض الصحابة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الأسرى وعن الحكم في الغنيمة وسألوه عن الأنفال لمن هي؟[4]

فكان الجواب من الله عز وجل أن أمر في أن ترك الأمر لله ورسوله يحكم فيها بحكمه ويحكم ما يشاء ليس لأحد غير فيها حكم

---

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible]

[3] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٩/٦٨

[4] الأنفال جمع نفل، من النفل وهو الزيادة [illegible] وما يعطى من الغنائم زيادة [illegible] انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية [illegible]

﴿فاتقوا الله﴾ في الأخلاق والمعاملات وكونوا متآلفين في الله ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ يعني: ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق، وأطيعوا الرسول أي: ظاهر طاعته وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم(١).

قال ابن كثير: اتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ أي: في قسمه بينكم على ما أراده الله فإنه إنما يقسمه كما أمره الله من العدل والإنصاف. وقال ابن عباس: هذا تحريج من الله ورسوله أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم وكذا قال مجاهد(٢).

وقد رغب القرآن الكريم في الإصلاح بين المسلمين، فقد قال تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ [النساء: ١١٤].

يقول أبو بكر الجزائري مفسرا الآية: يخبر تعالى أنه لا خير في كثير من أقوال المناجين ولا في تحدثهم لنظائرهم سرهم ولا يكتب الخير إلا في نجوى أمر أصحابها بصدقة تعطى لمحتاج إليها من المسلمين أو معروف استحسنه الشارع أو أرغب فيه من البر والإحسان، أو إصلاح بين الناس لإبقاء على الألفة والمودة بين المسلمين، ثم أخبر تعالى أن من يفعل ذلك المذكور من الصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس طلبا لمرضاة الله تعالى فسوف يثيبه بأحسن الثواب ألا وهو الجنة دار السلام إذ لا أجر أعظم من أجر يكون الجنة(٣).

وقد أكدت السنة المطهرة هذا المعنى المطلوب من الحث على إصلاح ذات البين والترغيب فيه، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى. قال: «إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة»(١) وغير ذلك من الأحاديث.

إن هذه الآيات الشريفة التي تأمر وتحث على الإصلاح بين المسلمين لهي آيات تدل على حرص هذا الكتاب العزيز على وحدة صف المؤمنين وعدم السماح

---

(١) انظر مدارك التنزيل للنسفي ١/ [illegible]

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٣٢

(٣) أيسر التفاسير ١/ [illegible]

أخرجه أحمد في مسنده رقم ٢٧٥٠٨، (٢) وأبو داود في سننه كتاب الأدب باب في إصلاح ذات البين رقم ٤٩١٩، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٢٨١٤

إلى أمر مهما كان أن يفرق المجتمع أو يشتته فيصبح مجموعات متفرقة، وأمة الإسلام أمة واحدة لها دين واحد ونبيها نبي واحد.

ثانيًا: النهي عن الفرقة والاختلاف.

كما أن القرآن الكريم أمر بالوحدة وحث عليها فإنه في مقابلة ذلك نهى عن الفرقة والاختلاف وحذر منهما لخطورة عاقبة ذلك في آيات عدة من الكتاب العزيز ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

حيث أمر الله عز وجل عباده المؤمنين في هذه الآية بما يعينهم على الطريق وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله وكون معشر المؤمنين يدًا واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، كما أن بالافتراق والتعادي يختل النظام وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه ولو أدى إلى الضرر العام، وفي هذه الآية ما يدل على أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرًا له ومحبة وليزيدهم من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها⁽¹⁾.

وقال الله عز وجل بعد هذه الآية بآية واحدة: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

نهى الله سبحانه في هذه الآية عباده المؤمنين أن يكونوا مثل أهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء فتفرقوا شيعًا وأحزابًا واختلفوا في أصول دينهم من بعد أن اتضح لهم الحق، وأولئك مستحقون لعذاب عظيم موجع⁽²⁾.

وأخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية قال: في هذا ونحوه من القرآن أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله⁽³⁾.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ١

(2) التفسير الميسر، مجمع الملك فهد، ص

(3) جامع البيان ٧/٧٤

يقول الدكتور وهبة الزحيلي معلقاً على الآية السابقة: إن التفرق في الدين أمر حرام ومنكر عظيم، والتحدي للمصلحة العامة والخاصة على وجوب الوحدة الإسلامية، ولأنه الموحدة، وقد عد القرآن الكريم المتفرقين في الدين من الكفار والمشركين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 31-32][1]

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159].

ومن أراد الاعتصام بالوحدة والإسلام ورد الأمر المتنازع فيه إلى غير الكتاب والسنة [illegible] من التفرق.

ومثل هذه الآيات التي تنهى عن الفرقة والاختلاف قول الله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

ففي هذه الآية أمر من الله عز وجل لعباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونهي عن التنازع الذي يؤدي إلى الفرقة والخلاف المؤدية بدورهم إلى الضعف والوهن والفشل وذهاب الريح والقوة[2].

يقول ابن عاشور - رحمه الله -: والنهي عن التنازع أعم من الأمر بالطاعة لولاة الأمور؛ لأنهم إذا نهوا عن التنازع بينهم فالتنازع مع ولي الأمر أولى بالنهي، ولما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء، وهو أمر مرتكز في الفطرة، بسط القرآن القول فيه ببيان سيء آثاره، فجاء بالتفريع بالفاء في قوله: ﴿فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ فحذرهم أمرين معلوماً سوء مغبتهما، وهما الفشل وذهاب الريح، وبيانه أن التنازع يفضي إلى الفشل؛ لأنه يثير التغاضب ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضاً، فيصرف الأمة عن التوجه إلى ما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم، فيتمكن منهم العدو، وذلك لأن التنازع يفضي إلى التفرق وهو يوهن أمر الأمة[3].

ومن الآيات التي تحث على الاجتماع وعدم الفرقة قول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13].

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -:

---

[1] التفسير المنير [illegible]

[2] انظر: جامع البيان للطبري [illegible]

[3] التحرير والتنوير [illegible]

جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالأخلاق والصفات ويمايزهم عن الأخرى والانحرافات(1).

لقد أخبر القرآن الكريم عن جماعة من المنافقين أرادوا تمزيق وحدة المسلمين والتفرقة بينهم وبنوا لذلك مسجداً ضراراً ففضحهم الله عز وجل وأظهر نواياهم للمسلمين وكفرهم ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ التوبة: 107.

إن الإسلام يحارب كل طريق تؤدي إلى تمزيق وحدة المسلمين، ولذا كانت هذه مسجد، وهذا المسجد لم يرد ببنائه الخير وإنما أريد به أن يكون مقراً للمنافقين ومحطة لهم لمؤامراتهم ضد الإسلام والمسلمين، ولذلك نهى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم القيام في هذا المسجد أبداً ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ التوبة: 108.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه وإحراقه(2).

ويحذر من النزاع والفرقة ويأمر المسلمين بالطاعة مع بعض سبيل الله عز وجل لتفادي النزاع بين المسلمين، ولذلك يحذرهم بعضاً عنه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ آل عمران: 100.

لقد ذكر المفسرون أن الآية الكريمة نزلت حينما حاول أحد اليهود إشعال النزاع بين المسلمين، وتذكيرهم بحروبهم أيام الجاهلية، حتى كادوا أن يقتتلوا(3)، فنزلت هذه الآية لتحذر المسلمين من طاعة المنافقين من أهل الكتاب الذين هدفهم إيقاع العداوة بين صفوف المسلمين.

والسنة النبوية المطهرة موازية للقرآن الكريم في التحذير من الفرقة والشذوذ عن الجماعة، والأحاديث في هذا الباب أكثر من

---

(1) تفسير القرآن العظيم: ج1 ص[illegible].

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ج2 ص[illegible].

(3) روى الطبري بسنده عن [illegible] في هذه الآية قال: كان جماع قبائل الأنصار بطنين: الأوس والخزرج، وكان بينهما في الجاهلية حرب ودماء وشنآن حتى منّ الله عليهم بالإسلام وبالنبي صلى الله عليه وسلم، فأطفأ الله الحرب التي كانت بينهم وألّف بينهم بالإسلام. قال: فبينا رجل من الأوس ورجل من الخزرج قاعدان يتحدثان ومعهما يهودي جالس، فلم يزل يذكرهما أيامهما والعداوة التي كانت بينهم حتى استبّا ثم اقتتلا. قال: فنادى هذا قومه وهذا قومه، فخرجوا بالسلاح وصفّ بعضهم لبعض. قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد يومئذ بالمدينة، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يمشي بينهم حتى رجعوا ووضعوا السلاح، فأنزل الله عز وجل الآية. جامع البيان: ج4 ص[illegible].

لا يحسبوا بعضنا [illegible]

وأخرج الترمذي في جامعه عن ابن عمر رضي الله عنه قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال: "أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن"(1)

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية"(2)

ولقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم قتال المسلمين كفرًا حيث قال في حجة الوداع: "لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض"(1)

وقال: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"(2)

إن الناظر في أحكام الإسلام وتشريعاته يجدها دالة على الوحدة محاربة للفرقة، ولهذا فإن الإسلام حرم أن يهجر المسلم أخاه المسلم أكثر من ثلاث ليال من أجل إقامة الجمعة وأمر بصلاة الجماعة ينهى أن يسابق الرجل وصاحبه وأن يسبقه وصحبه يوم العيد لمقتضي فرائض الشريعة في العيد وجوب اجتماع كلمة المسلمين ووحدة الفرقة ويهم [illegible] بها العالم.

والخلاصة: أن العمل على تحقيق وحدة المسلمين مما طالبنا ربنا الله به في كتابه ووصية النبي صلى الله عليه وسلم في سنته ومما عظم ثم أركانه ومما تطلبت حاجة المسلمين اليوم إليه في وقت قد تفرقت فيه دولة الإسلام وطاقته الحربية والاقتصادية والعلمية والتربوية

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة رقم ٢١٦٥، ٤/٤٠٤.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.
وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢/٢٣٢ رقم ٤.

(2) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب في التشديد في ترك الجماعة رقم ٥٤٧، ١/١٥٠.
حسنه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح ١/٢٣٣.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كتاب الإيمان باب لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض رقم ٢٣٢، ١/٨١.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر رقم ٢٢١، ١/٨١.

الهجمة على بلاد المسلمين لما أكد حاجة المسلمين إلى العمل بما فرض الله عليهم وما أكد حاجة المسلمين إلى وحدة الصف واجتماعهم على كتاب ربهم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

الحكمة والتعبد

العبادات في الإسلام ليست حركة شكلية من الشعائر بل هي أساس الدين وجوهره وهي مظهر الدين وجانبه وهي الصلة بين العبد وربه، والأصل في العبادات أنها تؤدى امتثالاً لأمر الله عز وجل وإظهاراً للعبودية سبحانه على عباده وشكراً على نعمائه وليس من اللازم أن يكون لها حكمة ظاهرة ونتائج في حياة الإنسان الحقيقية وليس من الضروري أن يكون لها حكمة يدركها عقله المحدود؛ إذ الأصل فيها أنها إظهار لعبودية الإنسان لربه فلا معنى لأن يطلب البشر في كل التعبدات حكمة فالعبد عبد والرب رب[1]

ومن تأمل في العبادات التي شرعها الإسلام يجد أن كثيراً من الحكم تظهر في أدائها وكثيراً من الثمرات تتحقق من ورائها كالصلاة المفروضة على المرء يومياً خمس مرات ومن مظاهر هذه الثمرات الجوهرية على العبادات ويرى أن الإسلام يريد مجتمع مسلم

---

[1] العبادات سبع سمات رحمه الله من التفسير بتصرف.
انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢٢٨/١
والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.
انظر: العبودية لابن تيمية ص ١١

[2] انظر: العبادة في الإسلام للقرضاوي ص ٢١٧

مرتبطة جميعها بهذه العبادات إذ توحد فيها صفوفهم، وتجعلهم قلباً واحداً [illegible] مجتمعة قوة مثل البنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ويكونون يداً على من سواهم يسودهم العدل والمساواة والإخاء والبر والرحمة والمحبة والإيثار.

وهذه العبادات تلمسها في جميع العبادات التي شرعها الإسلام، فأصل العبادات توحيد الله عز وجل، والأمة الموحدة لربها لا بد أن تكون أمة واحدة لها رب واحد ونبي واحد ولها قبلة واحدة ولها دين واحد.

ثم إن جميع العبادات تمس وحدة المسلمين من صلاة وزكاة وصيام وحج [illegible] النبي من الإسلام [illegible] المسلم ويتطلع من جماعته وأمته بصحبة العبادة، ومن فهم أن العبادة في الإسلام تعني عزلة وانطواء الفرد فقد خالف منهج الله في الإسلام، وهذه العبادات تتجلى في شعائره والتي ليس كل العبادات كذلك [illegible] العبادات في الإسلام ووحدة المسلم مع إخوانه المسلمين يظهر من خلالها وحدة الأمة واجتماعها، وسنعرض في هذا المبحث بإذن الله لبعض هذه العبادات وأثرها على وحدة المسلمين.

أولاً: الصلاة وأثرها على وحدة المسلمين.

الصلاة هي الفريضة الأولى بعد الإيمان بالله ورسوله وهي عماد الدين وهي ثاني أركان الإسلام، ولذلك جاء الأمر من الله عز وجل لعباده المؤمنين بإقامة الصلاة وذلك في آيات كثير من الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير ﴾ البقرة: 110.

وقوله: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ النور: 56.

وقوله: ﴿ وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾ الروم: 31.

وأثنى سبحانه على المؤمنين بإقامة الصلاة في غير موضع: ﴿ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ الأنفال: 3-4.

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ البقرة: 277.

﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١٤).

وأمر الله المؤمنين بالمحافظة على الصلوات، فقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨).

وغير ذلك كثير من الآيات التي تأمر بالصلاة وتحث عليها، وفي ذلك بيان لعظيم منزلة الصلاة في الإسلام.

والصلاة لا تقتصر مزيتها على أنها واجب على المؤمن، [illegible] وإنما هي أيضًا تنمي روح [illegible] المسلمين جميعًا على درجة واحدة من المساواة، فالحاكم والمحكوم، والرئيس والمرؤوس، وأصحاب الثروة والجاه والفقراء والمعدمين، والذين ليس لهم من ذلك شيء، كل هؤلاء متساوون في الوقوف بين يدي الله والإقبال عليه، لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بمقدار ما في قلبه من التقوى، وما [illegible] عليه القلوب من خشوع، وما تعجز عنه من غفلات.

إن الإسلام لم يكلف من المسلم أن يؤدي الصلاة وحده في عزلة من المجتمع الذي يحيا فيه، وإنما حث على أدائها في جماعة وخاصة في المسجد ﴿[illegible] عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا [illegible]﴾ (البقرة: ١٤٣).

والمسجد مكان يجتمع فيه المسلمون [illegible] الناس جميعًا الصغير منهم والكبير والحاكم والمحكوم والغني والفقير، في صورة عظيمة من صور وحدة المسلمين وتآلفهم.

وإذا تخلف المؤمن عن الجماعة عرف إخوانه ومواضعه، فإذا غاب منهم سأل عنه، فإن كان غائبًا دعوا له، وإن كان مريضًا عادوه [illegible] وأعطوا الفقير [illegible] عليه، وإن كان حاضرًا [illegible] لأخيه، وأكدت أسباب التعاطف والمحبة(٢).

ويرى المسلمون في صلاة الجماعة إلى قبلة واحدة، قصدهم رب واحد وإمامهم واحد، فيتحدون ويكونون كتلة واحدة، يلتحمون بشكل واحد كالجسد الواحد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصف: ٤).

ويركعون ويسجدون معًا ويسلمون مع إمامهم معًا، ولذلك حث الرسول صلى الله عليه وسلم أمته على المحافظة على الجماعة في الصلوات، وجعل الإسلام أجر الصلاة في الجماعة أضعاف صلاة

---

(١) انظر: العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين، علي محمود، ص ١٢.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ١٣.

المفروضة بل إن الخطوات إلى الجماعات مأجورة مباركة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعاً وعشرين درجة وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لا ينهزه إلا الصلاة فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه)(1)

لقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة الاهتمام بصلاة الجماعة وضرورة المحافظة عليها والترغيب في الاجتماع عليها ومع ذلك شديد الإنكار على الإخلال بها والتفريط فيها، ذلك لأن فوائد الجماعة لا تتحقق ولا تحصل إلا بالمحافظة عليها، وتراص المسلمين فيها كالبنيان المرصوص، وفي ذلك تربية لهم على رياضة الجهاد ورفعة الأمة ورص الصف المسلم وعدم تفرقته (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) [الصف: 4](2)

لقد كانت صلاة الجماعة عاملاً كبيراً من عوامل وحدة المسلمين في المجتمعات كما كانت سبباً عظيماً في التعارف وجمع القلوب وأبلغ من اهتمام الإسلام بالجماعة أنه رغب في الاجتماع والحرص عليها حتى في أوقات المحن والشدائد حين يكون المسلمون محاربين ويواجهون عدوهم؛ لأن الصلاة في ظلها سبب النصر والتأييد ولأن في اجتماعها مع الجماعة نوعاً من الحزم والحيطة والانضباط والطاعة والحذر من عدوهم(3)

قال سبحانه: (ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم) [النساء: 102]

وهذه الصلاة هي التي تسمى صلاة الخوف.

لقد أمر الله عز وجل بصلاة الجماعة وأحاطها بشروط وآداب تزيد في جلالها وترفع من شأنها وأوجب نوعاً من الاهتمام بها.

قال تعالى: (واركعوا مع الراكعين)

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، رقم ٦٤٩ - ٢٧٢.

(2) انظر: الصلاة في الإسلام، الرمضاني، ص ٣٣٩.

(3) انظر: تفسير القرطبي ج٥/٣٥١.

[illegible] المسلم شهرا في كل عام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ البقرة ١٨٣.

فصلاة الجمعة من الصلاة الجامعة التي لا تصح إلا جماعة وهي صلاة أسبوعية يحرص أن يجتمع فيها المسلمون يلتقي المسلم فيها مع إخوانه ويستمع إلى الخطيب [illegible] ويستمع منهم إلى خطبة من إمامهم تذكرهم بالله عز وجل وهي خطبة [illegible] على طريقة الإسلام.

ثم هناك أيضا صلاة فيها اجتماع أكبر للمسلمين يتكرر في العام مرتين إنها صلاة العيد تلك الصلاة العظيمة التي يخرج إليها أهل البلد جميعا في أبهى مظاهر الزينة وفي أجمل صور الأخوة جاء في الصحيحين عن أم عطية قالت أمرنا أن نخرج الحيض يوم العيدين وذوات الخدور فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم ويعتزل الحيض عن مصلاهن قالت امرأة يا رسول الله إحدانا ليس لها جلباب قال: «لتلبسها صاحبتها من جلبابها»[2]

من خلال ذلك نعرف أهمية هذه الشعائر في توحيد المسلمين وتقوية الألفة والمحبة في قلوب المسلمين بالتقائه بإخوانه كل يوم خمس مرات [illegible] المسجد [illegible] كله بسبب تلك الشعيرة ويلتقي الجميع ويتعرف من خلالها بعضهم على بعض في أجواء من المحبة والمودة.

ثانيا: الزكاة وأثرها على وحدة المسلمين

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام وقد أمر الله عز وجل بها في كتابه في مواضع كثيرة وقرن سبحانه الأمر بإيتائها مع الأمر بإقامة الصلاة في آيات كثيرة من ذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة ١١٠.

وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البينة ٥.

وقوله: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ التوبة ١١.

وقد مدح الله سبحانه مؤدي الزكاة: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ③ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لقمان ٣-٤.

وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ

---

[1] انظر: [illegible]

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة، باب وجوب الصلاة في الثياب، رقم [illegible]

لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٦-٧].

ولعل السر في هذا التخصيص من التأويل هو الرابطة المالية العظيمة، ولكن الذي يعنينا هنا بيان ما للزكاة من أثر عظيم على وحدة المسلمين وتلاحمهم وتماسك الأمة والمساواة بينهم.

إن للزكاة أثراً عظيماً في تحقيق وحدة المسلمين وتلاحمهم إذ إن الزكاة حق يخرجه المسلم الغني من ماله ويرده على إخوانه الفقراء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن: (فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)[1].

ويظهر أثر الزكاة في تحقيق وحدة المسلمين وتلاحمهم وتماسكهم سواء كان ذلك من الناحية المعنوية أم من الناحية المادية من خلال ما يأتي:

١- إن دفع الزكاة للمستحقين سبب لتأليف القلوب وإزالة الفوارق وإشاعة جو من التراحم والتواصل بين المؤمنين وتأكيد الأخوة والمساواة بينهم.

ولعل في هذا تحقيق المحبة التي تؤسس وتنبع من الإحسان الذي يصل به المرء أخاه المسلم في صحبته والتعاطف من الآخرين.

٢- إشعار الغني بأهمية الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع، حيث يشعر دافع الزكاة بضرورة المشاركة في المجتمع والتفاعل معهم ومشاركته في تحقيق مصالحهم وحل مشكلاتهم والنهوض بهم.

فالغني المحسن يتذكر الفقير ويعاني معاناته ويدفع إليه المستحق ويسد حاجة الفقراء ويواسي الضعفاء ويقوم بواجبه تجاه مجتمعه.

كما يشعر آخذ الزكاة بأخيه وأنه ليس منبوذاً ولا مهملاً وإنما هو في مجتمع كريم حتى يجد من يمده ويعينه على نوائب الدهر ليصبح لديه المحبة لمجتمعه والتفاعل معه ويعلن له ولاءه فلا يحمل الحقد والحسد، فتعود الأخوة الإسلامية معززة بالتراحم والقلوب متآلفة بالمحبة والتعاون ووحدة الأمة.

الزكاة تسد حاجة الفقراء وتزكي النفوس من الأنانية والبخل والحسد لأن المال مال الله وإنما هو العمل الذي يعود بالبركة والنماء ويحرك المجتمع إلى الأمام ويخلصه من الضائقة المادية والبطالة والإرهاب.

٣- إن الزكاة سبب لإزالة الأحقاد

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم ٢٩

[illegible] في [illegible] للآخذ والمعطي والمجتمع بعامة.

أما الآخذ فإن له في أخذ الزكاة مقاصد وحكماً أهمها [illegible] [illegible] [illegible] الحياة [illegible] وأما المعطي فإنه [illegible] [illegible] من [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] وإنه إذ [illegible] الله في ماله ويبارك على الأموال [illegible] الزكاة بعد [illegible] له في [illegible] ما هو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى أحسن.

وأما المجتمع فالزكاة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] الفاقة والتشرد والأمراض الجريمة والظلم.

١- وأما تحقيق الزكاة للتكافل الاجتماعي فهو أظهر من أن يذكر وهو المقصود الأصلي من تشريعها، إذ الله عز وجل إنما شرع الزكاة مواساة للفقراء والمحتاجين وتحقيقاً لمصالح المسلمين.

وبهذا [illegible] الزكاة [illegible] [illegible] التكافل الاجتماعي أو ما يسمى بالضمان الاجتماعي الذي لا يعتمد على [illegible] [illegible] الزكاة، بل يقوم على مساعدات حكومية دورية منتظمة تؤمن للفقير [illegible] أقل مستوى الكفاية في المطعم والملبس والمسكن وسائر الحاجات بما يكفل له ولعائلته مستوى معيشياً ملائماً من غير إسراف ولا تقتير[1].

ولو أن أهل الأموال جميعهم أخرجوا زكاة أموالهم وصرفوها لمستحقيها لما بقي في المسلمين فقير، وما حاجة الفقراء إلا بسبب منع الأغنياء، فما جاع فقير إلا بما منع غني، قال علي بن أبي طالب: (إن الله عز وجل فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي الفقراء فإن جاعوا وعروا وجهدوا فبمنع الأغنياء وحق على الله عز وجل أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه)[2].

ويقول محمد رشيد رضا: «ولو أقام المسلمون هذا الركن من دينهم لما وجد فيهم - بعد أن أعزهم الله عز وجل ومكن لهم في الأرض - فقير مدقع ولا ذو غرم مفجع، ولكن أكثرهم تركوا هذه الفريضة فجنوا على دينهم وأمتهم فصاروا أسوأ من جميع الأمم حالاً في مصالحهم الدنيوية والسياسية»[3].

---

(١) انظر: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) انظر: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، يوسف القرضاوي ص[illegible]

(٢) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ٧/٢٣

(٣) تفسير المنار ٢/٣٢

ثالثاً: الحج وأثره في وحدة المسلمين

الحج فريضة فرضها الله عز وجل على عباده ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 97].

وهو خامس أركان الإسلام، والحج فيه توحيد الله عز وجل ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 26-27].

وفيه أيضاً توحيد الأمة الإسلامية.

إن وحدة المسلمين تتجلى في أبهى صورها وسماتها في شعيرة الحج، هذا الركن العظيم الذي يتكرر كل عام ويجتمع له كثير من المسلمين من شتى بقاع المعمورة، ويجتمع فيه أبناء أمة الإسلام على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم وأقطارهم يجتمعون في مكان واحد وفي زمان واحد وفي لباس واحد، يؤدون نسكاً واحداً ويقفون في المشاعر موقفاً واحداً يعلنون فيه توحيدهم لرب العالمين [illegible] تحت لواء واحد.

لقد دعا الله عز وجل عباده المؤمنين إلى الحج منذ عهد إبراهيم الخليل فقال سبحانه: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: 27-28].

وقد ذكر المفسرون أن هذه المنافع منها منافع دينية من مغفرة للذنوب [illegible] ومنافع دنيوية من تحصيل التجارة والمكاسب[1].

قال ابن عاشور: والمنافع ﴿مَنَافِعَ﴾ [illegible] المراد بها [illegible] وهي المصالح الدينية والدنيوية [illegible][2].

ومن أعظم المنافع التي يحققها المسلمون من أداء فريضة الحج اجتماع أهل الأرض في صعيد واحد يعرف بعضهم بعضاً ويتعاون بعضهم مع بعض ويتحدث بعضهم مع بعض عن أحوال المسلمين في بلدانهم ويتبادلون الآراء والمعلومات ويتناصحون فيما بينهم ويتشاورون في مشكلاتهم ويتعاونون على البر والتقوى ويتبادلون خبراتهم [illegible] وفي ذلك كله من مصلحة الأمة الإسلامية ما لا يخفى[3].

إن توحيد الأمة الإسلامية عن طريق العبادات لا يظهر من خلال الصلاة والزكاة والصيام [illegible] كما يظهر من خلال العبادات

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

[2] التحرير والتنوير ١٧/ ٢٤.

[3] انظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي [illegible] التفسير [illegible]

القوة في الصيام توحد الأمة حيث يصوم المسلمون في شهر واحد ويمسكون عن الطعام معًا ويفطرون معًا ويتسحرون جميعًا ويشربون ويطعمون معًا فيطعم بعضهم بعضًا ويصلون قيام الصيام جماعة في مساجد الله يدعو بعضهم لبعض.

ومن العبادات عند المسلم الأخوة المسلمين ومن العبادات بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران والعطف المساكين والأرامل والأيتام ولا يخفى ما في هذه العبادات من عوامل الوحدة والألفة بين أمة الإسلام جميعًا.

مصادر الوحدة

إن من سنن الله في الأمم أن لكل أمة يكون لها أسباب ولا بد أن يكون لها أسس وأصول تعتمد عليها هذه الأمة وتوحد أفرادها على أمر مشترك يكون بمثابة الجامع بينهم ويجعل منهم أمة واحدة وقلوبهم واحدة وهدفهم واحدًا وهكذا توجد الشعوب والأمم.

وإن أمة الإسلام جمعها من أسباب الوحدة ومقوماتها ما هو أكثر وأعظم من غيرها من الأمم فأمة الإسلام تجمعها عقيدة واحدة وتوحدها شريعة واحدة لها رب واحد ولها كتاب واحد ونبي واحد صلى الله عليه وسلم وقبلة واحدة وغاية واحدة وكل ذلك من أسباب وحدتها ومقومات قوتها.

وسنعرض في النقاط الآتية لمجمل أسباب وحدة الأمة الإسلامية:

أولاً: طاعة الله وطاعة رسوله.

إن أمة الإسلام كلها مطالبة بأن ترضى بالله من ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً، وتعبده وحده والتقرب إليه بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا الأمر من أعظم ما يجمع عليه الأمة فليس بين أفرادها من يعبد إلهًا آخر أو يتبع نبيًا غير محمد صلى الله عليه وسلم وليس بين أفرادها من يقدم طاعة مخلوق

مهما عظم على طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

إن أصل كلمة الإسلام مأخوذة من الاستسلام لله عز وجل، والانقياد له سبحانه، وهذا أصل الدين بل هذا هو الدين كله، وهذا هو الفرق بين المسلم من غيره، فالمسلم من استسلم لله وانقاد له طائعا والطاعة ورسوله صلى الله عليه وسلم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

وغير المسلم لم يستسلم لله ولم يطعه سبحانه ولم يطع نبيه صلى الله عليه وسلم.

إن الله عز وجل أمر عباده المؤمنين بالاعتصام بحبله سبحانه فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

فلم يأمر سبحانه بمجرد الاعتصام وإنما بين بحبله يكون الاعتصام أمرهم أن يعتصموا بحبل الله عز وجل جميعا، أي من كلهم أمر الله عز وجل المؤمنين أن يعتصموا ويتمسكوا به ويجتمعوا عليه لأنه حبل النجاة وسبب السلامة لهم ويوم أن يتخلوا [illegible] سبحانه [illegible] ممزقين.

وقد جاء في الحديث الشريف عن جابر رضي الله عنه قال: (كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا هكذا أمامه فقال: (هذا سبيل الله عز وجل، وخط خطا عن يمينه وخطا عن شماله وقال: هذه سبيل الشيطان) ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣)(١).

إن أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله في كثير من آيات الذكر الحكيم ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢).

وبين لهم أنه في ذلك الطاعة الفلاح والفوز العظيم قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء: ١٣).

وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١).

إن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم المتمثلة باتباع الوحي الذي أنزله سبحانه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة الوقاية من كل ضلالة ولن يطمئن الله عز وجل لأحد إلا بطاعة

---

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [illegible]

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم ١٤٢٧٧، ٣٧٩/٣ وصححه الألباني في ظلال الجنة [illegible]

ضالاً في الدنيا ولا شقياً في الآخرة إلا لمتبعي الوحي وحده.

قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

ويدل على هذه الآية على انتفاء الضلال والشقاء عن متبعي الوحي، ويدل أنه [illegible] على انتفاء المعرفة والعزة [illegible] وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

فهذه الآية إذا تمسكنا بوحي ربنا واستمسكنا بالهدى الذي أنزله الله لنا لسعدنا على [illegible] وأي شيء وحدة الأمة أعظم من ذلك[1].

ثانياً: التحاكم إلى القرآن والسنة:

لما كانت لغة الإسلام إنما هي لغة الوحي الرباني، وطاعة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، كان لا بد أن نرجع جميعاً إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فهما مصدرا التشريع بالنسبة لنا، وهما المرجع في كل ما يطرأ علينا من اختلافات ومشاكل وتصرفات، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وبذلك تتوحد الأمة أعظم توحد حيث يكون لها مرجع واحد ترجع جميعها إليه ترضى بحكمه ولا تختلف عليه.

إذاً لقد أمر الله عز وجل هذه الأمة إذا تنازعت في شيء أن تردّه إلى القرآن والسنة، حتى يزول الخلاف ويظهر الحق من الباطل.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن كثير: "وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟! ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر. وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: التحاكم إلى كتاب

---

[1] انظر: [illegible]

الله ورسوله والرجوع إليهما في الفصل النزاع خير وأحسن عاقبة في ... وأحسن مآلاً ومرجعاً.

وقال أبو بكر الجزائري [illegible]: الآية خطاب عام للولاة والرعية فمتى حصل خلاف في أمر من أمور الدين والدنيا وجب رد ذلك إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما حكما به وجب قبوله حلواً كان أو مراً، وقوله تعالى: ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فيه أن الإيمان يستلزم الإذعان لقضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو يفيد أن رد الأمور المتنازع فيها إلى غير الشرع قادح في إيمان المؤمن.

وقوله: ﴿ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ يريد ذلك أي الرجوع بالمسائل والقضايا المختلف فيها إلى الكتاب والسنة هو خير حالاً ومآلاً لما فيه من قطع النزاع وإبقاء الأمة متحدة متحابة متعاونة[2]

وقد أمر الله عز وجل على عباده المؤمنين أنه يقع بينهم الخلاف والاختلاف وأوجب الله عليهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد.

قال تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ [سورة النساء: 83].

ففي الآية الثانية تعجيب وإنكار على المؤمنين أن يصدر من الظاهر أن لا يطيعوا بعد بيعتهم مع أنه قد اجتمع لهم كل الأسباب الداعية إلى الإيمان الصادرة عن الفطر. فأوجب الله على عليهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم يبين لهم السبل ويحضهم على الهدى والرشاد ويحذرهم من الغي والضلال الذي لهم علم إن تركوا على أنفسهم أو حسن إلى أمر يعلمونه[1]

قال القرطبي [illegible]: قوله في هذه الآية من أمر النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة أنهم من بعده يقوم مقام بعده. قال الزجاج: يجوز أن يكون هذا الخطاب لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيهم وهم يشاهدونه ويجوز أن يكون هذا الخطاب لمعنى الآية لأن كتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم والتركة التي أولى بها فيها مكان النبي صلى الله عليه وسلم فيهم وإن لم يشاهدوه[2]

---

[1] تفسير القرآن العظيم [illegible]

[2] أيسر التفاسير [illegible]

[1] الظلال، جامع البيان للطبري [illegible] التنزيل [illegible]

[2] الجامع لأحكام القرآن [illegible]

إنه لا ينبغي لأمة الإسلام أن تختلف أو تتنازع في حكم أمر من الأمور ما دام بينها كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المصادر المعصومة والرضى بما فيهما والإذعان والتسليم لحكم ربها عز وجل، قال تعالى: [illegible]

ويعتبر هذا التحاكم إلى القرآن والسنة هو أعظم ما تميزت به أمة الإسلام الأولى لأن ذلك هو الذي وحد العرب والعجم الذين دخلوا في الإسلام بعد أن كانوا متفرقين متنازعين متناحرين.

ولا بد من التنبيه هنا إلى أن التحاكم إلى القرآن والسنة ليس مجرد شعار يرفع أو كلام يقال باللسان بل لا بد أن يكون هذا التحاكم أمرًا حقيقيًا واقعيًا، ولا بد أن يكون هذا التحاكم مبنيًا على فهم صحيح للقرآن والسنة، وليس فهمًا حسب الأهواء، والصحيح الآن هو الفهم الذي فهمه القرن الأول من الصحابة الأخيار الأطهار، فإنه هو الفهم الصحيح الذي لا يختلف عليه ولا تفرق.

ثانيًا: الخلق الحسن:

إن من أعظم أسباب الوحدة بعد الاعتصام بالقرآن والسنة حسن الخلق، إذ الأخلاق الحسنة تجمع ولا تفرق، كالألفة والمحبة وبذل المعروف والإحسان والأخلاق الحسنة القويمة تجلب للمسلمين، ويقرب بعضهم من بعض، فيكونون كأنهم أمة واحدة يسعى بعضهم إلى بعض بالوصال.

ولقد أثنى الله عز وجل على الأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق خلقًا وأعظمهم أدبًا، قال الله عز وجل في حقه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أي برحمة الله لك ولأصحابك من الله عليك بأن لنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترفقت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك، ولو كنت فظًا سيء الخلق قاسي القلب، لانفضوا من حولك، فالأخلاق الحسنة تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه مع ما لصاحبها من المدح والثواب، والأخلاق السيئة تنفر الناس عن الدين وتبغضهم إليه مع ما لصاحبها من الذم والعقاب[1].

إن النبي في معاملته إلى كافة صحبه وإن بلغوا من الصحبة ما بلغوا صلى الله عليه وسلم لا يقبل عليهم ويخاطبهم في حاجة إلى النبي خير مجلسهم ويحمل

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص

عبوسين بحجة [illegible] على الآخرين والرفق والتلطف والسماحة واللين وهكذا كان النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غضب لنفسه قط ولا انتصر لنفسه قط من أمر الدنيا على النحو النبيل في أخلاقه كل الحكمة وكان في سياسة الناس ودعوتهم عليه [illegible] وحلمه ورحمته القريب والبعيد وما من [illegible] إلا أحبه [illegible] لما رأى منه صلى الله عليه وسلم من حسن الخلق الرحيم.

فأمر الله تعالى أن نبذل الجهد [illegible] الحسن في المحبة والإجماع عليه صلى الله عليه وسلم بأن جعلها من الطاعة والعشرة [illegible] والأمور[2] إذ أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بأن يعاملوا [illegible] باللين والعفو والمسامحة وألا يردوا السيئة بمثلها ولكن يدفعوها بالتي هي أحسن ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: 53]

فهذا أمر من الله عز وجل لعباده المؤمنين بأن يقولوا ويعملوا التي هي أحسن أرحم بحسن الأدب [illegible] الكلام [illegible] الجانب [illegible] الشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الجارحة القاسية الفاحشة والإثارة التي [illegible] ويقلب جو المحبة والرفق إلى جو مشحون بالخلافات ثم بالعداء الذي يولده[1]

إن الشيطان يتربص بالمؤمنين ويتلمس منهم السقطات التي تأتي من أفواههم والعثرات التي تصدر من ألسنتهم التي [illegible] الشحناء والبغضاء في [illegible] أحسن [illegible] ولذا أمر [illegible] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ حريص على الآخرين الذين [illegible] لم [illegible]

ولقد رغب الله عز وجل عباده المؤمنين في معاملة إخوانهم بالتي هي أحسن فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]

أي لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل [illegible] ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه ولا يستوي الإحسان إلى الخلق ولا الإساءة إليهم لا في ذاته ولا في صفاته ولا في جزائه ثم أمر بإحسان خاص له موقع كبير وهو الإحسان إلى من أساء إليك

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

(2) انظر [illegible]

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]، في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

(2) انظر التفسير الوسيط، سيد طنطاوي [illegible]

تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب والأصحاب ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فصله، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين، وإن هجرك، وترك خطابك، فطيب له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: كأنه قريب شفيق.(٢)

وتدعو الآية الكريمة إلى أعلى الأخلاق والترفع لا الأمر بالعفو عن المسيء فقط بل الأمر بمقابلة الإساءة بالتي هي أحسن، كما لو أساء إليك رجل إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك، مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه، وأثر ذلك الخلق الكريم الراقي أثره عظيم إذ إنه أثره ذلك أن تنقلب العداوة إلى محبة والبغض إلى وفاق، ويصير العدو الحميم كأنه ولي حميم.(٣)

ويظهر هذا الأدب في قول الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

أي إذا أساء إليك أعداؤك بالقول والفعل فلا تقابلهم بالإساءة، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم، فإن ذلك فضل منك على المسيء، وأدعى لجلب المسيء إلى الحق، وأقرب إلى ندمه وأسفه، ورجوعه بالتوبة عما فعل، وليتصف العافي بصفة الإحسان، ويقهر بذلك عدوه الشيطان، وليستوجب الثواب من الرب عز وجل.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].(٣)

ثالثاً: الإصلاح بين المتخاصمين

أمر الله عز وجل بالإصلاح بين المتنازعين من المؤمنين، حيث قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

فهذه الآية ترغب على المؤمنين الإصلاح بين إخوانهم إذا حدث نزاع أو

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص[illegible].

(٢) مدارك التنزيل، النسفي [illegible].

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص[illegible].

كما بين طائفتين منهم، ولا يخفى ما في الإصلاح بين المتخاصمين من ترسيخ أواصر الأمة المسلمة وصيانة لها من التفكك والتحلل والشقاق ومساوئه.

إن النزاع بين المؤمنين يورث عواقب وخيمة، فالعداوة تمنع الوحدة وتصيب الروابط بالضعف والمجتمع ومن رحمة الله في دينه الإصلاح لذا كان الأمر بالمبادرة إلى الإصلاح بين المؤمنين قبل أن يكبر الخلاف ويعظم الشرخ فأمة الإسلام لا يليق بها النزاع أو الفرقة وإنما الذي يليق بها الأخوة والمحبة والألفة بين أفرادها جميعاً.

وقد سبق في المطلب الأول من البحث الثالث بيان حث القرآن الكريم على الإصلاح بين المتخاصمين من المؤمنين فلا داعي لتكراره هنا.

خامساً: الإعراض عن الجاهلين.

لا شك أن مجاراة الجاهلين ومقابلة جهلهم بالجهل من الأمور التي تفضي إلى زعزعة الأخوة الإيمانية وتزعزع الرابطة والألفة ومن ثم إن مجاراة هؤلاء الجاهلين ومقابلة جهلهم بمثله يغذي النزاع والخلاف بين صفوف المسلمين ويحدث شقاقاً ويورث العداوة ولا يخفى ما في الإعراض عن أولئك الجاهلين من مصلحة للمسلمين وصيانة لوحدتهم وحفظاً لمجتمعهم وتآلفهم.

ولقد أمر الله عز وجل بالإعراض عن الجاهلين فقال سبحانه ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

ففي الإعراض عنهم مصلحة عامة للمعرض حيث يسلم من أذيتهم ولهم مصلحة عامة للمجتمع حيث يسلم المجتمع المسلم من حدوث النزاعات والخلافات التي لا تحمد عقباها.

والآية السابقة جامعة لحسن الخلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم فالذي ينبغي أن يعامل به الناس أن يأخذ العفو أي ما سمحت به أنفسهم وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم بل يشكر من كل أحد ما قابله من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض الطرف عن العيوب ويأمر بكل قول حسن وفعل جميل وخلق حسن من صلة رحم أو بر والدين أو إصلاح بين الناس أو نصيحة نافعة أو مساعدة على بر وتقوى أو زجر عن قبيح أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية. أما الجاهلون منهم فقد أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه ومن حرمك لا تحرمه ومن قطعك

فضله ومن ظلمك فتجاوز له[1]

قال القرطبي: « هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات. فقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين. ودخل في قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار. وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة »[2]

عوامل الإخفاق

إذا كانت هذه الأسس الإيجابية أسباب ومقومات عظيمة من شأنها أن تجعل أمة الإسلام تتقدم الأمم رقياً وسعادة وانتصاراً، فإن هناك عوامل هي أكثر سبباً في تعطيل هذه الرسالة وإعاقتها، وصدت الأمة عن ميادينها من العوامل التي تؤدي إلى فشلها وانتكاستها، ومن العوامل الآتية يبدأ الأمر، هذه العوامل هي أسباب هزيمة المسلمين.

أولاً: اتباع خطوات الشيطان

لقد حذرنا ربنا عز وجل من الشيطان، وبيّن لنا عداوته وخطواته.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

فلا ينبغي للمؤمنين أن يتبعوا خطواته؛ لأنه لا يأمر إلا بالشر والفحشاء والمنكر، ولا يريد لحزبه إلا أن يكونوا معه من أصحاب السعير.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

ولقد بين لنا ربنا عز وجل أن عداوة الشيطان لنا قديمة منذ خلق آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

---

[1] تفسير تيسير الكريم الرحمن - السعدي ص ٣١٣

[2] القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٤٥

وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

والآيات القرآنية في التحذير من الشيطان الرجيم وبيان أساليبه الخبيثة في الإضلال من وجوه أخرى ليس المجال هنا لحصرها.

وإن من أخطر غايات الشيطان وأهدافه أن يوقع الشر والخصومة بين المؤمنين، وأن يفرق جمعهم ويشتت شملهم، وأن يقلب أخوتهم عداوة، وإن أسعد لحظات الشيطان الرجيم حين يرى المؤمن يقاطع أخاه على أتفه الأسباب، ويرى الخصومات والنزاعات قد اشتعلت بينهما ويرى خبرها بين أمة الإسلام، حتى إن الشيطان ليفرح بالخصومة التي تقع بين الرجل وزوجه.

ففي الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت، قال الأعمش: أراه قال: فيلتزمه»(١).

وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضل اليوم مسلماً ألبسته التاج، فيجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى عق والديه، فيقول: يوشك أن يبر، ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى طلق امرأته، فيقول: يوشك أن يتزوج، ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى أشرك، فيقول: أنت أنت، ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى قتل، فيقول: أنت أنت، ويلبسه التاج»(٣).

إن المسلم إذا لم يحذر خطوات الشيطان وقع في تلك الخطوات الشيطانية، وإن المجتمع المسلم حتى لو زادت الشحناء تتقطع وحدته وتتصدع صفه وتتفرق أوصاله وتتفكك أواصره بخصومات أساسها الشيطان الرجيم ونزغه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه، الجزء الثامن، رقم ٢٨١٣، ٨/١٣٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه، الجزء الثامن، رقم ٢٨١٢، ٨/١٣٨.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب [illegible] رقم [illegible] ٣/٤٦١.
وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم.
وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٢.

إذا فإنه من أخطر العوائق في طريق تمكين وحدة الأمة الإسلامية السماح للشيطان أن يزرع بينها، وألا يشغل أهل الأمة الموالاة بين أفراد أمتها، ومن أرادت الأمة العودة إلى وحدتها التي كانت عليها في عصورها الأولى، عليها أن تغلق الباب في وجه الشيطان، وأن تفوت عليه الفرصة في التحريش بين المؤمنين، وهو غاية الموجودة لذلك أرشدنا الله إلى كثير من التعليمات والتوجيهات التي تحمي.

لقد أرشدنا الله عز وجل إلى كيفية تفويت الفرصة على الشيطان الذي يبغي الفساد بيننا، وذلك بالالتجاء إلى الله عز وجل والاستعاذة به سبحانه من الشيطان الرجيم.

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

فحتى المؤمن العبد من الشيطان وحرصه على إيقاعه وإضلاله على خلاف ما أمر الله عليه أن يستعيذ بالله ويلتجئ إلى حماه، فإنه سبحانه هو السميع لاستعاذته العليم بكل أحواله، القادر على دفع كيد الشيطان عنه، فالآية الكريمة ترشد المؤمن إلى العلاج الذي يحميهم من وسوسة الشيطان وكيده، ألا وهو الاستعاذة بالله السميع لكل شيء، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء[1].

ومن أمرنا ربنا سبحانه أمرًا آخر علينا العمل به لتفويت الفرصة على الشيطان الرجيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

حيث أمرنا سبحانه بأن نتخاطب في قولنا وأفعالنا، وأن نلين في مخاطبتنا، وألا يخرج منا إلا الكلام الحسن الذي يحافظ على المودة بين المؤمنين، ويفوت الفرصة على الشيطان الرجيم[2].

قال ابن عاشور: "وجملة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ تعليل للأمر بقول التي هي أحسن، والتحذير من التساهل في أن لا يستمعوا ويأخذوا الأقوال إنها من عمل الشيطان، ولما كان التحذير ﴿يَنزَغُ﴾ مشيرًا إلى ما يكون من الفساد الناشئ من إفساد الشيطان العلاقة بين المؤمنين تمهيدًا لمقاصد الشريعة من بعد الأمور الإسلامية"[3].

ثالثًا: التنازع والاختلاف

لا شك أن التنازع والاختلاف من أهم

انظر: تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، ص٧٥٠.

(2) انظر: التفسير الميسر، مجمع الملك فهد، ص٢٨٧.

(3) التحرير والتنوير ١٥/ ١٣٢.

عوامل وحدة الأمة الإسلامية، إذ كيف توحدت الأمة وأولها [illegible] متنافرة؟! وكيف يكون لهم قيادة موحدة [illegible] كانت علاقاتهم مختلفة؟! وهذا أمر يعني لا يحتاج إلى طول والإجابة.

إن الرعيل الأول من هذه الأمة تعلموا على المنهج الذي جعله الله عز وجل لهم، كانوا مجتمعين على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كانت لهم قلوب مختلفة، ولم يكن بينهم نزاع ولا اختلاف [illegible] أنه [illegible] المرصوص يشد بعضه بعضًا، [illegible] لهم [illegible] من كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وتفرقت [illegible] بسبب الخلاف بينهم، وانتشر إلى [illegible] والأحزاب [illegible] لا [illegible] جماعة منهم [illegible] مع الصحابة والسلف [illegible] كل حزب بما لديهم فرحون. وحدة الأمة الإسلامية [illegible] كل مسلم [illegible] كانت أمة واحدة.

إن الله عز وجل قد حذر هذه الأمة من الاختلاف والنزاع، وبين لنا العواقب الوخيمة المترتبة على ذلك في تفكك الأمة، وانحطاط كل ما يؤدي إلى الاختلاف بين أفرادها.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال ٤٦]

أمر سبحانه في هذه الآية بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونهى عن التنازع والاختلاف، ثم نهى سبحانه عن التنازع [illegible] على [illegible] وقرنه ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ ثم أخبر سبحانه أن [illegible] إنما يحصل بالتنازع لكونه [illegible] سببًا لضعفهم وفشلهم وذهاب قوتهم وريحهم، وهكذا كانت الصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به، [illegible] ما [illegible] إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم، فإنهم ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما أمرهم فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والبربر وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة(١).

والآيات الكثيرة في نهي القرآن الكريم عن الاختلاف والفرقة والتنازع، وإنما أشرت إليه هنا لبيان أن التنازع والاختلاف من أخطر ما يهدد وحدة المسلمين واجتماعهم

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

ثالثاً: اتباع الهوى

إن الخلاف والتنازع إذا وقع بين المسلمين فليس شرطه أن يكون حقاً أمام ربهم [illegible] إذا ردوا ما اختلفوا فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لم يبق خلاف ولا نزاع ولكن المشكلة تكبر وتعظم إذا كان هذا الاختلاف ناتج من اتباع الهوى، وصاحب الهوى يرفض الحق ولا يحتكم إلى الكتاب أو السنة «فإن الهوى يعمي ويصم، وصاحب الهوى يقبل ما وافق هواه بلا حجة توجب قبوله ويرد ما خالف هواه بلا حجة توجب رده»(1)

ولقد حذرنا القرآن الكريم من اتباع الهوى تحذيراً شديداً، وبين لنا أن اتباع الهوى يبعد الإنسان عن [illegible] [illegible] والهوى لا يستقيم أبداً.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

ففي هذه الآية أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط والعدل فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف، وأمرهم سبحانه أن يؤدوا الشهادة لوجه الله [illegible] كاملة صحيحة عادلة سالمة خالية من التحريف والتبديل والكتمان، وأمرهم أن يؤدوها ولو عاد ضررها على الشاهد أو على والديه أو على قرابته، فإن الله سبحانه أولى بالناس جميعاً ومطلع على كل أمر [illegible] على كل شيء.(2)

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾ أي: «فلا تتبعوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحق [illegible] إلى الصراط المستقيم».(3)

لأن اتباع الهوى مهلكة ومضلة، ويحمل صاحبه على الميل عن الحق، وعلى الجور في الحكم، وعلى غير ذلك من الظلم والعدوان.

قال الله تعالى: ﴿[illegible] وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

فقد بين ربنا سبحانه أن من عدل عن

---

(1) منهاج السنة النبوية لابن تيمية [illegible]

(2) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

(3) تيسير الكريم الرحمن للسعدي [illegible]

(4) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible]

الحق واتبع هواه فهو أضل الناس وهي ذلك الظلم لنفسه من اتباع الهوى بغير علم.

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]

يخبر سبحانه في الآية عمن ترك اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وما معه من الحق، وأصر على اتباع هواه من غير علم ولا هدى فهذا من أضل الناس؛ حيث عرض عليه الهدى والصراط المستقيم الموصل إلى الله وإلى دار كرامته فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أضل ممن هذا وصفه؟!(١)

قال الألوسي: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ استفهام إنكاري للنفي أي لا أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله أي من قبل الله هو أضل من كل ضال(٢).

إن صاحب الهوى لا سلطان له ولا رادع ولا كابح له ولا إمام إلا هواه سيده ومولاه لا مراقبة لربه وإنما سلمت ركائبه حتى لا يسمع الكلام عنه ولا يعقل ولا يفهم إلا ما يوافق هواه تراه عدواً لكل من يخالف هواه وإن كان أقرب من سواه، ويوالي من هو على شاكلته وإن كان أبعد الناس، فهو لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما وافق هواه وهذا الصنف من الناس لا يبالي بالمسلمين ومصالحهم ولا يرى لهم احترامًا.

لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من طائفة من الناس اتبعوا أهواءهم ونبذوا وعطلوا الآثار والنصوص تبعًا لأهوائهم وأغراضهم، إنهم الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه فعن عبيد الله بن أبي رافع رضي الله عنه أن الحرورية (نسبة إلى قرية تسمى حروراء) لما خرجت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله. قال علي رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لنا ناسًا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله عز وجل إليه(١).

إن هؤلاء الخارجين عن طاعة الإمام وبعد خروجهم على إمام المسلمين علي رضي الله عنه يطلقون أحد الآيات البينة وصريحة في كتاب الله إنهم ووصموا بإطلاقهم لا حكم إلا لله أنهم المتعلقة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (السعدي) ص٦٢٢.

(٢) روح المعاني ٢٠/٩٣.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج رقم ١٠٦٦ ج٢.

لحكم الله والاحتكام إليه في المختلف فيه، لا بسبب التعصب وهذا كله بسبب التعصب للمذاهب وعدم الفهم الحق.

الأمر الذي عنده من قول أو أسلوب أو جماعة أو فرقة، ومثل هذا المسلمين يكون عنده العلم وبحسب الأدلة لا ينقاد إلى ما توحد المسلمون عليه من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا هو التطرف والتعصب للأفراد ومعاداة على الاستخفاف الذي يقابل الأفكار والآراء الشبهات وكثرة الخلافات مما يؤدي إلى تبعية الهوى وإبطال الطاقات وتشتيت الجهود وذلك خرق الشمل الذي حلت به الأمة الإسلامية، ولا يمكن أن توحد أمة المسلمين اليوم إلا ما تمسك كل فرقة بعقيدته وأبى أن يعود إلى حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم ولا بد من التحاكم الصحيح إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أريد أن تغير الأمة وسطيتها للمذاهب.

وهذا لن يكون إلا بجهود العلماء والعقلاء من كل فرقة من فرق المسلمين يجتمع هؤلاء العلماء الثقات الراسخون بعلومهم وتجاربهم ويتناقشون ويتحاورون في النقاط الخلافية التي تتسبب ويجتهدوا في الوصول إلى الحق الذي بالدليل الصحيح وإن أخطأوا في حكمهم فيه وقصدوا به وجه الله عز وجل لرفعهم الله عز وجل ويصح تقديمهم على الحق الصحيح ومن أصر بعد ذلك على حزبه فعلى المسلمين أن يأخذوا على يديه ولا يعطى لتعصبه ويبتعد المسلمون عنه.

ثالثاً: الإعجاب بالرأي

بالإضافة إلى العوائق السابقة في طريق وحدة الأمة الإسلامية هناك عائق آخر لا ينبغي أن يغفل عنه وهو عائق لأهميته ويؤدي ويصعب حصول الوحدة المنشودة ألا وهو الإعجاب بالرأي وذلك بأن تأخذ كل فرقة أو جماعة من المسلمين برأي معين لتعصبه وتمسكه به فترى أنه الحق وأن الحق معها دون غيرها ومن خالفها غير على حق بل ربما يصل الأمر عند بعضهم لأن يعتبروا يخرج غيره ممن لم يوافق رأيه من ملة الإسلام.

إن الإعجاب بالرأي داء مثل الداء الهوى كلاهما يحجب صاحبه عن إدراك الحق وكلاهما يسهم في نشر التعصب واستشراء الفرقة وإضاعة الوحدة التي تبنى المعجب برأيه وتعصبه له أن يصبح الهوى فضلاً عن أن يتنازل له.

لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الإعجاب بالرأي والهوى فعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

تلك الآفات جميعها، وكانت نتيجتها تلك الحروب الطاحنة في المذهب والفرقة والتعصب في الفكر والرأي ومعصية الله في السر والعلانية، وأما النهايات فهي جحيم ونيران حرب واضطراب ظلمتها (1)

إن أمة الإسلام إذا أرادت أن تسترد ما فاتها لها دورا من الوجود والعالمية والقيادة إذا أرادت أن تعيد وحدتها المباركة فلا بد لها من تجاوز كل تلك الخلافات والصراعات، وهذا أمر يجب على جميع أفراد الأمة على الجميع أن يلتزم الجميع ويضحي بالمصالح الخاصة من أجل المصلحة العامة.

فعلى العلماء والدعاة وعموم المسلمين أن يدعوا لوحدة الصف وبذل جهودهم في سبيل تحقيق هذه الوحدة، وعليهم أن يتحاوروا فيما بينهم ويتناصحوا بينهم بمحبة ويكون الحكم بينهم إذا ما اختلفوا في شيء إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وعلى أولي الأمر أن يتعاونوا ويتكاتفوا ويتصفوا بالشجاعة والإرادة لجمع شملهم وبدء في الحوار والتشاور في إزالة ما بينهم من عوائق المسلمين من عداوة وحقد وبغضاء الأمة ويعيد الأواصر بين الشعوب المسلمة ولتكون أمة الحبيب أمة واحدة كما هي من عزتها ورفعتها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء ٩٢].

إن وحدة الأمة ليست حلمًا بعيد المنال وليست مجرد أمنية يتمناها المسلمون ولا مستحيلة إنما أمل على أرض الواقع بل هي ثمرة ترتجيها النفوس المؤمنة على الإخلاص لله والصدق لربهم والعمل بشرعه وسنة نبيه والله على ذلك قدير.

---

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم ٣٨٨٢ ج٤ ص ... والبيهقي في شعب الإيمان رقم ٣٦/٢

قال الألباني: رواه البزار بإسناد والطبراني وابن حبان عن جماعة من الصحابة والتابعين ولا يعلم فيه صحابي من طريقهم بعضهم حسن الألباني صحيح الترغيب والترهيب رقم

ثمار الوحدة

إن أزمة المسلمين اليوم متشعبة ومشاكل مجتمعاتهم بل إن مصائبهم كلها ناتج ونتائج كلها عن الفرقة ولا يمكن أن نحصر ثمار الوحدة في وريقات قليلة أو صفحات محدودة لأن من ثمار الوحدة ما لا يمكن أن يعبر عنه بالكلمات وإنما يلمس في الأوقات التي يعيشها المسلمون في كل مجالاتهم.

ويكفي أن أنبه على أهم ثمار الوحدة عليها أن نسأل أنفسنا: ما هي الأضرار التي أصابت المسلمين بسبب فرقتهم واختلافهم؟ لنعلم أنه على عكس هذه الأضرار تكون على الطرف الآخر في الوحدة والاجتماع من ثمار وفوائد.

أليس المسلمون اليوم – بسبب فرقتهم – في ذلة وضعف وهوان؟ أليست مقدساتهم منتهكة؟ أليست أراضيهم محتلة؟ أليست ثرواتهم مسلوبة؟ أليست مصانعهم أسيرة مستعبدة؟ هل يحسب للمسلمين حساب؟ هل يقام لهم وزن؟ أم يسمع لهم صوت؟ هل يستطيع المسلمون أن يتحرروا من [illegible] إلى بأقل وسائله الإيمانية.

هذا حال المسلمين عند فرقتهم وهذا [illegible] عند صلاحهم واجتماعهم.

وإن من أعظم ثمار الوحدة ما يلي:

الفوز برضوان الله عز وجل ونيل ثوابه بالتزام طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فالله سبحانه هو الذي أمر بالوحدة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وهو سبحانه الذي وصف أمتنا بالأمة الواحدة ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢] ورسوله صلى الله عليه وسلم أخبر أن المؤمنين جسدًا واحدًا (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1]

٢- حصول القوة والهيبة والمنعة للأمة الإسلامية، فبالوحدة تقوى شوكة المسلمين اقتصاديا وماليا وعسكريا وسياسيا، ولذا تهاب الأمة ويرهبها عدوها المتربص، وحسبنا أن نذكر مثالا ودليلا من أن القوة لدول المسلمين [illegible] من كل جانب ومواردها البشرية [illegible] مستوردة ومواقعها متميزة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لكل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين رقم ٢٥٨٦ ج ٤

العصبية إلا [illegible] من كل ملة [illegible] في القديم والحديث القائم على أن الوحدة سبيل القوة والنصر وأنه التاريخ يشهد أن من أهم أسباب سقوط الدول على اختلاف [illegible] ومللها التفرق والاختلاف، فالخلافة العباسية مثلاً ضعفت بعد أن تركت الدولة الإسلامية في ذلك الوقت [illegible] [illegible] دويلات [illegible] والتسلط [illegible] ولم [illegible] الخلافة العباسية إلا دويلات متفرقة متناثرة من العالم الإسلامي، فلما زحف المغول إلى بغداد لم يقف في وجه زحفهم غير أهل بغداد [illegible] [illegible] المغول [illegible] القتل، وسقطت الدولة الإسلامية في الأندلس بعد أن أصبحت دويلات متفرقة متناحرة ولم تسقط الدولة العثمانية إلا بعد أن تحولت [illegible] إلى أشلاء متفرقة ويوم أن أدرك الصليبيون [illegible] [illegible] [illegible] المسلمين والاختلاف بينهم وأسسوا [illegible] العمل [illegible] [illegible] [illegible] العالم الإسلامي اليوم منقسم إلى دويلات متناحرة [illegible] على أساس [illegible] [illegible] آثار الوحدة.

٣- بالوحدة يقام شرع الله [illegible] [illegible] ويعلن الجهاد وتحمى الثغور ويكون المسلمون جماعة واحدة من أمرهم [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] الواحد.

٤- بالوحدة يرفع الظلم عن المظلومين ويؤخذ على أيدي الظالمين، وإقامة الحقوق، ويكثر العدل ويحارب من يحارب الله [illegible] المسلمين.

٥- المسلمون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قال الله عز وجل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الطبري [illegible] [illegible] إذا رأى من أهل الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] ذلك [illegible] وإذا رأى من أهل الإسلام فرقة واختلافاً أو أصيب طرف من أطراف المسلمين [illegible] ذلك وأحسوا به واهتموا له.

٦- وحدة المسلمين فيها [illegible] [illegible] للعالمين جميعاً لأن وحدة المسلمين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible].

[illegible]

الاجتماع والائتلاف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]